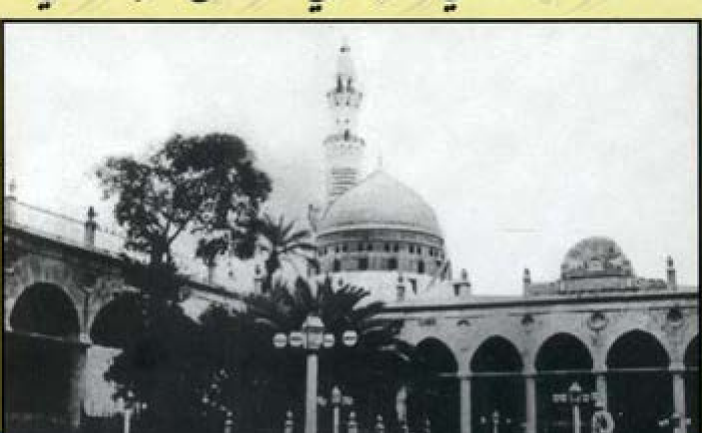
المغاربة

في المدينة المنورة

إبان القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي



المدينة المنورة الحبيبة

دكتور / محمد علي فهيم بيومي

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة الأزهر - بالقاهرة

دار القاهرة

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

المَغَـــــاربـــــــة

في المدينة المنورة

إبان القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي

دكتــــور

محمد علي فهيم بيومي

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة الأزهر

بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

دار القاهرة

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

تليفون وفاكس: ٣٩٢٩١٩٢

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

بيومي، محمد علي فهيم.
المغاربة في المدينة المنورة إبان
القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر
الميلادي / محمد علي فهيم بيومي. – ط١.
القاهرة : دار القاهرة ، ٢٠٠٦.
٢٥٧ ص؛ سم.
تدمك ٠ ٣٩ ٦٠٤٨ ٩٧٧

١- المغرب - تاريخ.
أ – العنوان

٩٦٤

اسم الكتاب	:	المغاربة في المدينة المنورة
اسم المؤلف	:	د. محمد علي فهيم بيومي
رقم الطبعة	:	الأولى
السنة	:	٢٠٠٦
رقم الإيداع	:	١٥٤٩٣
الترقيم الدولي		I.S.B.N
		977 – 6048 – 39 – 0
اسم الناشر	:	دار القاهرة
العنوان	:	١١٦ شارع محمد فريد
البلد	:	جمهورية مصر العربية
المحافظة	:	القاهرة
التليفون		٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
فاكس	:	٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
المحمول	:	٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى كل ..

من يبذل جهداً ..

في التعرّيف ..

بالحضارة الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على أشرف الخلق ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،،

فتعد موضوعات التواصل الحضاري بين المسلمين في شتى الأقاليم في غاية الأهمية؛ لما تمثله من حقيقة مهمة ينبغي إبرازها والإفادة منها في عالمنا المعاصر، لاسيما في ظل ظروف هذا القرن الجديد الذي يمثل تحديات كبيرة أمام العالم الإسلامي لاسيما على المستوى غير الرسمي في كافة النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، بما يفرض على عالمنا الإسلامي الراهن التكامل والتواصل فيما بين أقاليمه بدلاً من التواصل مع الغرب، من هنا جاءت فكرة هذا الموضوع الذي يعد صورة لتأثير أبناء أقاليم العالم الإسلامي المختلفة في إقليم واحد، وهو ما دفعنا لاختيار المغاربة في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي كواحدة من أهم الجاليات الإسلامية تأثيرًا في المدينة، ومما دفعنا أيضًا لاختيار هذا الموضوع ذلك الأثر الواضح للمغاربة في كافة الشؤون ومع ذلك لم يفرد له بحث مستقل فيما قرأت على الرغم من توافر المصادر التاريخية الأصيلة التي تعالج هذا الموضوع.

وأما اختياري للقرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي فلعل السبب المباشر لذلك في حقيقة الأمر يتمثل في تأصيل ظاهرة التواصل بين المسلمين في أقاليم العالم الإسلامي قبل أن تجلب الحملة الفرنسية سمومها من عصبيات وقوميات وعنصريات لم يعرفها المسلمون قبل وصول هذا الوافد الأجنبي إلى بلادنا، وهو ما يؤكد أن الغرب – على الرغم من تقدمه – لا يريد لنا نحن

المسلمين في مختلف الأقاليم الرقي أو التقدم وهو ما يجب أن ننوه إليه لعل أبناء العالم الإسلامي يتداركون حقيقة تلك الأهداف، بالإضافة إلى تبصير المسلمين بأن مقوماتهم الطبيعية التي تتمثل في الدين والجنس واللغة تجعل التواصل فيما بينهم أقرب وأيسر من التواصل مع الغرب، لكل هذا كان اختياري لهذا الموضوع والذي جعلته تحت عنوان:

«المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي»

وأما عن خطتي في معالجة هذا الموضوع فقد تمثلت في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول ومتممات.

فأما المقدمة : فقد تحدثت فيها عن أسباب اختياري للموضوع مع عرض لبعض المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة.

وأما التمهيد: فقد جعلته على موضوعين:

الأول: أسباب رحلة المغاربة إلى المدينة المنورة.

الثاني: ركب الحج المغرب.

وأما الفصل الأول: فجعلته تحت عنوان: «دور المغاربة في الحياة السياسية في المدينة المنورة».

والفصل الثاني: وقد جاء تحت عنوان: «دور المغاربة في الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة»..

وقد عالج الفصل الثالث موضوع: «وضع المغاربة الاجتماعي في المدينة المنورة».

بينما جاء الفصل الرابع تحت عنوان: «دور المغاربة في نهضة العلوم الإسلامية في المدينة المنورة».

وأخيرًا جاء الفصل الخامس والأخير بعنوان: «دور المغاربة في نهضة العلوم

غير الشرعية – علوم الوسائل – في المدينة المنورة».

وأما الخاتمة فقد دونت فيها أبرز النتائج التي خلص إليها البحــث، وتممــت البحث بقائمة للمصادر و المراجع وفهرس لموضوعات البحث.

وأما المصادر فتمثلت في مجموعة من الوثائق الأصلية تمثلت فــي ســجلات الروزنامة بما تحويه من معلومات مهمة عن الحجاز، بالإضــافة إلــى ســجلات الديوان العالي، ومما يضاف إلى هذه الوثائق سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة والمتمثلة في الوثائق المنشورة في كتاب: عبدالله بن محمد زاحم المسمى «كتاب قضاة المدينة المنورة»، وهناك بحث آخر عالج هذا الموضوع للباحث فائز بن موسى: «قضاة المدينة المنورة عــن ســجلات المحكمــة الشــرعية»، مــن منشورات مجلة الدارة.

كذلك توجد مجموعة مهمة من المخطوطات لعل أبرزها مجموعة «الإجــازات العلمية» للعلماء المغاربة والحجازيين وغيرهم التي وردت فيها إجازات المغاربة ومن تواصل معهم من الأساتذة والتلاميذ بالإضافة إلى مؤلفاتهم كذلك فقد رجــع البحث إلى عدة مصادر أصلية عاصرت مرحلة البحث التاريخية ومن أهــم هــذه المصادر كتاب الشيخ الأنصاري: «تحفة المحبين والأصحاب فيما للمــدنيين مــن الأنساب»، ويعد أبرز الكتب التي استقى منها البحث مادته العلمية لما فيــه مــن موضوعات غاية في الأهمية تؤكد على مشاركة المغاربة في الناحية السياســية والإدارية والعسكرية وتولي الوظائف والعلاقات الاجتماعية لاسيما المصاهرة إلى غير تلك الموضوعات التي تجعل هذا الكتاب فريدًا في بابه.

ومن المصادر المهمة كذلك كتاب لمجهول جاء تحت عنوان: «تــراجم أعيــان المدينة المنورة» وهو يشبه الكتاب الأول إذ يصور الحياة العلميــة والاجتماعيــة حيث يتحدث عن أشهر الأسر التي عاشت في المدينة المنورة حينذاك بما يجعلــه من أبرز المصادر لهذا البحث.

وذلك فضلاً عن مجموعة من كتب التراجم التي تحدثت عن علماء وأعيان من المغاربة عاشوا في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي وقد دونا ذلك في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

وأخيرًا فإن أضاف هذا العمل جديدًا فبحمد من الله وفضله، وإن تكن الأخرى فحسبي أني اجتهدت سائلاً أن يعفو الله سبحانه عن الزلات ويتجاوز الهنات إنه سميع قريب.

المؤلف

التمهيد

أولاً : أسباب رحلة المغاربة إلى المدينة المنورة.

ثانيًا : ركب الحج المغربي.

تعد المدينة المنورة المحط الثاني لأنظار أبناء العالم الإسلامي لما لها من أهمية دينية وتاريخية، ففيها المسجد النبوي أحد المساجد الثلاث التي تشد إليها الرحال، ومنها خرج الصحابة بقيادة المصطفى ﷺ لنشر دعوة الإسلام، ويوجد بين جنباتها مثوى آلاف الصحابة - رضوان الله عليهم - كذلك فقد كانت حاضـــرة الإســـلام وعاصمته الأولى ما يربو على أربعين عامًا، شهدت كل الأحداث السياسية المؤثرة والتي لا يزال صداها على العالم الإسلامي كله، ومنها خرج الإمام مالـــك لنشـــر دعوة الإسلام، وكان أحد أصحاب المذاهب الفقهية الشهيرة، والتي نشر مذهبه في بلاد المغرب على اتساعها وغيرها كل هذه الأسباب دفعت المغاربة إلى الاستقرار في المدينة ومشاركة أهلها حياتهم بما فيها من إيجابيات وسلبيات، وهنا نحـــاول أن نتعرض للأسباب التي دفعت بالمغاربة إلى الرحلة للمدينة المنورة.

أولاً: أسباب اتجاه المغاربة إلى المدينة المنورة:

تنوعت الأسباب التي دفعت بالمغاربة إلى الهجرة للحجاز بوجه عام والمدينـــة المنورة على نحو خاص، فهنـــاك الأســـباب: الدينيـــة، والعلميـــة، والسياســـية، والاقتصادية التي تجمعت كلها لتجعل المغاربة في المدينة المنورة جالية من أبرز وأهم الجاليات المؤثرة فيها[١] خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثـــامن عشـــر الميلادي وهو ما يدفعنا إلى الحديث عن هذه الأسباب بشيء من الإيجاز كالتالي:

(١) الأسباب الدينية والعلمية.

ومن أهم الأسباب التي دفعت المغاربة إلى الرحيل للحجاز والمدينـــة المنـــورة خاصة والمجاورة في رحابها السبب الديني والعلمي، وهذان السببان على الـــرغم

---

(١) حمد الجاسر: في رحاب الحرمين الشريفين من خلال كتب الـــرحلات إلـــى الحـــج، الرحلـــة الناصرية، مجلة العرب، جـ٥، ٦ س١٢ القعدة والحجة ١٣٩٧هـــ، ص٤٦٨، والورثيلاني: الرحلة المسماة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بييرفونتانـــا، الجزائـــر، ١٣١٦هـــ، ص٥٤٢.

من اختلافهما إلا أنهما هنا قد تواصلا وتكاملا.

فأما السبب الديني فقد فرض الله سبحانه وتعالى فريضة الحج على كافة المسلمين بشرط القدرة على توفير الزاد والراحلة، وكذلك فإن زيارة مدينة رسول الله ﷺ هو أمل تهفو إليه نفوس المسلمين ليس المغاربة وحسب، وإنما المسلمون في كافة أركان الأرض، من هنا نجد في مدينة رسول الله ﷺ المغاربة والمصريين والشوام والهنود والسنود(١)، وغيرهم من شتى البقاع، أتوا بغرض أداء الفريضة الخامسة، وزيارة مسجد النبي ﷺ والمدينة المنورة التي شهدت مولد الدولة الإسلامية الأولى، وكانت مثوى الآلاف من أصحاب النبي الكريم ﷺ، والتابعين في البقيع، مما كان له أثره الروحي على المسلمين، وهو ما دفع المغاربة إلى السفر الطويل الشاق المحبب إليهم حتى يصلوا إلى المدينة المنورة ويجاوروا فيها ويقضون سنوات من أعمارهم في هذه الرحاب الطاهرة(٢).

وأما السبب العلمي: فعلى الرغم من وجود مؤسسات كبيرة خلال تلك الحقبة التاريخية تؤدي دورها العلمي في بلاد المغرب مثل: الزيتونة في القيروان، والقرويين في فاس وغيرها من المدارس والمساجد الكبيرة والزوايا المنتشرة في كافة ربوع المغرب الكبير(٣)، إلا أن المغاربة في طرابلس وتونس والجزائر والمغرب وشنقيط وما تبقى من علماء الأندلس قد رغبوا في الرحلة إلى المدينة المنورة وذلك فيما أرى لعدة أسباب:

(أ) الاطلاع على الاتجاهات العلمية والفكرية عند علماء المدينة المنورة.

---

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين الشريفين، القاهرة، د. ت، جـ١ ص٤٣٩.

(٢) الزياني أبوالقاسم: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برًا وبحرًا، حققه وعلق عليه عبدالكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ٢١٢.

(٣) العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية - الرباط، ١٩٧٧م، جـ٨ ص٣٢١، ٣٧٥.

(ب) اتحاد المذهب الفقهي فغالب العلماء المغاربة ينتمون إلى المذهب المالكي وهو مذهب أهالي المدينة[١].

(ج) الحصول على الإجازة العلمية من علماء المدينة المنورة، أو من عاش فيها من المجاورين[٢].

(د) الاحتكاك بين العلماء المغاربة وعلماء المدينة المنورة من الذين أتوا من بلاد الشرق الإسلامي الأقصى مثل: علماء الهند وداغستان والسند والأكراد وغير تلك الأقاليم، والتلقي على أيديهم العلوم الإسلامية والعربية وغيرها من العلوم[٣]، وسوف نجد في فصول العلوم كيف التقى العلماء المغاربة بهؤلاء، وما الذي أخذوه عنهم من علوم بما يؤكد رغبة المغاربة في هذا الاحتكاك.

فلعل هذه الأسباب العلمية كانت الدافع المباشر والمؤثر الأول في تخطي الصعاب والاتجاه نحو المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي بالإضافة إلى المشكلات السياسية التي كانت تواجه بعض هؤلاء العلماء، والتي دفعتهم إلى الفرار إلى المدينة المنورة[٤].

(٢) الأسباب السياسية:

وتمثل الجوانب السياسية أبرز الدوافع التي جعلت المغاربة – خاصة علماء

---

(١) محمد ظافر الأزهري: اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٤٤ – ٤٥.

(٢) إسماعيل العجلوني: إجازات الشيخ العجلوني، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٩٧ مصطلح، ورقة ٣٠ – ٣٢.

(٣) الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، د. ت، جـ١ ص ص ١٥٥، ٢٩٨، ٣٠٠.

(٤) محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د. ت، جـ٥ ص٥٥ – ٥٦.

بلاد الأندلس – يهاجرون إلى مصر والحجاز، ويسكنون المدينة المنورة ففي أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي حدثت تغييرات ضخمة في شبه جزيرة أيبريا، تمثلت في اتحاد ممالك أسبانيا – التي كانت تسمى الأندلس – ومنها (أرجوانة – قشتالة) ثم تم الاستيلاء على غرناطة آخر معاقل المسلمين، وعقدت معاهدات كثيرة تحفظ حقوق المسلمين- العنصر المهزوم – وتأمين حياتهم، وعلى الرغم من تلك المعاهدات التي عقدت بين المسلمين والأوروبيين الكاثوليك، فإن المسلمين لاقوا من التعذيب ما حملهم على الفرار إلى خارج الأندلس شرقًا وغربًا وجنوبًا إلى بلاد المغرب، ومنها إلى شمال إفريقيا حتى مصر ومنها إلى الحجاز، وكان المورسيكيون في فرارهم يستقر منهم في كل إقليم يفدون إليه طائفة حتى تفرقوا في البلاد(١)، ووصل منهم طائفة ليست بالقليلة في المدينة المنورة سواءً من الأهالي أو العلماء البارزين(٢)، وفي هذا القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وحده وجد من أهالي الأندلس ما يزيد على إحدى عشرة أسرة أندلسية استوطنت المدينة، وكان لها أثر بارز على الحياة السياسية مثلما سيأتي في فتنة عذيب القبيطي الأندلسي(٣) وغيره مما حدث تفصيلاً إبان ذلك القرن(٤)، وكان كل ذلك بمساعدة الدولة العثمانية.

وبالإضافة إلى ذلك فإنه وفى مرحلة تالية أعقب الخروج المهين للمسلمين في

---

(١) عبدالله محمد جمال الدين: مصير المسلمين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، بحوث الأندلس، دار المعرفة، ١٩٩٤م ص٣٧٥.

(٢) محمد عبدالله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ص ٢٤٤ – ٢٥٠.

(٣) زين العابدين البرزنجي: كشف الحجاب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور، مجلة العرب، جـ٩، ١٠ الرياض ١٩٨٥م ص٦٠١.

(٤) عبدالله محمد جمال الدين: المسلمون المصرون أو المورسلون الأندلسيون، الطبعة الأولى – القاهرة، ١٩٩١م، ص٣٨٩.

الأندلس وجود طائفة إسلامية عظيمة الشأن لها وجودها الاقتصادي والاجتماعي، اشتدت عليها المظالم من قبل التحالف الكاثوليكي، وكان طبيعيًا أن يهاجر الكثيـر من الأندلسيين إلى بلاد المغرب العربي - الحالي - ومصر ثم الحجاز حتى تسكن المدينة المنورة بعض الأسر الأندلسية العريقة[١] والتي سبق أن تحدثنا عنها.

ولم يكتف الأسبان والبرتغاليون بطرد المسـلمين إلـى الأراضـي المغربيـة والجزائرية والتونسية وما شرقها، وإنما قاموا بحركة هجومية على بلاد المغرب العربي الأقصى والأوسط والأدنى في حركة التفاف حول العالم الإسلامي من أجل القضاء على الحياة السياسية والدينية[٢]، ودخلوا في صراع كبيـر مـع أهـالي تونس والجزائر والمغرب الذين قاوموا المحتل بمساعدة القباطنة الأتراك[٣] الذين حاولوا جاهدين مساعدة المسلمين الموجودين بعد سقوط الأندلس أو المسـلمين في شمال أفريقيا[٤]، وقد دفع المغاربة ثمنًا غاليًا لهذا الصراع؛ حيث قام الأسبان بالاستيلاء على بعض المدن المغربية مثل طنجة، وسبتة، ومليليـة، والمهديـة،

---

(١) عن كل هذا بالتفصيل يراجع:
ابن أبي دينار، أبو عبدالله محمد القيرواني: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، طبع تـونس، ١٩٦٧م، ص١٩٣ الناصري: أبو العباس السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصـى، طبع القاهرة، ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م. جـ٢ ص١٦٢ وما بعدها، عبدالعزيز الشناوي: الدولـة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الأنجلو المصرية، القاهرة، جــ٢ ص ص٩١٥ ومـا بعدها

(٢) السابق: جـ٢ ص٩٢٠ وما بعدها مصطفى رمضان: العالم الإسلامي في التـاريخ الحـديث والمعاصر، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص٢٩.

(٣) عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود على عـامر، الطبعـة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، الفصـل الثالـث ص ص٢٧٥، ٤١٣ - ٤١٤.

(٤) نبيل عبدالحي رضوان: جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده، مطبعة العصر الحـديث، القاهرة ص٤٦٢.

والمعمورة، والعرائش، ولم يسترد المغاربة بعضها إلا بعد صراع كبير للغاية[١]، ولاشك أن هذه الصراعات السياسية قد حملت كثيرًا من المغاربة إلى إيثار السلامة والرحيل نحو الشرق، فاستوطن الكثير منهم مصر واستوطن بعضهم الشام والحجاز حتى استقرت العديد من الأسر والأفراد في المدينة المنورة، وكونوا جالية كبيرة من مجاوري بلاد المغرب فيها، واستطاعوا تكوين إدارة لها للعمل على شؤونها[٢].

(٢) الصراعات السياسية في بلاد المغرب:

استهل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي والأحوال الداخلية في بلاد المغرب - في شمال أفريقيا - في غاية الاضطراب، وساعد على ذلك الاختلافات الواضحة بين سكان الأقاليم المختلفة من المغرب، فسكان جبال الأطلس يتميزون باستقلالهم وبدائيتهم ويصعب مقارنتهم بتجار فاس الذين كانت حياتهم ناعمة، كما كان يصعب مقارنتهم برجال البحر في سلا، والذين تميزوا بطموحهم الزائد، وإذا كانت هذه الاختلافات في وطن واحد بما فيها من طبقيات وطائفية[٣]، بالإضافة إلى الاستبداد السياسي والصراعات العنيفة التي تنشب بين القبائل والأقاليم والبربر إلى غير ذلك من مختلف الطبقات والفئات، وهو ما يحتاج إلى إعطاء فكرة سريعة عن تلك المشكلات السياسية التي كانت ترسم الحياة السياسية

---

(١) جلال يحيى: المغرب العربي الحديث والمعاصر، الفجر واحتلال فرنسا للجزائر طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٨٣م. ص ٢٨٥.

(٢) الأنصاري: تحفة المحبين، والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، تونس، ١٩٧٠م، ص ٢٥١، ٤٢٧.

(٣) أحمد بن هطال التلمساني ت ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م: رحلة محمد الكبير (باي الغرب الجزائري) إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبدالكريم، الناشر عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٦.

في بلاد المغرب (شمال أفريقيا عدا مصر)[١]

(أ) الصراعات على الحكم:

فمنذ أن وطئت أقدام مولاي إسماعيل إلى الحكم والأوضاع الداخلية في بلاد المغرب وفي قصر الحكم على غير ما يرام، فالمولى إسماعيل أكثر إخوة المولى الرشيد عملاً وقوة وطموحًا، وكان أكثرهم لياقة لكي يخلفه على عرش الدولة العلوية، وكان والد الأمير إسماعيل له ثلاثة وثمانون ابنًا وأكثر هذا العدد من البنات[٢]، وبالتالي يتضح حجم التشاجر والتخاصم أو حتى الاعتداءات المتعددة، وكم من أمير دفع حياته ثمنًا لمؤامرات الأميرات وزوجات الشريف، وكان ذلك النقص الموجود في الاستقرار الأسري للدولة العلوية يساعد نمو الصراعات السياسية داخل البيت الحاكم[٣].

وانتقل هذا الصراع الداخلي إلى صراع كبير بين مراكش والسوس وسجلماسة وسلا وغيرها من الأقاليم المغربية في بلاد المغرب الأقصى[٤]، حتى انتقل ذلك الصراع إلى بلاد السودان أقارب والدة المولى إسماعيل، الذين أحبهم وأحبوه وساندوه على الحكم، وكان المولى إسماعيل يشجع جنوده السود على وحشيتهم، ويرى فيهم المعبرين الطبيعيين عن رغبته في القسوة والشدة والوسيلة اللازمة – من وجهة – لحكم المغرب[٥].

وانتشرت في هذه المرحلة التاريخية للبحث المعارك والمناوشات بين السلطان وأقاربه، وبعمليات زحف وهجوم واشتباكات وهجوم مضاد وعمل الكمائن وكثر

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالله: سلا أولى حاضرتي أبي رقراق، من منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، المغرب، ١٩٨٩م، ص١٩.

(٢) جلال يحيى: المغرب العربي، سبق ذكره، ٢٤٥.

(٣) السابق: ص٢٤٠.

(٤) عبدالعزيز بن عبدالله: سلا أولى حاضرتي أبي رقراق، سبق ذكره، ص ص ١٩ – ٢٠.

(٥) جلال يحيى: المغرب العربي، سبق ذكره، ص٢٤١.

عدد القتلى ولكن دون أن يصل هذا الجانب أو ذاك إلى انتصار نهائي، وكانت هذه المفاوضات من وقت لآخر بين الأمير والسلطان، ومع مضي الوقت أصبحت جيوشهما تتواجه دون أن تلتحم مع بعضها، وكأن كل جيش كان يخشى الهزيمة أو كان كل قائد ينتظر دسيسة أو خيانة لدى الخصم لكي ينتصر دون معركة(١).

وكانت هذه الحروب سببًا في خراب مناطق بأكملها من المغرب، ولم يكن السلطان أو الأمير يأبه بها أو بسكانها، إذ كانت تعتبر بلادهم وأهلها عبيدًا، وكان كل منهم يخرب المنطقة التي يشك في أن خصمه قد يصل إليها بجيوشه، كما أن المعارك أجبرت كثيرًا من الفلاحين على ترك أراضيهم والفرار منها، ومن إمكانية تجنيدهم في القوات المحاربة(٢)، وكانت الجيوش تقوم بالبحث عن الحبوب والأغذية داخل المطامير في القرى المهجورة إلى غير ذلك من الأحداث التي دفعت أهالي بلاد المغرب إلى البحث عن مكان آمن على حياتهم، والذي كان المشرق بما فيه المدينة(٣)، وخلاصة القول أن الأوضاع لم تكن مستقرة في بلدان المغرب بوجه عام طرابلس وتونس والجزائر لم تكن تقل الأحوال فيها سوءًا عن مراكش(٤)، وهو ما دفع المغاربة إلى الاتجاه نحو المدينة المنورة وغيرها من أقاليم الشرق الإسلامي.

ثالثًا: اضطهاد العلماء المغاربة:

ومن الأسباب القوية والمباشرة التي أدت إلى رحيل المغاربة إلى المشرق

---

(١) محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٢٥هـ، تتمة ص ص ١٦٥ وما بعدها.

(٢) جلال يحيى: المغرب العربي، سبق ذكره ص٢٤٨.

(٣) الناصري: الاستقصا، سبق ذكره، جـ٧ ص ص ٤٩ - ٥٠.

(٤) عبدالله محمد جمال الدين: مصير المسلمين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة من بحوث ندو. الأندلس في جامعة الإسكندرية تحت رعاية رابطة الجامعات الإسلامية دار المعرفة الجامعية، إسكندرية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ص٣٧٠.

عامة والمدينة المنورة على نحو خاص اضطهاد المغاربة خاصة العلماء، حيث كان الحكام يتخذون ممن يتعرضون لأعمالهم وتصرفاتهم من العلماء مواقف متشددة، وكانت من نتائج هذه الأحداث السياسية قيام الحكام بقتل العلماء أو نفيهم أو فرارهم إلى المدينة المنورة وهو ما سوف يتضح من بعض الأمثلة لتلك الأحداث.

فمن الأمثلة على هذا الموقف المتشدد الذي يدفع المغاربة إلى الهجرة إلى الحجاز وغيرها من بلدان الشرق ما حدث للشيخ الكراى(١)، وهو من أبرز العلماء في بلاد المغرب فكان يعقد مجلسًا للوعظ الديني، وأنشأ زاوية وأنفق عليها من خالص أمواله ولا يدخل في ذلك معه أحد، وكلما فضل عنده شيء من غلال الوقف يشتري به عقارًا ويضيفه لريع الزاوية حتى اتسع نشاطها، وكل ذلك لم يكن يرضي الحكام، ففي العقد الأخير من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ومطلع فترة البحث تعرض الشيخ الكراي لمحنة على عهد المراديين إبان صراعاتهم على الحكم، إذ دخلوا عليه في زاويته ليلاً بصحبة ستين فارسًا من أتباعهم، وأهانوه وأجبروه على الخروج من زاويته والمشي إلى داره بعد التهديد والوعيد والإهانة(٢).

ومنها كذلك ما حدث من الحكام للشيخ على النوري الصفاقسي المتوفى سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٦م وهو عالم من أهم وأبرز علماء تونس أو المغرب الأدنى، فلم يسلم من أذى الحكام على الرغم من أنه كان قريبًا منهم ومحببًا إليهم، وعلى

---

(١) الكرّاي: هو الشيخ أبو الحسن بن أبى بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن علي بن ميمون الكرّاي الصوفي الوفائي مولده في صفاقس وارتحل إلى الأزهر، ثم عاد إلى بلاده، ثم نل في محنة غادر في أثرها إلى الحجاز، وتوفي سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م.
محمد محفوظ: السابق، جـ٣ ص١٥٥.

(٢) محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، سبق ذكره، جـ٤ ص١٥٦. محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، سبق ذكره، ص٣٢٠.

الرغم - أيضًا - من جهوده السياسية والدينية ضد فرسان القديس يوحنا[١] الذين أتوا من مالطة في الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، ونهبوا مدينة صفاقس وسرقوا سفنها، فخرج هو وتلاميذه من رجال العلم والسياسة وحاربهم حتى رد عاديتهم، ولم يكتف بذلك فإنه تشاور مع الساسة وأنشأ عددًا من السفن بديلة لما نهبه هؤلاء الفرسان، وكانت النتيجة أنه دخل في محنة كبيرة بدلاً من التكريم، وسبب هذه المحنة - كما تذكر المصادر - أن بعض الوشاة الحاقدين وشى به إلى السلطة بأنه يتآمر على قلبها نظرًا لمكانته ونفوذه في بلاده، وصادفت هذه الوشاية أذنًا صاغية من السلطة فنكلت بأتباعها ونجا بالفرار متنكرًا إلى الحجاز، وأرسل السلطان بعد ذلك جماعة من رجال العسكر لأخذ الشيخ وأتباعه وأموالهم، فأرسل بعض أهل الفضل كتابًا إلى الشيخ يحذره قبل وصول العسكر إليه، فلبس إحرام امرأة ونعلها وخرج مع نساء الشيخ أبي عبدالله السيالة متخفيًا مهاجرًا بدينه إلى إحدى الزوايا في تونس، ومنها رحل إلى المدينة المنورة وظل بها حقبة تاريخية قبل استقرار الأوضاع في بلاده[٢].

كذلك فقد كانت الحوادث السياسية قد أفضت إلى خسائر كبيرة وأدت إلى فناء خلائق لا يحصون، ووقع نهب في شتى بلاد المغرب الواسعة ويعبر عن ذلك صاحب الإعلام قائلاً: وكاد أن يهلك جميع من في بلاد المغرب لولا لطف الله ورحمته بالمؤمنين[٣]، كما لخص صاحب شجرة النور سوء الأوضاع في قوله ملقيًا التبعة على الحكام: «متى استعمل على الرعية الأرازل والسفهاء وأهل البطالة والإعلان بالشهوات، كان ذلك داعيًا إلى فساد نياتهم وانهماكهم في

---

(١) فرسان القديس يوحنا: إحدى الجماعات الدينية المسيحية المتعصبة التي قامت بدور خبيث في العالم الإسلامي وحاربته عدة قرون، وكانت تسكن عادة جزر البحر المتوسط مثل مالطة وصقلية وغيرها.

(٢) محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، سبق ذكره، بيروت جـ ٥ ص ص ٥٥ - ٥٦.

(٣) العباس من إبراهيم: الاعلام، سبق ذكره، جـ٨ ص٣١٢.

الشهوات» وختم حديثه ببيت من الشعر قال فيه:

لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا[١].

(٣) الأسباب الاقتصادية:

وبالإضافة إلى ما سبق من أسباب توجد الأسباب الاقتصادية والتي كانت سببًا مهمًا من أسباب رحيل المغاربة إلى المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ذلك أن الصراعات السياسية التي سبق أن تحدثنا عنها سواءً أكانت الخارجية بين بلاد المغرب والأسبان أم الصراعات بين البيوتات الحاكمة وما تلاه من فتن كان لها أثرها الاقتصادي السيء على بلاد المغرب[٢].

وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت المنتجات التي تنتجها بلاد المغرب مثل: الطرابيش والملابس وغيرها من المنتجات الأخرى التي يرغب التجار المغاربة في تصريفها وتسويقها في بلاد المشرق ابتداءً من مصر[٣]، ثم بلاد الحجاز عبر ميناء السويس، وكانت تأتي بالدخل الكبير للمغاربة، وهو ما كان دافعًا قويًّا للمغاربة في العمل التجاري، وبالإضافة إلى ذلك فقد أصبح للمغاربة في المدينة المنورة تأثير قوي في الأنشطة التجارية والزراعية والصناعية البسيطة المؤثرة، مما دفع العديد منهم إلى استيطان المدينة المنورة والعمل بتلك الأنشطة المتنوعة[٤].

كذلك فإن حدوث بعض المجاعات في نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي كانت سببًا لرحيل المغاربة إلى المدينة المنورة، ومنها

(١) محمد مخلوف: شجرة النور، سبق ذكره، ص١٦٢.

(٢) السابق: ص ص ٢١٦ – ٢١٩.

(٣) جيرار: الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، من وصف مصر ترجمة زهير الشايب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٨م، جـ٣ ص ٢٥٣ – ٢٥٤.

(٤) الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، سبق ذكره، ص ص ١٤٧، ٣٩٧، ٤٢٩.

المجاعة التي سميت: «المجاعة الكبرى» وقد وقف فيها العلماء مواقف مشرفة ساعدوا بلاد المغرب في الخروج من نكبتها مثل: الشيخ إبراهيم الرياحي[١]، وكانت من نتائج هذه المجاعة هجرة العديد من العلماء إلى بلاد المشرق والمدينة المنورة، وهذه المرحلة التاريخية سجلت أكبر عدد للهجرة إلى المدينة المنورة[٢].

وبالإضافة إلى ذلك كانت بلاد الشرق أكثر استقرارًا وبالتالي أكثر نشاطًا اقتصاديًا سواءً كانت مصر أم الحجاز أم غيرها، حيث قام التجار المغاربة بالتجارة في المنتجات الهندية والشامية واليمنية والمصرية من خلال وجودهم في المدينة المنورة وعودتهم عبر مصر، وهو ما سوف نفصله في الفصل الثاني إن شاء الله[٣] في دلالة على أن بلاد المغرب كانت أسوأ حالاً من هذه الناحية.

وبعد عرض الأسباب التي دعت المغاربة إلى الهجرة والمجاورة في المدينة المنورة ينبغي إلقاء الضوء على ركب الحج المغربي، وهو الوسيلة الأساسية الآمنة التي كان المغاربة يتخذونها حتى يصلوا إلى المدينة المنورة في يسر وسهولة بعيدًا عن اللصوص والعربان[٤] قدر الإمكان - في ظل حراسة مصرية مسؤولة بصورة كاملة عن ركب الحاج المغربي المصاحب للقافلة المصرية، وهو ما يظهر بالتفصيل من العرض التالي.

---

(١) محمد مخلوف: شجرة النور، سبق ذكره، ص١٦٧.

(٢) محمد ظافر: طبقات المالكية، سبق ذكره، ص ص ٢٨، ٣٣ - ٨٥ وما بعدها.

(٣) جيرار: الحياة الاقتصادية في مصر، سبق ذكره، ص ص ٢٥٣ وما بعدها.

(٤) السراج ابن مليح: أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم و الأعارب، حققه محمد الفاسي، فاس، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص١٣١ والزياني: الرحلة، ص٢٠٩.

ثانيًا: ركب الحج المغربي:

يرى بعض الباحثين أن انتظام ركب الحج المغربي إلى الشرق تأثر بمجموعة من الظروف نلخصها فيما يلي:

(أ) الأوضاع الداخلية في بلاد المغرب: فكلما استقرت هذه الأوضاع وكلما قويت السلطة المركزية وجدنا هذا الموكب، وقد زادت العناية به، وكبر حجمه وتعددت طوائفه، ومن الأمثلة على ذلك الركب الذي خرج على عهد السلطان محمد ابن عبدالله ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م تحت رئاسة ابنه مولاي عبدالسلام، وقد حمل الهدايا والمنح لأشراف الحرمين وإلى مشايخ مصر وطلاب العلم فيها[١].

(ب) كانت هناك علاقة عكسية بين أهمية ركب الحج المغربي وامتداد حركة الجهاد ضد الأوروبيين؛ إذ كلما احتدت هذه الحركة الجهادية كلما شعر المغاربة بضرورة تكريس كل طاقاتهم لصد عدوهم مما كان يؤدي إلى اهتمام أقل بركب الحج، يتضح ذلك من وجهة نظره من الفتاوى التي سجلها صاحب الاستقصا، والتي لعبت دورًا سلبيًا على ركب الحج المغربي[٢] خاصة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي الموافق لفترة البحث.

ولاشك أن الباحث الذي ذكر هاتين الملاحظتين قد وفق في رأيه بالنسبة إلى الأولى، غير أنه ربما غفل في الثانية عن أن العديد من المغاربة من كبار السن أو النساء أو حتى من العلماء الذين لا يستطيعون حمل السلاح والوقوف ضد هجمات المحتلين قد آثر السلامة ورأى الرحيل إلى الحج والزيارة هدفًا أسمى بعيدًا عن

(١) محمد مزين يونان لبيب: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٤١ – ٤٢.

(٢) السابق: ص٧١.

الصراعات العنيفة التي تشهدها البلاد.

ويمكن أن يضاف إلى ما سبق ملاحظة أخرى وهي أن انتظام ركب الحج المغربي كان بهدف تجاري - إلى جانب الأسباب الدينية - إذ يتبادل المغاربة التجارة مع مصر، والحجاز، والهند، واليمن إلى غير هذه الأقاليم حيث يحصل المغاربة على كثير من السلع التي تأتي من تلك البلدان مقابل ما يقدمونه من سلع تجارية مغربية كانت تأتي من بلاد المغرب(١).

ومن الملاحظات التي ينبغي ذكرها كذلك هذا النشاط الواضح للأسر الحاكمة في بلاد المغرب منذ الثلث الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، حيث يزداد قدوم أعضاء من الأسرة الحاكمة بلاد المغرب في ركب الحج، ومن الأمثلة على ذلك قدوم زوجة المولى إسماعيل خناثة بنت الشيخ بكار ابن علي المعافري التي قامت برحلتها سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م، والأمير مولاي عبدالسلام ابن السلطان محمد عبدالله الذي قام برحلته عام ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م(٢).

وكان الركب المغربي يتكون من حجاج أقاليم بلاد المغرب جميعها وينقسم هذا الركب إلى مجموعة من الركبان ينسب كل واحد منها إلى الموطن الذي خرج منها، ومنها:

ركب فاس:

وأسس هذا الركب سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠١م أي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي وأصبح منذ هذا القرن (الثامن الهجري) الركب الرسمي الذي يسير فيه حجاج بلاد المغرب، حتى أن رئيس هذا الركب الإداري أو شيخه

---

(١) جيرار: الحياة الاقتصادية في مصر: سبق ذكره، جـ٣ ص٢٥٦، الزياني: الترجمانة الكبرى، سبق ذكره، ص٢١٤.

(٢) محمد مزين: تاريخ العلاقات المصرية، سبق ذكره، ص٤٤.

هو المسؤول الأول والأساسي عنه وعن بقية الركبان الأخرى، وكان هذا الرئيس هو المعروف بأمير ركب الحاج المغربي و كان يحمل الهدايا لأهالي الحرمين الشريفين والمخصصات الأخرى من أوقاف وهبات(١)، كذلك فقد كان يساعد في أداء مهمته مجموعة من العربان الذين يقدمون المساعدة على حفظ الأمن لركب فاس ومن ينضم إليه(٢).

ركب سجلماسة(٣):

وكان هذا الركب يخرج من سجلماسة ذاهبًا إلى تافيلالت وهو ركب قديم، وأما أول من سير هذا الركب الجد الأعلى للبيت العلوي الشريف، وكان يسير تحت إمرته رئيس يختاره أهل الركب من أفضل القوم، وتذهب فيه خلائق كثيرة وكان لا يخلو من كبار الأعلام، ويعد هذا الركب من أشهر الركبان بعد الركب الفاسي(٤).

الركب المراكشي:

وينسب هذا الركب إلى إقليم مراكش في أقصى بلاد المغرب وكان خروجه من العصور المتقدمة، وظل يخرج في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر

---

(١) المنالي، الشيخ عبد المجيد، بلوغ المرام الرحلة إلى بلد الله الحرام مخطوطة بمكتبة الرباط بالمغرب تحت رقم ٣٣٩٨ تاريخ ورقة ٢٥ – ٢٧.
محمد المنوني: ركب الحاج المغربي، تطوان، المغرب، ١٩٥٣م، ص١٢.

(٢) رضا الشوربجي: الرحلة المغربية إلى الأزهر الشريف في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر، بالقاهرة، ٢٠٠٢م، ص٨٣.

(٣) سجلماسة: مدينة في جنوب بلاد المغرب في طرف الجزائر والمغرب، بها نهر كبير عليه بساتين ونخيل، أهلها يعملون بالتجارة لوجودهم على طريق غانا حيث معدن الذهب.
البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر، ١٩١١/ ص ص ١٤٨ – ١٥٢.

(٤) الدرعي، محمد بن عبدالسلام الناصري ١٢٣٩هـ، ١٨٢٣م: الرحلة الناصرية، طبع حجر، فاس، ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م، ص١١١.

الميلادي وكان أمير هذا الركب يحمل الصرة وبعض الهدايا الأخرى مثل: الشمعدانات، والعديد من الأصناف المتنوعة التي ترسل إلى المسجدين الشريفين، والأشراف، وغيرهما[١].

بالإضافة إلى ما سبق توجد بعض الركبان الأخرى ومنها ركب شنقيط وهو ركب سكان موريتانيا الحالية وما حولها من أقاليم؛ إذ كان يمثل مكانة متميزة في نفوس أهالي تلك البلدان[٢].

وكانت تلك الركبان تسير من أقصى بلاد المغرب إلى المشرق في نفس الطرق التي اعتاد أمراء الركبان سلوكها حتى يصل الركب إلى مصر ويتوقف بها[٣] حتى ينضم إلى الركب المصري وذلك كما سبق أن قدمنا.

وإذا اقترب موعد السفر إلى الحجاز يأخذ خطباء المساجد في إعلان ذلك للناس والحث على الرحلة إليه، وذلك قبل أواخر شهر ربيع الأول، ويبدأ هذا الوضع من مدينة فاس، كذلك يقوم المنادون بالإعلان عن خروج الركب ويومه بالتحديد، وفي أوائل جمادى الثانية يتحرك الركب خارج مدينة فاس، وينزل الركب من باب الفتوح إلى الضفة الشرقية لوادي "سبو" في هيئة بديعة، وشارة حسنة من الاحتفال ونصب الأخبية، وقرع الطبول، وإظهار الزينة، ويُشيّع الركب تشيعًا منقطع النظير، وقد يحضره السلطان، وحاشيته، والرجال، والولدان، والأحرار والعبيد؛ كما يخرج الشعراء لإلقاء القصائد احتفالاً بخروجه[٤]، وهو في هذا يشبه الاحتفالات المصرية بالمحمل المصري في ميدان الرميلة بالقلعة، وقد وصفها بكل

---

(١) الناصري: الاستقصا، سبق ذكره، جـ٥ ص ص ١٥٠ – ١٥١. المنالي: بلوغ المرام، ٢٨.

(٢) رضا الشوربجي: الرحلة المغربية إلى الأزهر الشريف، سبق ذكره، ص١٠٦.

(٣) عباس الجراري: مدخل لرحلة الحضيكي، من أبحاث مصادر تاريخ الجزيرة العربية، مؤتمر تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٩٧٩م، جـ٢ ص٣٧٨.

(٤) محمد المنوني: ركب الحج المغربي، ص ص ١٥ - ١٧.

دقة العياشي، والورثيلاني، والوزاني[١]، وهو ما سنتعرض له في الصفحات التالية.

وصول الركب المغربي القاهرة:

وعندما يصل الركب المغربي إلى القاهرة يقوم أميره بتسليم رناسته لمفتي الديار المصرية الذي يقوم بدوره بتسليمه إلى أمير الحاج المصري[٢]، ومنذ هذه اللحظة يكون الركب في مسؤولية الأمير المصري ويقوم بالحفاظ عليه من فتن العربان ومن أي سبب يحفظ منه القافلة المصرية.

وتكاد الأحداث من أول دخول القاهرة حتى خروج الركب المغربي مع القافلة المصرية تتشابه في كتابات الرحالة المغاربة، ونترك الرحالة يتحدثون بأنفسهم عن تلك الأحداث منذ استعداد المصريين والمغاربة للسفر إلى الحجاز وتجهيزهم لأشيائهم وحاجاتهم وشرائهم أدوات ومؤن السفر، فيسجلون كل هذه الأحداث بالتفصيل لكن الجدير بالذكر أن الرحالة ينقلون عن بعضهم البعض بحيث إننا لا نجد للرحالة المتأخرين إضافة جديدة على تلك الموضوعات، فإذا رجعنا إلى استعداد المغاربة للسفر وتجهيزهم وبقية تلك الموضوعات وجدناها عند العياشي والورثيلاني والمنالي والزياني منقولة بالنص مما ذكره العياشي في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي[٣].

ولذا فإننا نترك الرحالة يعبرون عن هذه الموضوعات بأسلوبهم في الصفحات التالية ونختار ما وجد في الترجمانة الكبرى لنسجله في هذا التمهيد.

---

(١) العياشي: الرحلة العياشية طبع على الحجر فاس. ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م جـ١ ص١٩٢ والورثيلاني: نزهة الأنظار، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٧ والوزاني: الترجمانة الكبرى، ص٢١٤.

(٢) العباس إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات، جـ٥ ص٢٦٠.

(٣) المنالي: بلوغ المرام، ١٣٧ - ١٣٨.

استعداد المغاربة للسفر[١]:

يروي الزياني عن خروج المحمل المصري وصحبته الركب المغربي من لحظة خروج المحمل وكيفية الاستعداد قائلاً:

«ومن يوم خروج المحمل شمرُ الناس عن ساق الجد في التجهيز للسفر باتخاذ الزاد وشراء الإبل وكرائها، وأزيحت العلل وكان الناس قبل ذلك في سعة من أمرهم، وقدم الجمالون من الصعيد والأرياف، وكثر طالبوا الكراء، و اختلفت رغبات الناس، فمن مائل إلى الكراء ومن مائل إلى الطلوع بإبله، فمن أراد راحة بدنه وتعب قلبه والخصومة آناء الليل وأطراف النهار اكترى، ومن أراد سلامة قلبه ودينه والمخاطرة بماله اشترى إبله، ثم يأتي عرب الدرب للكراء على حمل الفول من مصر إلى المويلح، فيكتري من عندهم كل من يطلع بإبلهم على ما يحتاج من العلف إلى المويلح، إذ لا لتقدم الإبل على حمل زادها، ومما زاد أربابها ذهابًا وإيابًا»، وكان الزياني يحفز المغاربة على أن يحصلوا على كافة احتياجاتهم حتى لا يقعوا في المشقات فيقول: «ومن أراد المخاطرة فلا يكترى شيئًا، ويشترى في كل بندر ما يحتاج، إلا أنه ربما يقل في بعض الأحيان فيشتري في بعض المحال غالبًا، وغالب الأوقات يكون الأمر متقاربًا في الشراء والكراء وربما كان الشراء أرخص من الكراء، ولا يكترى أحد عند عرب الدرب للفول، حتى يأتي شيخهم إلى أمير الركب «ويتقاطع» معه الكراء ويعطوه حملاً ليس هناك بمصر لئلا يفروا، ومع ذلك غدروا في بعض السنين وارتفع سعر الفول في بعض البنادر».

ويتحدث الزياني ويتابعه على ذلك المنالي[٢] كذلك يقدم لنا الطنجوي معلومات

---

(١) الزياني: الترجمانة الكبرى، ص٢٠٩.

(٢) المنالي: بلوغ المرام، ١٣٨.

يتحدث فيها بالتفصيل عن استعداد المغاربة للسفر من القاهرة وحتى الحجاز[(١)].

ارتباط المغاربة بخروج المحمل المصري

فإذا كان اليوم الحادي والعشرين من شوال، خـرج المحمـل الشـريف مـن القاهرة، وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الكبير الذي هو مـن أيـام الزينـة، ويجتمع له الناس من أطراف البلد، يؤتى بكسوة البيت[(٢)] من موضـع خياطتهـا، وتجعل في المحال التي تحمل منها، ويجتمع الأمراء والصناجق والجند جميعًا على الهيئة المتقدمة في الخروج الأول، إلا أن هذا أتم احتفالاً وأكثر جمعًا، فإذا تكامل جمع الأمراء على الوجه المتقدم وصُفّت الخيل والرماة وخرج الباشا، جيء بجميع ما يحتاج إليه أمير الركب من إبل، وقِرب، ومطابخ، وخيل، ورماة، وغير ذلك من الأسباب التي تخرج من بيت المال، فيحضر جميع ذلك في الميدان، كل طائفة لها أمير مقدم عليها، حتى الطباخين والفراشين، ثم يؤتى بالمحمل الشريف على جمله المذكور أولاً، يقوده سائسه حتى يناول «رسن» الجمل للباشا فيأخذه بيده ويناوله لأمير الحاج بمحضر القاضي والأمراء ومعاينتهم، ثم يناوله أمير الحاج لسائسـه فيذهب به، وذلك كله كالشهادة على الباشا بأنه مكّن لأمير[(٣)] المحمـل وكـل مـا يحتاج إليه أمير الحاج من ذهابه إلى إيابه، وبأنه تسلم ذلـك، ويشـهد القاضـي

---

(١) الطنجوي، أبو علي الحسن من الغسال الطنجي؛ الرحلـة الطنجويـة الممزوجـة بالمناسـك المالكية، مخطوط بمعهد المخطوطات التاسع لجامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم ٢٧٧٥ تاريخ ص ٨ – ١١.

(٢) المقصود بها كسوة الكعبة المشرفة والحجرة والبسط التي كانت تفرش بالحرمين، بالإضـافة إلى كساوى العديد من الأضرحة في المدينة ومكة.
دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر أمناي مذكورين مال فرض الكسـوة الشـريفة واجـب ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م/م ١٨٠١ نوعي ٨٩-٣ عن ٥٥٥ م ع ٥٥٥ مخزن تركي (١).
السيد محمد الدقن: كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، طبعة أولى، القـاهرة، ١٩٨٦م، ص ص ١٩ وما بعدها.

(٣) الزياني: الترجمانة، ص ص ٢٠٩ – ٢١٠.

والأمراء ويكتب بذلك إلى السلطان، فإذا مر المحمل بين يدي الباشا وذهب، جيء بالإبل فتمر بين يديه بما عليها من القرب والمطابخ[١] والآلات، كل طائفة بمقدمها، فإذا مرت الإبل كلها جيء بالمدافع، وهي خمس تجرها البغال، ثم جاء الرماة الرجالة من ورائها فيمرون، ثم تأتي الخيل فتمر، فإذا مر جميع ذلك بين يدي الباشا جاء أرباب الطوائف كل طائفة من مشايخ الصوفية بشيخهم ولوائهم رافعين أصواتهم بالذكر، كالقادرية، والرفاعية، والبدوية، والدسوقية، حتى السعاة يأتون بشيخهم فيمرون بين يدي الباشا، ويعطيهم ما تيسر فإذا لم يبق أحد ممن يمر بين يديه، خلع الباشا على أمير الحاج خلعة، وعلى كل أمرائه الذاهبين معه، كالكخيا، والدويدار، وغيرهما، ثم يودعه وينصرف، ثم يمر بالمحمل وسائر الإبل والعسكر وسط المدينة، والناس مشرفون من الديار والمساجد التي تلي الديار المشرفة على الشوارع، ويتعطل غالب الأسواق في ذلك اليوم[٢].

لدرجة أن تلك الديار المشرفة على الشوارع قد تؤجر لذلك الغرض من أول السنة ولا يسكنها مؤجروها ولا ينزلونها إلا في ذلك اليوم بقصد التفرج، وفيما سوى ذلك من الأيام تبقى معطلة أو يسكنها غيرهم، وبالجملة فهذا اليوم في مصر من أعظم أيام السنة، ولا ثاني له إلا يوم دخول الباشا لمصر[٣]، ويوم كسر النيل

---

(١) يقصد بالقرب سحابات الماء التي كانت تحملها الجمال لسقي الحجاج في طريق الحاج وكانت خلال القرن الثاني عشر منتشرة بقوة حيث وصلت إلى اكثر من عشرين سحابة.
أرشيف وزارة الأوقاف: حجة سليمان القازدغلي على سحابة على الحرمين الشريفين، حجة شرعية رقم ١٩٧٢ ص١٠ وما بعدها.
محمد علي فهيم: مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٢٦.

(٢) الزياني: الترجمانة، ص٢١٠.

(٣) تقصد تؤجر وقد ذكرها الورثيلاني كذلك حيث ينقل عن الزياني ينظر.
الورثيلاني: الرحلة، ص ص ٢٦٨ – ٢٦٩.

عند وفاته، ويقرب منه أيضًا يوم قدوم الحاج، حيث يكون يومًا في غاية السرور[1].

فإذا خرج المحمل في الميدان الذي على باب القلعة إلى فضاء الرميلة، بقي الكثير من الخيل هنالك للعب، ولا يذهب معه إلا المعنيون بالسفر معه، والرميلة فضاء واسع خارج قلعة الجبل، فيه تباع الإبل والخيل وسائر الدواب، وبه يوجد غالب ما يحتاجه الحاج من الأثاث والأمتعة وتنصب فيه أيام الموسم أرامي متعددة «لتدشيش» الفول يديرها الرجال بأيديهم مع كبرها، وقد أعطوا قوة على ذلك يطحن الرجلان أرادب متعددة في يوم واحد، فتكون بالرميلة صبر من الفول المدشش، كل صبرة تزيد على المائة أردب، ومن هناك «يكيل» غالب الحاج فولهم ويعمرونه هناك في غرائرهم ويمكنونه للحمالين فيذهبون به، فلا يراه صاحبه إلا في المكان المشترط معهم وهو المويلح غالبًا، ويواكب خروج المحمل المصري والركب المغربي احتفالات كثيرة وأيضًا حلقات للأطفال والكبار يلعبون هناك في سائر الأيام كأنواع المشعوذين وأصحاب القرود وأشباههم من أصحاب اللعب بأنواع الحيوان كالدب والحمير والتيوس والكلاب[2].

كيفية خروج ركب المغاربة

وأما ركب المغاربة فلا يخرج منهم إلا من قصده الذهاب مع المصري مؤثرًا مشي النهار، مستسهلاً مشقة السهر بالليل على حر النهار، لا سيما في أيام الصيف، وإنما يؤثر ذلك صنفان من الناس أهل القوة الذين لهم شغف ومحامل

---

(١) يوم وصول الباشا إلى القاهرة قادمًا من تركيا عبر الإسكندرية حيث كان من أعظم احتفالات المصريين. عنه يراجع:

ابن الوكيل: تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق د/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٧٠.

(٢) المنالي: الرحلة الحجازية، ١٦٤ – ١٦٥.

وهوادج ينامون فيها بالليل على ظهور الإبل، ويصحون بالنهار كأنهم مقيمـــون، ولاشك أن هذا أولى لهم من السير نهارًا إذا وطنوا أنفسهم علـــى بـــذل الـــدينار والدرهم للجمال «والعكام» والسقاء والطباخ وقائد الإبل وغيرهم، والصنف الآخر للفقراء الذين لا إبل لهم ولا أمتعة يرافقون الركب المصري بالماء المســـبل فـــي أوقات من الليل، وعند الرحيل نهارًا مع ما ينالهم من أهل المروءة من التصـــدق بفضل الأطعمة، إلا أنهم يكابدون مشقة عظيمة في المشي والسهر لـــيلاً، وفـــي النهار يشتغلون بالسعي على ما يقوتهم، فلا يكـــادون ينـــامون إلا قلـــيلاً، وأمـــا المتسوقة والباعة والجمالون من فلاحي مصر، فلهم قوة وفرط صـــبر، ومكابـــدة أعظم من ذلك، فبالليل يسيرون وبالنهار يعملون في البيع، والشـــراء، والســـقي والطبخ، وعلف الإبل، وإصلاح أقتابها، ومداواة جراحاتها، فلا يكـــادون ينـــامون حتى القليل، لدرجة أن يتحدث الزياني عن قوة نشاطهم وجلدهم فيقول(١): «وقـــد أخبرنا عن بعض من اعتاد السفر في الدرب الحجازي من الجمالين أنه لم ينم من يوم خرج من مصر إلى أن رجع إلى مصر مائة يوم وهذا كالمحال عادة، فإن صح فهو أغرب الغرائب، ولعله كان لا يضطجع للنوم على هيئة القاصد لذلك، بل يغفي إغفاءة تارة، وتارة، وتارة في وقت انتظار حاجة، أو فراغ من أكل، وما يضاهي ذلك، فإن كان مثل هذا فلا يستبعد».

سفر المغاربة عن طريق البحر

وأما من لم يقصد الذهاب مع الركب المصري من المغاربة فلا يخرجون إلـــى اليوم السابع والعشرين من شوال، وينزلون بالبركة(٢) عند رحيل الركب المصري

---

(١) الزياني: الرحلة، ص ٢١٣ والمنالي: بلوغ المرام، ورقة ١٣٨ – ١٣٩.

(٢) البركة: هي بركة الحاج وهي مكان شرق القاهرة كان يستقر فيه الحجاج ومن عنـــدها تبـــدأ الرحلة إلى الحجاز رسميًا بوجود وحضور الباشا وأعوانه.

علي مبارك: الخطط التوفيقية، ٢٠ جزءًا عن طبعة بـــولاق، القـــاهرة، ١٣٠٥هـــ، جـــ٩ ص٤٣.

أو قبله، ومن تخلف بقليل عن السفر مع الركب المصري ربما لقلـة ذات يـده، يتوجه لمدينة السويس ويركب لجدة من بحر القلزم[١].

فلقد كان الزياني ممن ركب عبر هذا الطريق إبان رحلته ليس بسبب ضيق ذات يده وأنما تكريمًا من الإدارة المصرية يقول في ذلك: «ومن الغد جاءني الصاحب بكتاب من عنده لوالي السويس عثمان أغا يؤكد عليه في شأني، ويأخذ لي قامرة في مركب، وأواني ماء ووجاق طبخ، وما لابد منه في المركب، وأن يكتب لي كتابًا من عنده لوالي جدة في الصاحب من عنده بفرس أنثى بسرجها أركبها لمدينة السويس وأسلمها للحاكم يبعثها له بمصر، وأمر الصاحب أن يكترى لي من الإبل ما يكفي الزاد والأثاث وركوب الخدم فقام بذلك واكترى لنا الإبل، ووقف معنا إلى أن خرجنا من مصر وودعنا ورجع جزاه الله خيرًا، ولما أشرفنا على مدينة السويس تقدمت الإبل واجتمعت بالوالي عثمان أغا وقدمت له الكتاب فلما قرأه وجه أمره لأمير المراكب فحضر عنده وأمره أن يعيّن لنا قامرة في إحدى المراكب، فقال له: إن كلها مملتئة موسوقة[٢].

ثم بعد ذلك أصبح الطريق البحري هو الطريق الأمثل للحجاج المغاربة وهو ما يدفعنا أن نفرد له السطور التالية.

الركب البحري

كل الركاب السابقة كانت تسلك طريق البر في ذهابها وإيابها وفوق ذلك فقد كانت جماعات تؤلف ركابًا تسافر في البحر ذهابًا وإيابًا، ولم يكن هذا وليد تقدم السفر في البحار بظهور السفن التجارية؛ بل كان قبل ذلك بزمن بعيد، ومن أمثلة هذا الركب الذي سافر فيه الفقيه الأديب محمد بن علي الرافعي الأندلسي التطواني عام ١٠٩٦هـ / ١٦٨٤م، فقد أبحر من مرسى تطوان قاصدًا الديار المقدسة ثم

---

(١) الزياني: الرحلة، ص ص ٢١٣ – ٢١٤.

(٢) السابق: ص٢١٥.

رجع على هذه الطريق حتى نزل بالمرسى المذكورة.

وكثيرًا ما كان بعض الحجاج المغاربة يرجع على طريق البحر، ومن هذا وفد مغربي من أهل مراكش وسوس - حوالي منتصف القرن الثاني عشر -، ومن هذا أيضًا وفد آخر يتألف من (٤٠٠) مغربي من أهل فاس وغيرهم، ركب من الإسكندرية ليرجع إلى المغرب في القرن الثاني عشر الهجري وفي أيام السلطان المولى سليمان أخذ يرجع على هذه الطريق حتى الأمراء مثل ابن السلطان المذكور الأمير المولى إبراهيم، وابنيه الآخرين الأميرين المولى عمر والمولى علي، ومن أيام السلطان المولى عبدالرحمن كثر الحج على البحر ذهابًا وإيابًا وعليه - من مرسى طنجة -[1] حج ورجع ركبان هيأهما السلطان المذكور الأول عام ١٢٦٥هـ، وجه فيه ولديه الأميرين المولى الرشيد والمولى سليمان وحمّله هدايا، وقصيدة للحضرة النبوية الشريفة من نظم المؤرخ أكنسوس المراكشي، والركب الثاني بعثه عام ١٢٧٤هـ كان فيه أبناؤه الأربعة الأمراء؛ المولى علي، والمولى إبراهيم، والمولى عبدالله، والمولى جعفر، وابن عمهم المولى أبوبكر بن عبدالواحد ابن السلطان سيدي محمد بن عبدالله، وقد احتفل السلطان المولى عبدالرحمن بهذا الركب وبالغ في تجهيزه بما لم يتقدم في الركب قبله، فبعث فيه طائفة من أعيان العلماء وأكابر التجار والأمناء مثل قاضي مكناس الشيخ ابن سودة، وأخيه القاضي بعده الشيخ أحمد بن سودة، والحاج محمد ابن الحاج أحمد الرزيني التطواني والحاج محمد بن جنان البارودي التلمساني، كما وجه مع الركب شيئًا كثيرًا من الأموال لأشراف الحرمين، ولخواص معينين من الفقهاء

---

(١) طنجة: مدينة قديمة مأهولة بالسكان بها ميناء كبير ودار صناعة سفن وبها أبراج وقلاع ومحارس ومقطم السكان ينسبون إلى صنهاجة.

الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٤م، ج٢ ص٢٢٩.

والمجاورين ولعلماء الأزهر على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم[١]، ولم يكتف هذا السلطان بذلك حتى زوّد أولاده الأمراء بوصية كافية شافية أصحبهم إياها.

وبعد هذا نختم الحديث عن الركب البحري ببيان أنه هو الذي نسخ سائر ركاب المغرب الأخرى، وحلّ محلها وصار مع مر الزمن هو ركب المغرب الرسمي[٢].

وخلاصة السير في هذا الطريق تتمثل في خروج الركب المغربي إلى البحر سواءً في تونس أو الجزائر أو المغرب أو غيرها حتى مصر حيث يصلون إلى السويس ومنها إلى ينبع ومنها إلى المدينة المنورة وهو نفس الطريق الذي سلكه أبوراس الناصري[٣]، والكثير من الرحالة المغاربة[٤] وصفوا مراحله بكل دقة والتي لا يتسع المجال لذكرها في هذا التمهيد المختصر.

الصعوبات التي واجهت الركب المغربي:

ولقد واجهت الركب المغربي صعوبات أمنية، وسياسية، وطبيعية في المقام الأول حيث كان الركب يتعرض للعديد من فتن العربان الذين كانوا يخرجون في الأساس لملاحقة أمير الحاج المصري[٥] بما معه الركب المصري وركاب المغاربة ، كذلك فقد تعرض الباشوات للمغاربة الذين كانوا يحملون الكسوة داخل القاهرة وذلك في سنة ١١١٠هـ / ١٦٩٩م حيث كان المغاربة حسب العادة يحملون الكسوة ويمرون بها داخل القاهرة للتبرك بحملها، ومن عادتهم أنهم كانوا

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، لبنان (د.ت) جـ١ ص٥٩١، ومحمد المنوني: من حديث ركب المغاربة، ص٤١.

(٢) السابق ص٤١.

(٣) أبو القاسم سعد الله: الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثماني، مصادر تاريخ الجزيرة العربية مؤتمر جامعة الرياض ١٩٧٩م، ص٣٣٩.

(٤) محمد بن يحيى بن المختار الولاتي ت ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م: الرحلة الحجازية، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت د. ت ص١٦٧.

(٥) الورثيلاني: الرحلة، ص ٥٢١ – ٥٢٢.

يضربون من يشرب الدخان فضربوا رجلاً من أتباع مصطفى باشا القازدغلي فحبسهم ومنعهم من الحج وظلوا مطاردين حتى مات العديد منهم(١).

كذلك كان أمير الحاج المصري يقوم بحراستهم وحمايتهم، وكان يُعنف من قِبَل الإدارة أشد التعنيف إذا قصَّر في أداء هذه الأمانة ولقد حفظ لنا المؤرخون المعاصرون للقرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي بعض الأمثلة لما حدث للقافلة المصرية والركب المغربي المصاحب لها في الطريق بين مصر والحجاز ففي سنة ١١٥٨هـ / ١٧٧١م وفي إمارة خليل قطامش(٢) حينما منع عوائد العربان ورواتبهم فهيجهم على ركب الحاج خاصة المغربي و سلب أموال التجار وكانت أولاد خزينة ومماليكه أكثرهم عبيد سود يقفون في حلزونات العقبة ويطلبون من الحجاج دراهم مثل الشحاتين(٣)، وحينما وصلت الأخبار إلى صاحب المغرب الذي فزع لهذه الأحداث.

فأرسل رسالة مطولة قال فيها: وإن مما شاع بمغربنا - والعياذ بالله - وذاع وانصدعت منه صدور أهل الدين والسنة أي انصداع وضاقت من أجله الأرض على الخلائق... ثم يقول: فيالها من مصيبة وما أعظمها من داهية ما أجسمها فكيف يا أمة محمد ﷺ يهان أو يضام حجاج بيت الله الحرام... وبسببها تأخر الركب هذه السنة..»(٤).

---

(١) ابن الوكيل: تحفة الأحباب ص٢٢٥.

(٢) خليل قطامش: من رجال مصر في القرن الثامن عشر تولى مناصب عديدة منها إمارة الحاج والصنجقية وغيرها من المناصب ودخل في صراعات مع البكوات حتى كانت وفاته سنة ١١٦١هـ / ١٧٤٨م. م يراجع.

الجبرتي: عجائب الآثار، جـ١ ص ص ٢٥٨ - ٢٦٠.

(٣) المصدر السابق جـ١ ص٢٥٨.

(٤) الجبرتي، عجائب الآثار، جـ١، ص ٢٥٨.

وكان رد علماء مصر على هذه الرسالة بما يثلج صدر السلطان المغربي[١] ويطمئنه بما حدث للأمير خليل بك قطامش وكانت رسالة مطولة لم يذكرها الشيخ عبدالرحمن حسن الجبرتي[٢] وقام باشا مصر بالرد الذي يهدئ من روع صاحب المغرب ويخبره بأنه قد اتخذ موقفًا من مدبر هذه الأحداث بما يوافق كيده وفعله[٣]، وإزاء مثل هذه الأحداث كان طبيعيًا ما عرضنا له من تدخل سلطان المغرب ثم ترتب على ذلك انقطاع الموكب الرسمي للحجاج المغاربة في بعض السنوات خاصة التي تلت هذه الواقعة التي حدثت الاضطرابات وبسببها تأخر الركب في السنة التالية أيضًا (١١٥٩هـ / ١٧٤٦م)[٤].

بالإضافة إلى سنوات الاحتلال الفرنسي لمصر ابتداءً من ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م ويذكر مؤلفًا تاريخ العلاقات المصرية المغربية أن هذا الانقطاع كان بمثابة الاستثناء أما العادة فقد جرت على قدوم الركب المغربي وعلى مصاحبته للقافلة المصرية[٥].

وكان طبيعيًا إزاء كل هذه الأحداث أن يقوم المغاربة بعدة ترتيبات منها:

الأول : استقرار المغاربة على اختيار خمسمائة من أبطال قبيلة زناته لحراسة ركب الحج أثناء الطريق.

الثاني: زيادة المخصصات والهدايا إلى أهالي الحرمين الشريفين والعربان لتأمين ركب الحج المغربي[٦].

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، جـ١ ص٢٥٩.

(٢) مولاي عبدالله. الباحث.

(٣) الجبرتي في عجائب الآثار، جـ١ ص٢٥٩ - ٢٦٠.

(٤) د/ محمد مزين ود/ يونان: تاريخ العلاقات المصرية المغربية، ص٧١.

(٥) السابق ص٧١.

(٦) محمد المنوني من حديث ركب الحج، ص١٢.

الثالث: اتحاد ركبان الحج المغربية الفاسية والمراكشية والشنقيطية وغيرها وكان الاتحاد في الغالب تحت رئاسة الركب الفاسي مثلما حدث سنة ١١٢١هـ / ١٧٠٩م في نفس العام الذي حج فيه الشيخ أبوالعباس بن أحمد الناصري الدرعي المتوفى سنة ١١٢٩هـ / ١٧١٨م[١]، كذلك كانا يجتمعان وكان كل ركب رئاسته المستقلة، مثلما كان الأمر في أعوام ١١٠١هـ / ١٦٨٩م والذي كان فيه الشيخ على نور الدين السوسي،[٢]. وكذلك أورد الشيخ السورثيلاني أن هذه الركاب مجتمعة كانت تشير مترابطة غير أن رئيس كل ركب لم يكن له سلطان على الآخر، كما أورد أيضًا أن الركب المغربي بكامله كان يتأخر عن الركب المصري وذلك لأسباب أمنية، وللصراع الناشب بين أمير الحاج المصري والعربان الضاربين على طريق الحجاز[٣].

ومن الجدير بالذكر أن ركب المغاربة لم تكن له علاقة كبيرة بما تتعرض له القافلة المصرية من مشكلات مع العربان ففي رحلة الشيخ الدرعي الصغير يحكي عندما أخذ العربان من الركب المصري موقفًا عنيفًا بسبب حقوقهم المالية السنوية أرسلوا رسالة إلى الركب المغربي في عُسفان يُذكر لشيخ الركب فيها: إن المغاربة ليس بيننا وبينهم إلا الخير، وأردناكم أن ترحلوا وتخلوا بيننا وبين المصري بعد أن تعدّي علينا»[٤].

وبالإضافة إلى العقبات الأمنية كانت هناك عقبات طبيعية من سموم، وسيول، وقلة الماء مما أتلف الناس ومات فيه المئات من الجوع، والبرد، والعطش حتى

---

(١) أبوالعباس الدرعي الناصري: الرحلة الناصرية طبع في الحجر فاس ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م ص١١١.

(٢) محمد المنوني: ركب الحج المغربي ص٣٤.

(٣) الورثيلاني: الرحلة، ص٥٣٠ - ٥٣٤.

(٤) د/ عبدالكريم كريم: بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة من أبحاث، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٩٧٩م، ص٤١١.

أنه في السنة التي حج فيها الناصري الدرعي مات في الوجه فقط ما يزيد علـــى الستين من النساء، والصبيان، والرجال، والولدان ويقول عن كل ذلك: هـــو مـــا رأيناه عيانًا[١].

وكان للركب المغربي حين وصوله الحجاز وبعد الحج يستقر من يحـــب مـــن المغاربة في المدينة إما بقصد المجاورة مدة مؤقتة أو الاستقرار الكامل فيها حتى يدفن في ثراها وبالتالي يتخذها موطنًا ويشارك في أحداثها من كافـــة الجوانـــب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية وهو ما سوف يتضح فـــي الفصـــول التالية إن شاء الله.

(١) الدرعي: الرحلة الناصرية، ص٩١.

الفصل الأول

دور المغاربة في الحياة السياسية

في المدينة المنورة

كان للمغاربة في المدينة المنورة وجود سياسي مؤثر وقوي شاركوا من خلاله في النظام السياسي خاصة في الفرق العسكرية، والقضاء والمناصب العلمية والدينية، كذلك فقد شاركوا في الأحداث السياسية بصورة لافتة للنظر، حيث يمكن القول أنه لا يوجد حادث سياسي مهم إلا وشارك فيه المغاربة وعلى الرغم من أن المغاربة كانوا طائفة قوية الشأن فلم يشاركوا في الأحداث كطائفة في الغالب وإنما كانت مشاركاتهم تبعًا لوظائفهم ومهامها، مما يؤكد على إشارة غاية في الأهمية ألا وهي أن العنصرية لم تكن واضحة عند المغاربة الذين قطنوا المدينة المنورة خلال مرحلة البحث التاريخية، وقد دعم وجود المغاربة في المدينة المنورة بعض المظاهر التي تمثلت في العلاقات الرسمية السياسية بين المغاربة والحجازيين، وهو ما يدفعنا إلى إلقاء الضوء على هذه المظاهر قبل أن نتحدث عن المشاركات السياسية للمغاربة في المدينة المنورة.

أولاً: مظاهر العلاقات الرسمية بين المغاربة والمدينة المنورة:

لاشك أن العلاقات السياسية والتواصل بين المغاربة والمدينة المنورة – ومكة المكرمة – قديمة قدم الإسلام وانتشاره في تلك البقاع الشاسعة، مما مكن من وجود علاقات سياسية واضحة وقوية بين بلاد المغرب من جانب ومكة والمدينة وباقي مدن الحجاز من جانب آخر، فقد كانت هناك مظاهر لتلك العلاقات السياسية الودية تمثلت في الرسائل المتبادلة مع أمراء الركب المغربي والصرة بما تمثله من جانب سياسي بارز مكنت من توطيد وتدعيم الجهود السياسية للمغاربة في المدينة المنورة بالإضافة إلى ما يسمى رسالة الحضرة النبوية بما تمثله من خصوصية للمدينة المنورة وهو ما سوف نعالجه في السطور القادمة.

١) المراسلات مع أمراء الركب المغربي:

وكانت هناك علاقات سياسية بين أهالي المدينة وأشرافها من ناحية، وساسة المغرب ورجاله من ناحية أخرى، وكثرت المراسلات بين حكام المغرب ومكة

والمدينة ويلحظ في غالب تلك المراسلات أن المغاربة كانوا يوجهون الرسالة إلى شريف مكة على اعتبار أنه حاكم مكة والمدينة، فيقول حاكم المغرب في إحدى تلك الرسائل لأمير مكة والمدينة والحجاز السلطان حسن يستوصيه فيها بشيخ ركب الحاج ويلتمس منه الدعاء(١).

وكان أمراء ركاب الحج المغربي عادة ممثلين لسلاطين المغرب في مكة والمدينة وأما أشهر من تولى هذه الوظيفة ما يلي:

- الشيخ الصالح الحاج الحسيني المتوفى بعد عام ١١١٠هـ / ١٦٩٨م قاد ركب الحجيج غير مرة.
- الحاج محمد صغيرة الأندلسي ترأس الركب الفاسي سنة ١١٢١هـ/١٧٠٩م وفي نفس العام ترأس ركب الحج السجلماسي الحاج المولى العربي بن أحمد بن يوسف العلوي(٢).
- الشيخ عبدالقادر من عائلة بني عديل توفى سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٨م وهو أمير ركب الحج المغربي ودفن بالحجاز.
- الشاوي من بني عديل والشيخ عبدالخالق من بني عديل سنة ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م.
- الشيخ محمد بن الشاوي وتولى ركب الحج المغربي سنة ١١٦٢م / ١٧٤٩م.
- الحاج أحمد شقشاق تولى رئاسة ركب الحج ومحمد الفلوسي سنة ١١٦٦هـ / ١٧٥٢م.
- كما تولى الحاج محمد بن زاكور سنة ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م إمارة الركب

---

(١) المنوني: من حديث ركب الحج، ص٨٠.

(٢) الدرعي: الرحلة الناصرية، جـ١ ص٢٧.

المغربي والحاج عبدالكريم بن يحيى المتوفى سنة ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م، والذي تولى هذا المنصب سنة ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م[1].

وأخيرًا تولى المولى عبدالله بن علي العلوي أمير ركب سنة ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م[2].

فقامت هذه الكوكبة التي تولت أمور ركب الحج المغربي بدور مهم في تدعيم العلاقات السياسية بين المغاربة والحجاز خاصة المدينة المنورة.

ثانيًا: الصرة المغربية:

كذلك كانت الصرة المغربية والأوقاف المرصدة على الحرمين الشريفين على إمكاناتها المحدودة تمثل هي الأخرى صورة مهمة من صور العلاقات السياسية بين بلاد المغرب والمدينة المنورة، فقد كانت ترسل الصرة المغربية في كل عام وكان يحملها كثير من ملوك المغرب للركب الفاسي[3]، وسنقتصر هنا على إيراد بعض الأمثلة عن الهدايا و الصرر المغربية التي حملها بعض الملوك والسلاطين وأبناؤهم على أن نتحدث عن الصرة والمخصصات المالية في الفصل الثالث.

ومن الأمثلة على ذلك ما وجهه السلطان المولى إسماعيل من هدايا للبيت الحرام في مكة وأرسل هدايا إلى المسجد النبوي وصلات للعلماء والفقراء والأيامى واليتامى والضعفاء بالإضافة إلى إرساله سنويًا مخصصات للصوفية في المدينة المنورة[4]

---

(١) المنوني: من حديث ركب الحج، ، ص٣٢.

(٢) الناصري: الاستقصا ج٤ ص١١٨.

(٣) العباس بن إبراهيم: الأعلام بمن حل مراكش وأغمات، سبق ذكره، جـ٥، ص٢١٥ وما بعدها.

(٤) محمد المنوني: من حديث ركب الحج، ص٢٣.

خاصة البكريين[١] وكان على علاقة قوية بهم.

كما أشار إلى ذلك الشيخ الجبرتي في أكثر من موضع[٢] لذلك أرسل لهم السلطان المولى إسماعيل مع ابنه المعتصم هدايا منها عشر سبائك من الذهب في كل واحدة منها مائة مثقال ذهبًا، واقتفى أثره في ذلك المولى عبدالله الذي أضاف على ذلك زيادات كبيرة كذلك أضاف أيضًا المولى عبدالله صرة خاصة وهدايا لأشراف الينبع، كما كان يتعاهد خدمات الحرم الشريف والأغوات بالعطايا ويسأل عن الصلحاء من علماء المدينة المنورة ويواصلهم بالصلات[٣].

ومن الهدايا والأوقاف الجليلة في هذا الميدان والتي وثقت عرى العلاقات السياسية بين المدينة والمغاربة هذا الوقف الكبير وهو وقف المولى إسماعيل واسمه زيتون غابة حمزية بمكناسة، وكان إذ ذاك في غاية الأهمية لما ينفقه على الحرمين الشريفين في مكة والمدينة.

كما أرسل المولى عبدالله هدايا مع والدته الأميرة خناثة مائة ألف دينار توسعة على أهل الحرمين الشريفين[٤] وغير ذلك مما سوف نتحدث عنه بالتفصيل كما سبق أن أشرنا[٥].

ثالثًا: رسالة الحضرة النبوية الشريفة:

ومن مظاهر العلاقات السياسية ومدى تأثيرها كذلك الأوضاع السياسية فقد

---

(١) البكريون: المنتسبون إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ وكانت هذه الأسرة اشهر جماعة صوفية ودينية في مصر والحجاز خلال فترة البحث عنها فينظر.
ابن أبي السرور البكري: الروضة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥١٨ تاريخ، ورقات ٢٠ - ٢٥ وما بعدها.

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار، جـ١ ص٥٩٢، ٦١٩.

(٣) المنوني: من حديث ركب الحج، ص٢٣.

(٤) المنوني: المرجع السابق، ص٢٤.

(٥) د/ يونان: تاريخ العلاقات، ص٩٧.

كانت للركب المغربي بعض التقاليد منها؛ هذه الرسالة التي عادة ما كانت تصاحب هدايا المغاربة إلى المدينة، وأما عن مضمونها فقد كانوا يهدونها لروح الرسول ﷺ ويؤكدون ولاءهم وإخلاصهم للجناب النبوي ويتضرعون إلى الله في حل أزماتهم وممن فعل هذا السلطان أبوعنان المريني، فقد بعث إلى الضريح النبوي الكريم برسالته النبوية التي كتبها بإنشائه متصلة بقصيدة من نظمه وجهها مع القاضي الأديب محمد الغساني[١]، وكانت هذه الرسالة تبدأ عادة بالثناء على النبي الكريم ﷺ والتوسل والدعاء[٢].

رابعًا: رباط المصاهرة بين الأشراف والمغاربة:

فيروي الشيخ عبدالله المكناسي أنه قام بأكثر من رحلة منها رحلته هذه التي كتبها حين أرسل مبعوثًا سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م إلى الشريف سرور الذي كان متزوجًا إحدى بنات السلطان محمد بن عبدالله.

وهذه المصاهرة ربما ينظر إليها المغاربة وأشراف مكة والمدينة نظرة خاصة ترجع إلى أن الأصل واحد منذ ألحم الإسلام بين المغاربة والعرب الوافدين من الجزيرة العربية وأهمها هجرات بني هلال وبني سليم وهجرات خلفائهم، كذلك فإن الهجرات الفردية كان لها أكبر الأثر على تكييف المسيرة السياسية لتاريخ المغرب سواءً حين حل إدريس بن عبدالله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م فبايعه المغاربة وأنشأوا الدولة الإدريسية[٣]، أو حين وفد في أواخر القرن السابع الحسن بن قاسم المعروف بالداخل والمتصل نسبه بعلي وفاطمة بنت الرسول ﷺ عن طريق محمد النفس الزكية وأصله من

(١) المنوني: من حديث ركب الحج، ص٢٨.

(٢) السابق: ص ص ٧٨ – ٧٩.

(٣) محمود إسماعيل: الأدارسة (١٧٢ – ٣٧٥ هـ) الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م. ص ص ٥ – ٩.

ينبع النخل قريب من المدينة المنورة في الحجاز وهو جد الملوك العلويين الذين يتولون عرش المغرب، والذين يعملون باستمرار على تأكيد الروابط وتقويتها بين البلدين وهي روابط تصل أحيانًا إلى المصاهرة على حد ما سبق أن أشرنا إليه من علاقة المصاهرة التي كانت بين الشريف سرور وابنه سلطان المغرب(١).

ارتباط المدينة بمكة:

كانت المدينة المنورة تابعة إداريًا لنفوذ الأشراف في مكة ولشيخ الحرم المكي وعاصمته جدة، كذلك لم تكن المدينة بمعزل على أوامر باشا مصر لذلك كان الإداريون في المدينة يلتزمون بما يقرره أشراف مكة أو رجال الدولة العثمانية في جدة ومصر(٢).

ثانيًا: المغاربة والحياة السياسية في المدينة:

ينبغي قبل أن نتحدث عن جهود المغاربة في الحياة السياسية بالمدينة المنورة أن نعطي لمحة موجزة عن نظام الحكم والإدارة فيها، فقد كانت تعيش في مستهل القرن محل الدراسة حياة هادئة لا يخشى الناس فيها من إغارة لقبائل على الطرق أو على المدينة ذاتها، وعلى الرغم من تحصين المدينة المنورة بقلعة عسكرية(٣)

---

(١) عباس الجراري: مدخل لرحلة الحضيكي الحجازية سبق ذكره جـ٢ ص٣٧٣.

(٢) يراجع على ذلك:

أحمد بن زيني دحلان: خلاصة الكلام، في بيان أمراء البلد الحرام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٦، ص١٧٣ وما بعدها.

(٣) أنشأ هذه القلعة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٣٩هـ / ١٥٣٢م وظلت لها دور مؤثر في العصر العثماني كله ما كان عدد أفرادها في هذا القرن محل الدراسة ما يزيد على المائتين وهو ما يؤكد أن لها أثرًا كبيرًا كما تذكر المصادر المعاصرة عنها.

دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر مرتبات رجال قلعة المدينة المنورة، واجب سنة ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م ٤٧٢، نوعي عمومي ٥٣٢٦، مخزن تركي ١، ود/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ٣ أجزاء، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/=

قوية يرابط فيها عدد كبير من العساكر وتسويرها القوي فقد ظهرت بها بعض القوى المغيرة غير مرة من قبائل أو أفخاذ قوية كان لها أثرها في إحداث اضطرابات شديدة على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك.

وكان نظام الإدارة في المدينة المنورة خلال فترة الدراسة يتمثل فيما يلي:

(١) سلطة الدولة العثمانية:

وتمثلت في الوالي التركي الموجود في جدة[١]، ويحكم منها جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي مدن الحجاز المهمة مثل الطائف[٢]، وجدة، وينبع[٣]، وبدر حنين، وغيرها من المدن التي تأسست فيها قلاع عسكرية داخل إقليم الحجاز وكانت سلطته من سلطة السلطان العثماني في عاصمة الدولة العثمانية

=١٩٩٣م، جـ٢ ص٣٣٥، ومحمد علي فهيم: مخصصات الحرمين الشريفين في مصر، ص٢٥٥.

(١) جدة: من أهم مدن الحجاز على الإطلاق كان عاصمة إقليم الحجاز في العصر العثماني وبه شيخ الحرم، وتحكم جدة والمدينة و غيرهما منه، وكان به شونة كبيرة للغلال تصرف حقوق المكيين المدنيين منها. وكان بها قلعة وجنود وحامية تركية.

دار الوثائق: سجلات الروزنامة، ودفاتر الصرة الرومية واجب سنة ١١٢١هـ / ١٧٠٩م.

(٢) الطائف: هي إحدى مدن الحجاز الكبرى على الحافة الغربية لهضبة نجد كانت تسكنها قبيلتا هوازن وثقيف، وتقع على ثلاث مراحل من مكة، وبه مسجد ابن عباس، وعداس، وهو من أهم المدن المزروعة في الجزيرة من الشجر والثمر، وغير ذلك وعنها.

الاصطخري، إبراهيم بن محمد ت٣٤١هـ/٩٥٢م المسالك والممالك، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ص٢٤.

(٣) ينبع: مدينة على ساحل البحر الأحمر بها ميناء كبير يعد الميناء الاساسي للمدينة وهي ينبع البحر.

النابلسي: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى مصر والشام والحجاز، تعليق محمد أحمد هريدي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣١٩.

وبالتالي فإن مخالفته تعد مخالفة للسلطان ذاته وللإدارة العثمانية في مصر[١]، وقد كان لهذا الوالي أوامر يلتزم بها من دونه ومفروضة عليه مثل شيخ الحرم المدني، والأشراف الحسنيين، والحسينيين الذين يسكنون في المدينة المنورة ولهم فيها السلطة الإدارية تحت قيادة الأشراف الحسنيين الذين يحكمون في مكة[٢].

شيخ الحرم المدني:

بدأ نظام مشيخة الحرم النبوي ابتداءً من ٩٨٩هـ / ١٥٨١م حيث كان الأشراف قائمين بالإدارة في المدينة المنورة ومنذ ذلك التاريخ تمكن الأغوات من السيطرة على المدينة، وكان يصدر بشأنهم فرمان من الدولة العثمانية أو موافقة الإدارة في مصر، وظل الأغوات هم أصحاب تلك الوظيفة طوال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، بينما في بعض الأحوال كان قائد القلعة هو شيخ الحرم[٣] وعليه الالتزام بما يأتيه من بيورلدات[٤] باشوية، وكان يحصل شيخ الحرم على ٢٠٠٠٠٠[٥] بارة[٦] سنويًا مع قافلة الحج المصرية.

---

(١) كان مقر باشا مصر والإدارة العثمانية في قلعة الجبل التي بميدان صلاح الدين الذي سمي ميدان الرميلة، ويعرف حاليا بميدان القلعة.

مصطفى بن الحاج إبراهيم: تاريخ وقايع مصر القاهرة كنانة الله في أرضه، حققه وضبطه وأعده للنشر أ. د. صلاح هريدي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢، ص١٠٢.

(٢) عارف عبدالغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة من ١هـ / ١٤١٧هـ، دار كنان، سوريا، ١٩٩٦م، ص ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٧ وما بعدها.

(٣) محمد فهيم: مخصصات الحرمين، ص٣١٩.

(٤) بيورلدات: جمع بيورلدي، وهي لفظ تركي أوامر من كبار الرجال كالصدر الأعظم، وقبطان البحرية، والوزير وأمير الأمراء أو باشا من الباشوات.

Midhat Sertoglu: Osmanli Tarih lug Ati 2- Baski, Enderu Kitafqui, Istanbul, 1986, S, 365 - 366.

(٥) دار الوثائق: سجلات الديوان، س ١ م ٤٨١ ص ٢٣٠.

(٦) البارة: عملة نقدية استعملت في العصر العثماني وكانت تعد ١/٤٠ من القرش في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وانخفضت في القرنين التاليين إلى ١/٧٠ من

وكانت مهمة شيخ الحرم المدني بوجه عام حفظ النظام العام فيها والسيطرة على مقاليد الأمور، والرئاسة الإدارية على كل من فيها من إدارات أخرى؛ حتى الأشراف أنفسهم، فعليهم الالتزام بأوامره مهما كانت، وبالإضافة إلى ذلك عليه ترشيح من يشاء من الرجال في التعيين في الوظائف الكبرى مثل: وظائف الفرق العسكرية(١) أو وظائف الإفتاء والتدريس، وما سواها من وظائف، كما سيأتي في الفصل الثالث وباستثناء وظيفة القضاء التي لم يكن من شأنه القيام بأعباء التعيين فيها.

وكان كل صاحب مظلمة عليه أن يتوجه إلى مصر؛ لأخذ حقوقه سواء من الأشراف، أو العلماء، أو رجال الفرق العسكرية، أو غير ذلك؛ إذ يستطيع أن يأتي

القرش وكانت تعد جزءًا من ٢٥ ألف جزء من الكيس المصري.

دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س١ م٩ ١٨٩ ص٩١ س٢ م٤٨ ص٢٣٠.

خليل ساسي أوغلو: النقود في البلاد العربية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧١م، ص١٧ – ١٩.

(١) الفرق العسكرية: هي الفرق أو الأوجاقات العسكرية السبع كانت تحافظ على الأمن والنظام داخل نطاق الأقاليم أو القيام بشؤون الحرب خارجيًا وهذه الفرق هذه.

١- الانكشارية ٢- السباهة ٣- التفكجية

٤- جوقو للويان ٥- عزبان ٦- مستحفظان ٧- متفرقجيان وسوف نتحدث عنها:

Midhat Sertöğlu: Osmanli tarih lûgat, 2- Bski, Enderdin kitabeqi Istanbul, 1986, S, 365 - 366.

والسلطان سليمان القانوني: قانون نامة مصر ترجمة د/ أحمد فؤاد متولي، مطبعة جامعة عين شمس القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ص ١٨ – ٢٦.

وأحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص ١٠٠، ١٩٤.

بفرمان[١] سلطاني من عاصمة الدولة العثمانية أو من القاهرة حيث يوجد الباشا العثماني المسؤول الأول عن الحجاز - بما فيها المدينة المنورة - أمام السلطان العثماني[٢].

ورتب السلطان العثماني لشيخ الحرم المدني رواتب نقدية تساعده على القيام بأعباء المهام المنوطة به إذا كان يحصل على ٢٠٠٠٠٠[٣] بارة بما يعادل ثمانية أكياس[٤]، وظل هذا المبلغ هو المرتب الرسمي الذي يحصل عليه في كل عام[٥] من الروزنامة في مصر.

(٣) رجال القلعة العسكرية:

أنشئت القلعة العسكرية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي سنة ٩٣٩هـ / ١٥٣٢م في عهد السلطان سليمان القانوني، وسكن بهذه القلعة رجال الفرق العسكرية السبع بالإضافة إلى فرقة أخرى هي النوبتجية منوط بها

---

(١) فرمان: هو الأمر السلطاني الرسمي الذي يكون خاصًا بأي قضية ما، وكان يكتب أسفل الفرمان الطغراء بعد ذكر اسم الله أولاً في أعلى الفرمان وتكت في الفرمان الألقاب الرسمية للمرسل إليه واسمه وسبب إرساله ورغبة الحاكم وأمره ويتم التعبير بوضوح عن الشيء المطلوب ويدعى بالتوفيق في تنفيذ لأمر وفي النهاية بدون تاريخه والمكان الذي كتب فيه.
Médhat SertÕlu: Op. cit, S, 111.

(٢) دار الوثائق: دفاتر الفرمانات الشاهانية، دفتر رقم (١) فرمان رقم ٧٠، ٧١ ص ص ١٤٠ - ١٤٢.

(٣) دار الوثائق: سجلات الديوان، س٢ ص٢٣١ م٤٨١.

(٤) الكيس: هناك نوعان الكيس المصري يعادل خمسة وعشرين ألفًا من البارات بينما النوع الآخر هو الكيس الرومي أو العثماني ويعادل ٢٠ ألفًا فقط.
دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س٣ م٣٥ ص١٧، ودفاتر الصرة الرومية، واجب سنة ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م.

(٥) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س١ م١٨٩ ص٩١، س٢ م٤٨١ ص٢٣٠، س٣ م١١٤ ص٧٥.

جميعًا خدمة وحراسة المدينة المنورة وغفارتها ليلاً[١]، أما أهم الفرق العسكرية خاصة التي شارك فيها المغاربة في المدينة المنورة فهي:

الإسباهية:

تطلق على أوجاق الفرسان وهو أوجاق الحنو للويان أوكوكليان، وتفنكجيان أي الجنود الذين مهامهم المدفعية والجراكسة وعلى السباهية حفظ الجسور السلطانية، ورواتبهم من مصر في العادة غير ما يحصلون عليه من العاصمة ذاتها، ويأخذون العلف الكافي من مخازن الإدارة شهريًا دون إبطاء مهما كان قدره بشرط أن ينفق على التعليم، وينبغي عليهم أن يحذروا الذين يأخذون العلف لكي لا يضيعوه أو يصرفوه في غرض آخر، ووجودهم في القلعة يحقق لهم وللسلطان ولأهل المدينة المنورة الأمن[٢].

الإنكشارية:

وهذه الفرقة بني جرى أو الينجشرية أو الإنكشارية وكانت تغذى بغلمان العجم الذين استقدموا صغارًا وأتموا التدريبات، وذلك حسب كفاءة هؤلاء الغلمان وكان يتقاضى كل جندي يوميًا ٢ أقجة[٣] بحيث كانت هذه اليومية تزداد باضطراد نظرًا

---

(١) حسين أفندي الروزنامجي: ترتيب الديار المصرية، تحقيق وتعليق د/ محمد شفيق غربال تحت عنوان مصر على مفرق الطرق، المجلة التاريخية، المجلد الرابع جـ١ مايو ١٩٣٦م، ص٢٣.

(٢) السلطان سليمان: قانون نامة مصر، ترجمة أحمد فؤاد متولي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ص٢٣ - ٢٤.

(٣) أقجة: والأقجة كانت تعادل ٢/٣ بارة أو نصف فضة وكان موجودًا في القرن العاشر والقرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر الهجري.
خليل ساحلي أوغلو: النقود في البلاد العربية، ص١٩.

لبلاء كل جندي وأقدميته وكانت تنقسم إلى عدة بلوكات[١]، وكانت هذه الفرقة ذات وظائف محددة في المدينة فعلى هذه الطائفة أن تخرج لحماية شيخ الحرم والحفاظ على الأمن، والحرب ضد كل الذين يقفون ضد الدولة في المدينة المنورة، بالإضافة إلى مساعدة الأشراف على استتباب الأمن فيها[٢].

مستحفظان:

وفرقة مستحفظان أو جماعة مستحفظان كانوا يُكلَّفُونَ بالحراسة للقلاع والحصون والمدن، ويُمْتَحُون إقطاعيات، وأفراد هذه الطائفة من الإنكشارية، وقد أتت هذه الفرقة إلى مصر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[٣]، ثم أصبح الجنود ينقلون إلى خارج مصر بأوامر عليا إلى الحجاز بما فيه المدينة المنورة؛ حيث يرحل في كل عام خمسمائة جندي إلى الحجاز بصحبة أمير الحاج على أن يعود مكانهم نفس العدد ليؤدي الخمسمائة دورهم في قلعة المدينة المنورة وغير ذلك من القلاع الأخرى في الحجاز[٤].

وبالإضافة إلى هذه الفرق العسكرية تكونت فرقة عسكرية والأحرى أن نقول «طائفة عسكر المدينة المنورة والتي وردت تحت مسمى: «درك[٥] حج شريف

---

(١) بلوك: أطلق اللقب على الوحدات التي أسست للخدمات في العصر العثماني أهمها وحدات الأغا في الإنكشارية وقابي قول ورئيس البلوك يسمى بولك باشي.

Midhat, S, 57.

(٢) د/ سيد محمد السيد: مصر في العصر العثماني ق١٦، مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ص٥٠ - ٥١.

(3) M. Pakalin: Osmanli Tarih Deyimleriue ternleri, Cilt, Sa. 73

(٤) محمد فهيم: مخصصات الحرمين، سبق ذكره، ص١٩٨.

(٥) درك: الدرك هو قوة عسكرية تحافظ على الأمن الداخلي في بعض البلدان.

جبران مسعود: الرائد قاموس عربي، دار العلم للملايين بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م جـ١ ص ٦٦٧.

مدينة منورة»[١] وقد حصلوا على رواتب مهمة تحت بند مرتبات أدراك بلوك محافظين حجاج مسلمين ١٥٢٠ بارة[٢].

وبالإضافة إلى هذا البلك كانت توجد بلوكات أخرى و ردت في الوثائق المصرية تحت بند «صرة متفرقة وبلوكات مدينة منورة»[٣]، وقد كان إجمالي نفقات ورواتب هذه البلوكات من الصرة الرومية[٤] قدرها ٩٥٧٠بارة توزع على أربعة بلوكات على النحو التالي:

البلك الأول : ٦٣٣٠ بارة

" الثاني: ١٤٠٠ بارة

" الثالث: ١٠٨٠ بارة

" الرابع: ٧٢٠ بارة

وهي ما يوضح أهمية هذه البلوكات في حفظ المدينة المنورة، وسوف يظهر أهمية المغاربة في تلك الفرق العسكرية من خلال هذا البحث.

---

(١) دار الوثائق: سجلات الروزنامة دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٧١هـ / ١٧٥٧م، م ٥٥٨٧، حفظ نوعي ٣٤٤، عين ٧٤، مخزن تركي١.

(٢) نفس الأرشيف والدفاتر واجب سنة ١١٣١هـ / ١٧١٨م، رقم حفظ نوعي ١٣٩، عين ٧٢، م ع ٥٣٨٢، مخزن تركي ١.

(٣) دار الوثائق بالقاهرة: سجلات الروزنامة، دفاتر الصرة الرومية، واجب سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م.

(٤) الصرة الرومية: هي مصطلح على المخصصات التي قدمها أهل الخير من الأتراك الذين يعيشون في مصر، وبعض المصريين وغيرهم، ولكن سميت بالرومية لكثرة الأروام (الأتراك) الواضحة ضمن من قدم هذه الخيرات.

دار الوثائق: المصدر السابق واجب سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢١م، م٤٣، م ع ٥٣٩٦ حفظ نوعي ١٥٣، مخز تركي١.

السلطة القضائية :

وتتمثل في القاضي ونوابه، وكان القاضي يعين من قبل الإدارة في عاصمة الدولة العثمانية وفي الغالب كان يعين في المدينة المنورة بموجب فرمان سلطاني.

وكان القاضي ينتمي إلى المذهب الحنفي وهو المذهب الذي تتبعه الدولة العثمانية واتخذته مذهبًا منذ نشأتها(١)، ويرأس القاضي الحنفي قضاة المذاهب الإسلامية السنية الأخرى مثل: القاضي المالكي والشافعي، غير أن المذهب الحنبلي كان نادرًا في المدينة المنورة مثل مكة المكرمة خلال تلك الفترة(٢).

وكان للقاضي الحنفي والمالكي والشافعي نواب يلقب الواحد منهم بلقب نائب القاضي(٣)، يقوم مقام القاضي في الأمور الشرعية والإدارية المنوطة به إزاء المدينة لاسيما أثناء غياب القاضي لسفر أو للحج أو لظروف طارئة أخرى، أو

---

(١) من المعروف أن المدينة المنورة كان تقدم فقه الإمام مالك عما سواه، وعلى الرغم من أن الدولة المملوكية كان المذهب الرسمي لها كان المذهب الشافعي؛ إلا أن أهل المدينة كانوا يعملون بفقه الإمام مالك، وعندما دخل إقليم الحجاز تحت حوزتهم السياسية غيروا المذهب الحنفي بالمذهب الشافعي وظل أهل المدينة أيضًا على عملهم بالمذهب المالكي وان صار القاضي الحنفي له السبق والأولوية في المكاتبات ابتداءً من سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٧م في السلطان سليمان القانوني.

محمد فهيم: دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة أجيزت من جامعة الأزهر ٢٠٠٢م، ص ص ٣١١ - ٣١٢.

(٢) محمد فهيم: مخصصات الحرمين الشريفين، ص٢٦٣.

(٣) انتشر هذا المنصب في الحجاز بوجه عام وتولاه الحجازيون المجاورون إلا أن أغلبهم لم يكن من الأتراك الذين اختص عدد كبير منهم بمنصب القضاء خاصة على المذهب الحنفي.

عبدالله بن زاحم: القضاء في المدينة المنورة، كتاب قضاة المدينة من عام ٩٦٣م / ١٤١٨هـ، مكتبة العلوم والحكم الطبعة الأولى المدينة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م جـ٢ ص ص ٤٠ - ٤٥ - ٦٧، ٨٩ وما بعدها.

حتى عند عزل القاضي من وظيفته، وتشير وثائق سجلات المحكمة الشرعية في المدينة المنورة إلى أمثلة كثيرة لنواب القاضي الذين تولوا القضاء ومباشرة أعماله المتنوعة[١] من المصريين وأهل المدينة لاسيما المغاربة الذين قام العديد منهم بأعباء هذا المنصب، ولعل من هؤلاء أحمد أفندي بن يحيى أفندي الأزهري ورد اسمه ووصفه بذلك في رسالة قصيرة بشأن تعيينه في نيابة القضاء مرسلة من القاضي محمد رشيد أفندي في ١١٤٧/٣/٢١هـ / ١٧٢٤م هذا نصها «... قد عيناك نايبًا بالمدينة المنورة فعليك بإجراء الأحكام بين الأنام ولا تعدل عن جادة الطريق المستقيم..»[٢]، وسوف نتوسع في مشاركة المغاربة أثناء حديثنا عن وظائف المغاربة في المدينة.

وكانت المدينة المنورة في مستهل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي تعيش حياة سياسية هادئة لا يقلق الناس فيها إلا هجمات العربان أصحاب القبائل المجاورة من الغارات المفاجئة على الطرق أو على المدينة المنورة، هذا على الرغم من أن المدينة كانت بها أعدادًا كبيرة من العساكر النظامية في القلعة السلطانية[٣] وحدها خلال نهاية هذا القرن، وصلت ما يقرب من مائتين جنديًا نظاميًا[٤]، ومع ذلك فإن تحركات العربان كانت عاملاً سلبيًا في كثير من الأحيان على أهالي المدينة خاصة قبيلة حرب أو أولاد علي، وكانت تترتب على هذه الهجمات بعض الآثار الاقتصادية السلبية التي كانت تعالج من مصر أو من الدولة العثمانية ذاتها وهي ما سوف نتحدث عن كيفية علاجها في

(١) فائز بن موسى: قضاة في المدينة المنورة. ص ص١٠٥ - ١١٧.

(٢) السابق ص١٠٧.

(٣) دار الوثائق القومية: سجلات الروزنامة، دفاتر قلعة المدينة المنورة واجب سنة ١١١٩هـ ١٧٠٧م، رقم ٤٧٢، حفظ نوعي ٨٣، م ع ٥٣٢٦، مخزن تركي ١.

(٤) نفس الأرشيف والدفاتر ١١٩٦هـ / ٢١٧٨١، رقم ٢٢١/٣، حفظ نوعي ٤٨٨، م ع ٥٧٣١، مخزن تركي١.

مكانها في الفصل التالي.

وإزاء ازدياد سلطة الفرق العسكرية في مقابل ضعف الحسينيين[١] وشيخ الحرم، وبالتالي حدثت الكثير من الأحداث بسبب الخلافات بين العسكريين، أو بعض تحركات العربان - التي سبق أن تحدثنا عنها - وهنا نركز على الأحداث التي شارك فيها المغاربة القاطنون بالمدينة المنورة طوال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ففي سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٦م تولى أيوب أغا مشيخة الحرم قام بنفي السيد خليل الجزائري[٢] بسبب اتهامه بضرب السكة الطرلية[٣] ومنذ هذا العقد ودخل المغاربة في صراعات سياسية وشاركوا في مجمل الأحداث التي تتمثل فيما يلي:

(أ) موقف المغاربة من الصراع بين القلعة والفرقة العسكرية:

ففي سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م وقعت خلافات شديدة بين رجال القلعة والفرق العسكرية الأخرى التي قامت بمهاجمة رجال القلعة وحاصروها، واستمر الحصار

---

(١) الحسينيون: فرع من الأشرف إذ كان الأشراف في الحجاز ثلاثة فروع
أ- الحسنيون ولهم السلطة في مكة.
ب- الحسينيون: المعنيون في المتن ولهم السلطة في المدينة المنورة.
ج- أولاد عبدالله: وهم لهم السلطة في رابغ وينبع وبدر.
ومن هنا يتبين أنهم كانت لهم مقاليد الحكم في المدينة مع الأتراك وكانت رواتبهم قليلة وكان الحسنيون يتحكمون فيهم بصورة زائدة عند الحد.
دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س١ م١٨٨، ص٩٢.

(٢) خليل الجزائري: خليل بن محمد الجزائري قدم المدينة سنة ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م، وكان رجلاً كاملاً عاقلاً من أعيان المدينة المنورة، وتوفي وأعقب محمد وخليل وفاطمة.
الأنصاري: تحفة المحبين، ص١٥٤.

(٣) السكة الطرلية: السكة هي العملة أما الطولية أو الطرلية فكانت عملة تتداول في المدينة والعالم الإسلامي الخاضع للدولة العثمانية تساوي تسعين بارة.
محمد فهيم، مخصصات الحرمين، ص٣٠٤.

لمدة ثلاثة عشر يومًا، وحدثت بعض المناوشات بين الطرفين، وسقط عدد من الجرحى، حيث قام المهاجمون باقتحام القلعة، وأخرجوا من فيها من رجالها المعتصمين وسجنوهم وفوجئوا بنائب القاضي معهم وهو الشيخ أحمد الأزهري المغربي[١]، ورفعوا أمره إلى السلطان العثماني الذي أصدر فرمانًا بعزله من منصبه ومصادرة أمواله وإخراجه من المدينة المنورة، وقد تأذى[٢] أهالي المدينة من مصادمات العساكر والصراعات التي كانت تنشب بينهم وبين القبائل والأهالي وغير ذلك.

وعلى الرغم من هذه الصراعات السياسية التي يتدخل فيها بعض رجال المغاربة من أصحاب الوظائف العسكرية والقضائية فإنها كانت تنحصر في موجة من القلق والاضطراب التي تنتشر مع أخبار الصراعات الناشئة بين بعض المغاربة وغيرهم فيها، ففي سنة ١١٣٢هـ / ١٧١٩م هاجم السباهية إحدى الفرق العسكرية المتمركزة في المدينة، وكان فيها بعض المغاربة وبعض العربان الذين ينتمون إلى قبيلة الجنانية[٣]، وهم فرع من قبيلة حرب وقتلوا أفرادًا منهم، فعزم العربان على الانتقام من السباهية؛ لاعتقادهم أنهم هاجموهم دون سبب، فباغتوا المدينة في إحدى الليالي ذلك العام ودخلوا على جنود السباهية على حين غرة وأسروا عددًا منهم وجدوه في المنطقة فحملوهم وخرجوا بهم إلى البر[٤]، وكان من نتيجة تلك الأحداث مقتل الحاج محمد الموهوب المغربي أحد أفراد

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٦٧.

(٢) د/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل، سبق ذكره، جـ٢ ص ص ٣٨١ – ٣٨٢.

(٣) الجنانية: إحدى القبائل البدوية فرع من بسطن المرلوحة من الحوازم يسكنون المكان ناحية الشام، بين أرض أشراف بني حسين إلى مفيض العين الزرقاء شمال المدينة.
على بن موسى: رسالة في وصف المدينة، ص٣١.

(٤) عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل، جـ٢ ص٣٨٢.

السباهية على أيدي العرب الجنانية[١]، كذلك فقد حوصر نائب القاضي أحمد الأزهري المغربي[٢] في القلعة في تلك الأحداث، ثم قبض عليه وحبس وعرض فيه للدولة العلية، فورد الفرمان بإخراجه من المدينة، ومصادرة أمواله وجميع تعلقاته فتوجه إلى مكة منفيًا، وكانت علاقته قوية بالشريف في مكة وهو الشريف مسعود[٣]؛ فتشفع به مما دعا الشريف المذكور إلى مساعدته قبل السلطان العثماني محمود الأول[٤]، وبالفعل تمكن من الحصول على العفو السلطاني بشرط الاستقرار والإقامة في مكة فأقام فيها، وظل يتردد بينها وبين الطائف حتى كانت وفاته بها سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م[٥]، وممن شارك الشيخ المغربي أحمد

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٤٥١.

(٢) أحمد الأزهري: أحمد بن يحيى الأزهري المغربي الأندلسي تولى القضاء نيابة في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري.
وفائز بن موسى: قضاة المدينة المنورة من مصادر تاريخ المدينة المنورة، سجلات المحكمة الشرعية الكبرى، الدارة، عدد محرم رقم ١١ لسنة ٢٧، ص١٠٧.

(٣) الشريف مسعود: هو الشريف مسعود بن سعيد بن زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن ولي الإمارة في ٧ جمادى الأولى ١١٤٥هـ / ١١٦٥م، حيث تولى بعد وفاته أخوه مساعدين سعيد.
زيني دحلان: خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، ص١٨٧، وعارف عبدالغني: تاريخ أمراء مكة المكرمة، ص ص ٧٩٩ - ٨٠٢.

(٤) السلطان محمود الأول: هو محمود بن مصطفى الثاني المولود عن صالحة سلطان ولد ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م لم يفعل شيئًا في الأيام الأولى من سلطنته سوى تنفيذ رغبات باترونا خليل ورفاقه غير انه بعد شهرين أو ثلاثة انشغل بالحروب مع إيران أولاً ومع أنه أقام صلحا معها سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م إلا أن الحرب اندلعت بعد فترة وجيزة واستمرت حتى اضطراب الموقف مع روسيا ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م توفي حين كان يدخل القصر بعد صلاة الجمعة ودفن بجوار والده ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م.
Midhat sertoglu s, 262.

(٥) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص ٦٧ - ٦٨.

الأزهري في ذات الحادثة الشيخ عبدالله البري المغربي[1] أحد كبار رجال المدينة وأحد الخطباء في المسجد النبوي الشريف فنفى أيضًا إلى مكة[2].

(ب) فتنة العهد:

ومن الأحداث السياسية المهمة التي شارك فيها المغاربة في المدينة المنورة فتنة العهد والتي تتلخص في قيام قائد الحامية العسكرية في القلعة بعزل رجالها بسبب تصرفاته، وقام أغوات[3] الحرم المدني بالتوسط لهذا الرجل لدى قائد الحامية العسكرية، وعندما رفض قائد الحامية هذه الوساطة غضب الأغوات، واعتبروا ذلك الرفض استهانة بهم ووضعهم الاجتماعي، وأراد القاضي في المدينة المنورة أن يتوسط لدى الفريقين فرفض الأغوات الحضور معتقدين عدم وجود علاقة لهم بهذه الأحداث، فكرر لهم القاضي تلك الدعوة فأصروا على

---

(١) الشيخ عبدالله البري: هو خطيب المسجد النبوي الشريف عبدالله بن إبراهيم البري الخطيب، ولد سنة ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م بالمدينة ونشأ بها، وطلب العلم، وأخذ عن كبار علماء المدينة وكان ينسخ الكتب بيده، وكان من أبرز رجال المدينة المنورة من عائلة البري التي سكنت المدينة المنورة، وكانت مذهبها مالكيا وغيرته إلى المذهب الحنفي.

مجهول: تراجم أعيان المدينة المنورة، تحقيق د/ محمد التونجي، الطبعة الأولى، مطبعة الشروق، جدة ١٩٨٤م ص٣٨ والمرادي: سلك الدرر، في أعيان القرن الثاني عشر ضبطه وصححه محمد عبدالقادر شاهين، جزءان منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ٣ ص٨٢.

(٢) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٦٨.

(٣) أغوات: جمع أغا وهو عبارة عن الطواشي أو الخصي العامل في قصر السلطان كما كان يطلق على سادة القوم، وكبير التجار، وأعيان القرى، والأشراف، وتكونت وحدات الأغوات من الدوشرمة الذين تحولوا للإسلام بسبب عصيان طوائف السكباني بعد تولي بايزيد الثاني للحكم وكانت إحدى وستين وحده في معية أغا الانكشارية بشكل مباشر، ويطلق على أقاربهم بلوك باشي، ومنهم أغوات دار السعادة وزادت أهميتهم في عهد القانوني.

أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجرتي. من الدخيل، ص ١٧ وما بعدها.

الرفض خشية من سطوة الحامية العسكرية، مما جعل القاضي يعتبرهم عصاة خارجين على الشرع فتحصن الأغوات في المسجد النبوي وأغلقوا أبوابه وصعدوا مناراته، واستعدوا بالأسلحة لمواجهة من يواجههم[1].

وإزاء هذه الأحداث قام بعض أعيان المدينة المنورة بمحاولة الإصلاح بين الطرفين؛ غير أن المحاولات لم تفلح، فأمر القاضي بإخراجهم من المسجد ولو أدى الأمر إلى قتالهم فيه فذهبوا مع جماعة العسكر وحاصروا الأغوات بالمسجد وتبادل الفريقان إطلاق النار بالبنادق، وحصلت مصادمات بينهم وبين أتباع الأغوات وأنصارهم في أماكن متفرقة من المدينة وسقط بعض القتلى والجرحى، وقتل رجل من جماعة العهد اسمه أحمد بن سفر بن أمين[2] قتله أنصار الأغوات عند جبل سلع[3]، وظل التراشق والقتال إلى مساء ذلك اليوم، وأدرك الأغوات أن الدائرة ستدور عليهم فطلبوا الأمان مقابل إنهاء اعتصامهم فأبى محصاروهم إعطاءهم الأمان إلا إذا قبلوا المثول للمحاكمة، واتفقوا أخيرًا على أن تكون المحاكمة عند الشريف مبارك[4] أمير مكة والحجاز وتقدم ستة من الأغوات نيابة

---

(١) جعفر بن هاشم الحسيني ت ١٣٤٢هـ: الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة ومخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ٢٧٥٥ تاريخ ص٢٣ - ٢٥. أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام ص١٧٥ - ١٧٦.

(٢) أحمد أمين سفر: هو أحمد أمين سفر بن إبراهيم المدني الحنفي مولده سنة ١١١٤هـ / ١٧٠٢م ووفاته ليلة الجمعة آخر ١١٩٤هـ /١٧٨٠م كان أمامًا وخطيبًا بالمسجد النبوي وكثيرًا ما كان يسافر إلى اسلامبول وله دور كبير بمكة. مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص١٢٣.

(٣) جبل سلع: سلع وسليع أحد الجبال المحيطة بالمدينة من الناحية الشامية قرب سور البلد عند باب الكومة، ويسكنه الدكارنه المجاورون.
علي بن موسى: رسالة في وصف المدينة، ص٢٩.

(٤) الشريف مبارك: هو مبارك بن أحمد جاء بعد عزل الشريف يحيى وهروبه وفي رمضان ١١٣٣هـ / تموز ١٧٢٠م، عين أميرًا بالأصالة، وظل شريفًا لمكة حتى ١١٣٦هـ/أيلول =

عن بقية الأغوات وسلموا أنفسهم للحامية وكانوا رؤساءهم المحرضين على الاعتصام بالمسجد النبوي[١].

وبالفعل سافر قائد الحامية ومجموعة من ضباطه وجنوده وقاضي المدينة والمفتي وأفراد من جماعة العهد الأغوات المعتقلين إلى مكة، وعقد الشريف مبارك بن أحمد جلسة للقضاء حضرها قاضي مكة ومفتيها وعدد من الأشراف والأعيان، وأدلى كل فريق من المتخاصمين بأقواله فأدان جماعة الأغوات وحكم بعزل رؤساء الفتنة، وسجن بعضهم، ونفي البعض الآخر، وأمر الشريف مبارك بإنفاذ الحكم وأرسل بذلك حجة شرعية إلى دار الخلافة[٢].

وتم ترحيل كافة المتهمين إلى دار الخلافة بينما تبعهم بعض الأغوات الذين لهم صلات وصداقات بالعاصمة العثمانية، واتصلوا بكبار المسؤولين وطرحوا القضية من وجهة نظرهم وصب الأغوات جام غضبهم على جماعة العهد[٣] واعتبروهم المسؤولين عما أصابهم من إهانات واستطاعوا إقناع رجال الدولة العثمانية في استانبول بخطورة هذه الجماعة.

وطبيعي أن يقلق المسؤولون في عاصمة الدولة العثمانية من قيام أي تنظيم أهلي ينافس السلطات القائمة غير أن هؤلاء المسؤولين تصرفوا دون الوصول

= ١٧٢٣ عندما اتفق الأشراف على تنصيب الشريف عبدالله فقال انه لن يقبل هذا المنصب ما لم يوجه إليه من قبل الدولة، وتولى بعده الشريف عبدالله، ثم ولد الشريف عبدالله محمد ١١٤٤هـ/١٧٣١م.

جارشلي: أمراء مكة في العهد العثماني، ص ص ١٣٦ - ١٣٧.

(١) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة ص٥٥.

(٢) د/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل، جـ٢ ص٣٨٣ وما بعدها.

(٣) جماعة العهد: إحدى الجماعات الاجتماعية التي نشأت بسبب الأحداث العنيفة التي حدثت في القرن الثاني عشر فتعهدت فيما بينها بمحاولة الاصلاح بين الفرق المتحاربة.

د/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل، جـ٢ ص٣٨٢ - ٣٨٣.

إلى الحقائق الكاملة وفضلوا تقبل وجهة نظر الأغوات[١].

وكان من نتيجته موقف الدولة العثمانية قتل رئيس جماعة العهد محمد العادلي[٢] وعبدالكريم البرزنجي[٣] وابنه حسن البرزنجي[٤] ولقد قتل من المغاربة في هذه الحادثة محمد بن أحمد الدلال المغربي[٥].

ومن ناحية أخرى تم إلغاء كافة الأحكام الصادرة بحق الأغوات الستة ليس هذا وحسب بل أعادتهم إلى مناصبهم السابقة[٦]، وهذا يؤكد فساد الأوضاع السياسية في المدينة المنورة وسير السلاطين وراء الأشراف والأتراك العاملين في إدارة المدينة المنورة؛ لاعتبار جماعة العهد من المشاغبين، وأن ما حدث من قبل

---

(١) جارشلي: أمراء مكة في العهد العثماني، سبق ذكره ص١٤٩ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل، جـ٢ ص٣٨٧.

(٢) محمد العادلي: هو السيد محمد بن علي بن السيد العادلي المدني، ورد جده الأعلى في سلخ القرن العاشر، وهم من أسرة أبي العزم، وهو من أعيان المدينة، وشارك في الفتنة المذكورة في المتن وتوفي شابًا ١١٧٦هـ/١٧٦٢م.
الأنصاري: تحفة المحبين، ص٣٥٨.

(٣) عبدالكريم البرزنجي: الشيخ عبدالكريم البرزنج نسبة إلى بلاد الأكراد، سمي بالشيخ الشهيد أو المظلوم لقتله في جدة بأمر الشريف في نفس الليلة ١١٣٨هـ /١٧٢٥م.
المرادي: سلك الدرر، جـ١ ص٤٩. وزيني دحلان: خلاصة الكلام، ص١٧٤.

(٤) حسن البرزنجي: هو الشيخ حسن بن عبدالكريم من الخطباء والأعيان في المدينة رحل إلى مصر، وتوفي فيها، وله مصنفات في التاريخ وغيرها.
مجهول: تراجم أعيان المدينة. ص١١٨.

(٥) محمد الدلال: محمد بن أحمد الدلال كان في وجاق النوبتجية، وصار من رؤساء العهد والمتكلمين فيه، ولما حدثت الفتنة تمكن من الهرب، وسكن وادي، ينبع وتوفي سنة ١١٣٨هـ /١٧٢٥م فيه.
الأنصاري: تحفة المحبين، ص٢٣٧.

(٦) د/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل جـ٢ ص٣٨٨.

الإدارة ما هو إلا تأديب لبعض المفسدين[١].

(ج) دور المغاربة في صراع المدينة مع العربان سنة ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م:

كذلك كان للمغاربة دور في الصراع مع قبائل العربان مثل قبائل حرب وأولاد علي، ومن الأمثلة على ذلك ما كان سنة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م حينما قام بنو علي هؤلاء وهم إحدى بطون قبائل حرب بمهاجمة المدينة هجومًا عنيفًا استطاعوا من خلاله محاصرة قائد القلعة العسكرية الذي كان جالسًا في بستانه في السيح[٢]، ولم تكن معه قوة عسكرية تساعده فقتلوه ثم لاذوا بالفرار، ولما كانت هناك خلافات بين مفتي المدينة عبدالله أفندي بن أسعد[٣] وبين القائد المذكور مما دفع عساكر القلعة لاتهام المفتي بأنه وراء تلك الجريمة باتصاله بالعربان وتوجه عساكر القلعة إلى دار المفتي بالسلاح واقتحموها وأطلقوا النار على مَنْ كان فيها من الرجال حيث قتلوا عددًا كبيرًا من عبيده، وعثروا على المفتي فأطلقوا النار عليه فسقط جريحًا وظل يُعالج لمدة أربعة أشهر سافر بعدها إلى الدولة العثمانية في إستانبول ليعرض أمره، ولما علم بذلك العسكر بذلوا جهودًا كبيرة لاسترضائه وأعيد إلى وظيفته[٤].

---

(١) جارشلي: أمراء مكة في العهد العثماني سبق ذكره ص١٤٩.

(٢) السيح: هو الموضع الذي يوجد غربي مسجد الفتح، وسميت بذلك لأن جشمًا وأخاه زيدًا سكنًا فيه وابتنى أطمايقال له السيح وهو في القطاع الشمالي للمدينة.
د/ صالح العلي: خطط المدينة المنورة، مجلة العرب عدد ١٢ السنة الأولى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ص١١٠٩.

(٣) عبدالله بن أسعد: ولد في المدينة ١٠٩٥هـ /١٦٨٣م وكان فاضلاً عالمًا ذا جاه ووجاهة وصلاح، تولى الوظائف الكبيرة في المدينة المنورة مثل الخطابة، والإمامة، والإفتاء، وكان وجوده مؤثرًا في المدينة توفى ١١٥٤هـ /١٧٤١م
مجهول: تراجم في أعيان المدينة، ص٤٢ والمرادي: سلك الدرر، جـ٣ ص٨٣.

(٤) د/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل، جـ٢ ص٣٨٩.

وتأتي علاقة المغاربة بتلك الأحداث من ناحيتين:

(أ) وجود الكثير من أبناء المغاربة في عسكر القلعة ضمن جند السباهية وغيرها من الفرق الأخرى[1].

(ب) وجود علاقة قوية بين المفتي عبدالله بن أسعد أفندي والمغاربة فوالدة المفتي هي السيدة مريم بنت القاضي محمد المغربية، وزوجته هي الشريفة فاطمة المغربية من أسرة والدته أيضًا؛ وهو ما يؤكد وجود قوي للمغاربة في الأحداث، وشقيقه يتزوج من فاطمة بنت محمد مولاي المغربي وغير ذلك مما سوف يظهر مكانه من البحث[2].

(د) دور المغاربة في الصراع بين رجال القلعة والنوباتجية في المدينة:

أصل نشأة الصراع بين رجال القلعة والنوباتجية في المدينة المنورة يرجع إلى سنة ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م حيث حدثت بعض السرقات في المدينة فاتفق النوباتجية بحكم المسؤولية أن يعسوا البلاد ليلاً، وأن تكون كل ليلة على بلوك من بلوكات النوباتجية بشرط أن يتولى كل ليلة جاويشًا[3] من جواويشهم، ولما

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، سبق ذكره ص٣٦.

(٢) المصدر السابق: ص ص ٣٦، ٣٨، ٣٤٠، ٤٧١.

(٣) جاووش: نوع من الموظفين الذين استخدموا في أعمال متنوعة في الدولة العثمانية، وقد وجدوا منذ عهد بايزيد الصاعقة يلدرم، وهم بعد المتفرقة ذوي التيمار في المرتبة حسب مقتضى قانون نامة الفاتح، وهما قسمان:

الأول: ذوي اليومية (العلوفة).

الثاني: ذوي التيمار (الاقطاعيات).

وهم أنواع:

١) جواويش الديوان السلطاني، ومهمتهم العمل في أيام اجتماع الديوان السلطاني.

٢) جواوشي العبيد أو الخدم، وكانوا يوجدون في فرقة الانكشارية، ويعملون بالمراسلة في زمن الحرب، ومكلفون بتبليغ أوامر القادة إلى الرؤساء العسكريين.

٣) كان اسم الموظف بعد القائد (كتخدا) جواوشي ديوان البحرية وغير ذلك.

كانت ليلة الجاويش علي قللي خرج يعس ومعه بعض رجاله، وقد كان بينه وبين سعيد شقلبها بعض منافرة، ولمَّا وصل الجاويش علي قللي إلى باب القلعة في عسه[١] وجد جماعة من أهل القلعة عند باب الصغير جلوسًا فدعوهم إلى الجلوس عندهم للمحادثة، وجلسوا إلى مقدار نصف الليل فلما قام من عندهم متوجهًا إلى مكانه، عارضه أحد رجال المدينة المنورة غارقًا في السكر من الخمر[٢] ومعه جمع من الناس[٣]، وكان مدفوعًا من طرف القلعة أو جماعته والله أعلم بقتله، فوقعت بينهم وقعات هما ثلاث تصوب فيها جمع من الطائفتين وقتل سلطان والقللي وتوجهوا إلى حارة الأغوات[٤]، وأتموا ليلتهم، ولما أصبح الصباح اجتمعت النوباتجية في الحارة واستحكموا الحكام في ذلك فأمر شيخ الحرم علي أغا أن يحبس محمد سعيد بن مصطفى كتخذا أودة[٥] باشا سابقًا، وكان

Medhat set s, 71.

(١) العس: هو الطواف ليلاً من أجل حفظ الأمن وأول من قام به كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وكانت من مهام المحتسب.
ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين دار المعارف د.ت، جـ٤ ص٢٩٤١.

(٢) هو اسمه سلطان عبد مديني.
جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، ص٤٤.

(٣) المصدر السابق و الصفحة.

(٤) حارة الأغوات: مكان قريب يسكن فيه الأغوات الذين يقومون بخدمة المسجد النبوي الشريف.
علي بن موسى: رسالة في وصف المدينة.
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤٤ تاريخ ورقة ١٢.

(٥) كتخدا أودة باشا: اكتخدا الوكيل وأودة باش هو الضابط الأقدم الذي يأتي بعد كتخدا الفرقة في الجماعة، ويعد قائد الفرقة الرئيسية في وحدات الأغا في فرقة الانكشارية يوجد بصفة دائمة في الثكنة في وحدته ويجلس في زمن الحرب في الخيمة المسماة خيمة الوحدة.
Talat, s 239.
Medhat ogolu, S. 40.

بيرقدار[١] من وجاقهم ويحبس معه جماعته فحبسوا، وبعد مضي نحو أربعة أيام افترقت النوباتجية فرقتين منهم من قال: إنه ما يحبس ويخرج من حبسه ومنهم من تشدد في حبسه وسبب ذلك أن شيخ الحرم تشدد في عدم إطلاقه حتى أتى جوابه من الشريف أحمد بن سعيد[٢] أمير مكة فتكاثر المحبون إلى حبسه وأطلقوه رغمًا عن شيخ الحرم وجماعته، ولما خرج محمد سعيد تعصب هو ومن في حزبه في عزل الجاويش علي قللي وقالوا لابد من عزله وإخراجه من الوجاق فأبى ذلك شيخ الحرم، فطال بينهم الحال واشتد الأمر فرأى شيخ الحرم الإصلاح في عزله فعزله وعزل الجاويش أحمد خليل[٣] ونصب عوضهما شرف قباني عن القللي وأحمد تركي عوضًا عن أحمد خليل، فقالوا ما نريد هذين أيضًا فقال شيخ الحرم والكتخدا محمد قمقمجي[٤]: ما نحن على رأيكم وأهوائكم فخرجوا عنهم نافرين وتوجهوا إلى القلعة مستنصرين بهم ومستنجدين، وصار كل يوم جماعتهم في

---

(١) بيرقدار: حامل الراية أو الأعلام التي توجد بها علامات الوحدات والتي يكون نصفها أصفر ونصفها أحمر وحدات الانكشارية ودرجته أصغر من درجة وكيل الخرج.

(٢) الشريف أحمد بن سعيد: تولى الشرافة بعد وفاة الشريف مساعد، ورفض قبول وصية الشريف مساعد بتولية أخيه عبدالله ووافقه إخوته، ودخل معه في صراع ثم تخلص من الشريف عبدالله بواسطة قوة البدو ثم تصادم مع عمه الشريف سرور وظل حتى سنة ١١٩٥هـ/١٧٨٠م عندما تولى الشريف عبدالله حسين الشرافة.
جارشلي: أمراء مكة في العهد العثماني، ص١٤٦.

(٣) أحمد خليل: ابن أخي مصطفى بن خليل الجداوي قدم عمه ١١٧٦هـ/١٧٦٢م ولحق به شارك في الأحداث السياسية في المدينة، ثم تزوج الشريفة سعدية على زوجته، وابنة عمه وفارق المدينة سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م مرتحلاً إلى جدة، وكان من الأثرياء الكبار.
الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٤) محمد قمقمجي: من الأتراك يقال له (كم كم باش) وكان عاملاً في بلاط السلطان في العاصمة ثم توجه إلى مصر فدخل في صراع مع رجال المدينة ونفي وعفي عنه.
د/ عبدالباسط: التاريخ الشامل، جـ٢ ص٤٠١ وما بعدها.

أمور عظيمة وأحوال جسيمة، فأرسل شيخ الحرم إلى الشريف يعرفه بهذا الأمر[١] فأتى بيورلدى من طرف الشريف أحمد لعشرين بقين من شهر رجب، فاجتمع العساكر وحكام المدينة والأعيان في دكة الأربعين[٢] كما هي العادة وأتى كتخدا القلعة محمد قلبلي بنحو أربعين مقاتلاً تحزم ظهره وحضر من جملتهم الشريف زين العابدين البرحَاني[٣]، ولما استكملوا جلوسهم في الدكة قام أحمد كتخدا كاتب شيخ الحرم وقرأ عليهم الكتاب وهم يسمعونه فكان مضمونه: «قد بلغنا ما فعل بالقللي وعزل الجواوشي؛ فمن بعد الآن لا أحد يتعرض لوجاق غيره وكل منهم حكمه الكتخدا وأغاته وشيخه، وأرسلوا الجماعة الذين حصل منهم الفساد فأبى رجال القلعة أن يطيعوه في ذلك[٤]».

وكادت تقع المقاتلة بين الفريقين لولا أن تدخل الشريف زين العابدين بالصلح وقال لأهل القلعة: أخرجوا لنا كشفًا بمن لم تريدوه من جماعتكم، وكان تعصب عليهم جماعة فأخرجوا له اثنين وثلاثين كشفًا و قال كذلك للنوباتجية، فقالوا نخرج كشف الجماعة الذين عندهم في القلعة ففزع هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء، واستعوض كل من الفريقين من عنده ثم كتبوا بينهما حجة شرعية بأنه لا يخرج أحد من وجاق إلى وجاق واصطلحوا ظاهرًا[٥].

---

(١) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، ص٥٧.

(٢) المقصود بها دكة الأغوات.

إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ١ ص٢١٠.

(٣) الشريف زين العابدين: من آل بركات تولى في ١٨ ربيع الأول ١١٨٤هـ / تموز ١٧٧٠م. وساعد على ذلك والي الشام وكان دوره كبيرًا في الفتن وظل حتى تولى الشريف سرور أمر مكة. عنه.

أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص ص ٢٠٧ – ٢١٤.

جارشلي: تاريخ مكة في العهد العثماني، ص١٤٦.

(٤) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، ص٥٨.

(٥) جعفر هاشم: المرجع السابق، ص٤٦٧.

وأما عن موقف المغاربة من هذه الفتنة فقد انضموا إلى فرقة النوباتجية ومن أشهر الذين قتلوا في أحداث هذه الفتنة من المغاربة الحاج يحيى الرصافي المغربي الأندلسي [١] وكان جوربجيًا[٢] فيها وتوفى شهيدًا بالحديقة الكركية[٣] بعد تدخل العربان من بني علي لصالح رجال القلعة[٤]؛ لذلك قتل فيها يحيى بن يحيى الرصافي حيث قتله العربان عند باب سيدنا حمزة[٥]، كذلك قتل في نفس الأحداث أحمد الأندلسي المغربي مع يحيى الرصافي في نفس المكان عند باب سيدنا حمزة[٦].

(هـ) دور عذيب القبيطي المغربي في فتنة دوس:

سميت هذه الفتنة بهذا الاسم (دوس) بسبب كثرة ما حدث فيها من الدوس

---

(١) يحيى الرصافي: هو أحد المغاربة الذين فر أجدادهم من رصافة الأندلس ثم ظلوا في بلاد المغرب حتى رحلوا إلى المدينة المنورة واستوطنوها، وكانت إحدى اسر الأندلسيين الذين يزيدون عن عشرة أسر فيها.

الأنصاري: تحفة المحبين، ص٤٦.

(٢) جوربجي: هو الاسم الذي كان يطلق بصفة مشترة على ضباط وحدات الأغا وفرق كتائب فرقة الإنكشارية، كما كان يطلق أيضًا شوربجي على قادة كتائب العجم.

Midhat, op. cit, s76.

(٣) الحديقة الكركية: هي حديقة يملكها خضر الجلبي بالشراء من عثمان البغدادي، اشتراها مع بيت وحديقة أخرى في خط ذروان، وأوقفها على أولاده ثم على الأئمة والخطباء حين انقراض الذرية.

الأنصاري: تحفة المحبين، ص٢١٢، ٣٩٧.

(٤) الأنصاري: السابق ص٤٦.

(٥) باب حمزة: هو باب تجاه ضريح سيدنا حمزة ناحية جبل أحد وهذا المكان موحش يستحب أن لا يذهب إليه أحد وحيدًا عنه ينظر.

جون لويس بوركهات: رحلات في شبه جزيرة العرب. ترجمة عبدالعزيز صالح الهلالي، طبعة أولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م مؤسسة الرسالة ص٣٣٦.

(٦) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٢٥١.

على الرجال وما حدث فيها من هتك حرمة المسجد النبوي الشريف سنة ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م[1] بين رجال النوباتجية بقيادة القمقمجي ورجال القلعة بقيادة أحمد بن مكي[2] حيث سكنت الفتنة بعض الشيء بناءً على أوامر الشريف في مكة، وفي يوم ١٧ صفر ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م، وعند صلاة الجمعة وكل فريق على حذر من الآخر والإمام يصلي بعد الخطبة وعند سجوده صاح أحد المجاذيب صيحة قوية ارتج له المسجد النبوي بمن فيه فهجم كل فريق على الآخر[3]، وكان أول من هجم من الفريقين السيد عذيب القبيطي المغربي من فرقة النوباتجية حيث أخرج بندقيته وضرب بها وسط المسجد، فتيقن كل فريق أنه على الحق، وعمد الأغوات إلى دكتهم وأخرجوا منها السلاح؛ لأن هذه عادتهم فصارت مأوى للفجور بعد أن أسس بنيانها على التقوى والصلاح وعمدوا إلى باب السلام[4] وأغلقوه وأرادوا غلق باب الرحمة[1] فما استطاعوا إغلاقه؛ لكثرة الزحام

---

(١) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، سبق ذكره، ص٥٦.

(٢) أحمد بن مكي: من بيت مكي حسن أصلهم من الأتراك قدم أصلهم في ١٠٤٠هـ /١٦٣٠م، وكان من المدرسين بالحرم الشريف، وأحمد هذا نشأ صالحًا، وتولى وظيفة في وجاق النوبتجية، ودخل في الصراع مع الشرف سرور، وحبس في القنفذة. مدة طويلة.
زين العابدين البرزنجي: كشف الحجاب والستور، ص٥٩٧، والأنصاري: تحفة المحبين، ص٤٤٨.

(٣) د/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل، جـ٢ ص ٤٠١ وأحمد الزيني دحلان: خلاصة الكلام، ص٢٢٠.

(٤) باب السلام: أحد أبواب المدينة المنورة ويعد شارعه أحد أهم شوارع المدينة ففيه بيت القزلار تحسين أغا، وحوش الجبرت والدكارنة وغير ذلك، والأصل فيه انه يسمى باب مروان ناحية الجنوب الغربي للمسجد، والمقابل لباب السلام في المسجد النبوي الشريف.
صالح العلي: خطط المدينة، ص١٠٩٦، وعلى بن موسى: رسالة في وصف المدينة، ص٥٠.

لأن الناس وبالخصوص أحمد المكي وجماعته ومن هو قائم لهم بالانتصار صعدوا القلعة مع غيرهم من الفرق العسكرية مثل الإنكشارية والسباهية حيث حصل لهم ضيق عظيم ووقع بكثرة الزحمة دوس عظيم بباب الرحمة وامتلأ منهم الطول والعرض ومات في تلك الحادثة ثلاثين رجلاً(٢).

وعند المغاربة فقد كان عذيب القبيطي ومعه بعض المغاربة يساندون القمقمجي وكان له دور بارز انتهى بنفيه خارج مكة، أما عن موقف الشريف من أحداث فتنة دوس فقد أرسل الشريف سرور(٣) السيد حسن العلوي من طرفه فوصل المدينة في الخامس من شعبان ١١٨٩هـ / ١١٧٥م وعقد الهدنة حتى أتم الحاج الشامي بقيادة محمد باشا(٤) أمير الحاج الزيارة.

---

(١) باب الرحمة: هو باب السوق يقابله دار كانت لعاتكة بنت عبدالله بن يزيد ابن معاوية، ثم صارت ليحيى بن خالد البرمكي، ثم دخلت في دار جعفر السابق الذكر. وفيه حدائق السمهودي ودار ضيافة الحرم.

صالح العلي: خطط المدينة، ١٠٩٥، على من موسى: رسالة في وصف المدينة، ص ص ٥٠- ٥١.

(٢) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، ص٥٧.

(٣) الشريف سرور: هو سرور بن مساعد انتخب الإمارة مكة وهو ابن الثامنة عشرة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٣م، كانت له صولات وجولات في المدينة ونجد وحول مكة والحجاز بوجه عام، وظل في الولاية مدة خمس عشرة سنة، وتولى بعده عبدالمعين بن مساعد ثم الشريف غالب بن مساعد.

جارشلي: أمراء مكة في العهد العثماني، ص١٥٠ - ١٥١.

زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص ص ٢٠١ وما بعدها.

(٤) محمد باشا: هو الوزير محمد باشا من مصطفى بن فارس بن إبراهيم الشهير بابن العظم، تولى ولايات كثيرة منها والي الشام ودخل طرابلس وطهر طريق الحج من المفسدين وأهلك معظمهم، ثم حصل على لقب أمير الأمراء بروم إيلي، ثم تولى إمارة الحج وصل الكثير من العقد في المدينة المنورة. كان شاعرًا أديبًا فائقًا، وظل حتى توفى ١١٩٦هـ/١٧٨١م. =

ولما اشتدت الفتنة توجه السيد تاج الدين إلياس مفتي السادة الحنفية ومن أهل الحل والعقد في المدينة - بالعروض السلطانية إلى الديار الرومية، وأتى بفرمان سلطاني مقتضاه عزل القمقمجي وتعزيره ونفي أصحابه ومنهم عذيب وبعض المغاربة كما حضر إلى المدينة المنورة والي الشام محمد باشا العظم ونزل الجرف[١]، والتقى بالفريقين أحمد مكي قائد القلعة وبعض قادة النوباتجية، غير أن رئيس النوباتجية لم يحضر فاستطاع محمد باشا التعزير به حتى أوقعه بين يديه، بعد أن أظهر نقمته على أحمد مكي خديعة وتحايلاً، ووضعه في القيود وسار به إلى مكة وسلمه إلى الشريف سرور[٢].

أما عذيب القبيطي فأخرجه محمد باشا إلى القنفذة وحُبس بها مدة، ثم عفا عنه الشريف مساعد[٣] وعاد بعد ذلك إلى المدينة ومن المغاربة الذين شاركوا في الأحداث أيضًا عبدالرحمن الفوال التنجري حيث قُبض عليه من جملة من قبض

- المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ضبطه محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م جـ٤ ص ص ١١١ - ١١٦.

(١) الجرف: من قرى العرضية الشمالية بمنطقة القنفذة من توابع مكة المكرمة.

حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية مقدمه تحوى أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية القسم الأول أ - ض دار اليمامة الرياض ١٣٩٣ - ١٩٧٧ ق١ ص٢٤٣.

(٢) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، ص٦٥، ود/ عبدالباسط بن بدر، التاريخ الشامل، جـ٢ ص .

(٣) الشريف مساعد: تولى الإمارة سنة ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م ودخل في صراع مع ابن أخيه، وبقي في الإمارة نهاية ١١٧٢هـ / ١٧٥٩م، وكانت علاقاته بالبدو جيدة فظلت الأمور هادئة حتى عزل ١١٧٢هـ / ١٧٥٩م.

جارشلي: أمراء مكة في العهد العثماني، سبق ذكره ص ص ١٤٠، ١٤٢.

عليه، وسار به إلى الشام ثم عفي عنه وُردَّ إلى المدينة المنورة[١]، ولم تأخذ الدولة موقفًا قويًا تجاه الشريف بل ساندته[٢] إلى أبعد مدًى وهو دليل على الفساد الذي كان يحكم المدينة المنورة حينذاك.

(و) فتنة الساحر المغربي سنة ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م:

بعد أن حضر الشريف سرور برجاله للسيطرة على الفتن المنتشرة في المدينة المنورة حاول أن يعود إلى مكة المكرمة سريعًا حتى لا تزداد الفتن شيوعًا في المسجد النبوي الشريف قام أحد المغاربة القاطنين بالمدينة المنورة وصفته المصادر التاريخية بأنه (الساحر المغربي) وإن لم[٣] تذكر له اسمًا يقول عنه صاحب الأخبار الغريبة: "وكان عند الشريف رجل مغربي فاجر يدعى بالساحر ولما رأى ما هم فيه من الأحوال وكثرة القيل والقال جاء إلى الشريف وقال له: الآن تأخذ القلعة ويحصل لك بذلك غاية المنفعة".[٤] وبالفعل قام الشريف ورجاله بنقب السور من ناحية الباب الصغير[٥] وهاجمهم هجومًا شديدًا[٦].

وكانت هناك محاولات شتى من الصلح بين المتحاربين قام بها مجموعة من العلماء والأعيان بعضهم من المغاربة وهو ما يؤكد الدور القوي والمؤثر الذي قام

---

(١) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، سبق ذكره ص٦٥، والأنصاري: تحفة المحبين، سبق ذكره، ص٣٩٧.

(٢) يراجع النصوص في الوثيقة التي أفردها.
إسماعيل جارشلي: أمراء مكة في العهد العثماني، ص١٤٩.

(٣) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، ص ٧٨ والبرزنجي: كشف الحجاب والستور، ٦٠٣.

(٤) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، ص٧٨.

(٥) الباب الصغير: المقصود به الباب الصغير للقلعة التي بناها السلطان سليمان القانوني ٩٣٩هـ / ١٥٣١م.
محمد علي فهيم: مخصصات الحرمين الشريفين، ص٣٠٣.

(٦) د/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل، جـ٢ ص٣٣٥.

به المغاربة في الحياة السياسية في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي وعن هؤلاء الذين قاموا بالصلح الشيخ عبدالله الخليفتي[١] المفتي الحنفي، والسيد محمد البرزنجي[٢] والسيد حسن البرزنجي خطيب المدينة المنورة الشيخ قاسم مغلباي[٣] والسيد عبدالله الطيار[٤] وبعض التجار، وقام المغاربة كذلك بالمشاركة في الصلح منهم الشباب المغاربة الذين يتولون وظائف مهمة في القلعة العسكرية مثل محمد سعيد المغيربي[٥].

واجتمع أعيان البلدة والتجار ووضع كل منهم بقدر ما معهم من الدرهم

---

(١) عبدالله الخليفتي: هو الشيخ عبدالله بن محمد زين العابدين الخليفتي ولد سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م وصار إمامًا وخطيبًا وشيخ الخطباء وظل على هذا النحو حتى صار مفتي المدينة وتولى القضاء بموت القاضي سافر إلى تركيا ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م.
الأنصاري: تحفة المحبين، ص٢٠٣.

(٢) السيد محمد البرزنجي: الشيخ محمد البرزنجي بن عبد رب الرسول من عبدالسيد من عبدالرسول ولد في شهر زور في ١٢ ربيع الأول سنة أربعين ألف، وكان عالمًا مجيدًا في الفقه والتفسير كانت وفاته سنة ١١٨٩هـ/١٧٤٣م.
السابق، ص٩٠، والمرادي: سلك الدرر، ج٤ ص٨٠.

(٣) قاسم مغلباي: هو قاسم من أبى السعود من قاسم بن محيي الدين مغلباي الرومي من أسرة تركية حازت الشرف والاشتغال في فرقة الجراكسة بالديار المصرية كان شبيهًا بوالده ولقد عاش حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.
الأنصاري: تحفة المحبين، ص٤٣٣.

(٤) عبدالله الطيار: هو عبدالله بن محمد بن أبى بكر بن أحمد الطيار ينسبون إلى السيد علي بن عبدالرحمن الإحساني، وصار إمامًا وخطيبًا بالمسجد النبوي الشريف، وظل على قيد الحياة حتى نهاية القرن الثاني عشر/ الثامن عشر الميلادي.
السابق ص٣٣٦، ومجهول: تراجم أعيان المدينة المنورة، ص١٢٥.

(٥) البرزنجي: كشف الحجاب والستور، ص٦٠٢.

والدينار[١] وتقلد بالسلاح الكبار و الصغار ثم جمعوا بعد ذلك جمعية ولوا على إثرها السيد عُبيد قبيطي في وظيفة كتخدا النوباتجية ثم جمعوا جمعية أخرى وقلدوا الشاب محمد سعيد المغيربي حسبة السوق[٢].

وفي نهاية شهر رجب انتهت المأساة وأمر الشريف بوقف جميع عمليات القتل والنهب وعدم تعقب الفارين، كما أمر باستبقاء خمسين شخصًا من أهل المدينة منهم من اتهم بأنه سبب الفتنة، ومنهم من ينتمي إلى الفرق العسكرية ومنهم من عرف بالقوة والفتوة على أن يؤخذوا كرهائن[٣]، وبالفعل أخذ الشريف خمسين رجلاً من أهل المدينة وعساكرها يرسفون بالأغلال وخلفت وراءها حامية تابعة للشريف تعسكر في القلعة وخلفت أيضًا - وهذا هو الأهم - آلامًا لما حدث ونقمة تنتظر الفرصة السانحة للانتقام ولما وصل الشريف إلى مكة سجن بعض الرهائن من أهل المدينة وأرسل بعضهم إلى القنفذة[٤] أما الذين اتهمهم بأنهم رؤوس الفتنة وسببها فقد أرسلهم إلى بلاد الهند في ٢٣ شعبان ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م[٥]

---

(١) الدينار: أحد العملات الذهبية في الدولة الإسلامية الأولى وليس من المعلوم بالضبط لماذا اتخذ العرب هذا المصطلح وكان يزيد ٤,٢٥ جرامًا ذهبًا أما الدينار الشرعي فكان يزن عشرة دراهم أي ٣٢,٥ جرامًا فضة.

Midhat, op. cit, p 85 - 86.

(٢) البرزنجي: كشف الحجاب، ص٦٠٢.

(٣) أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص٢١٥، ود/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل جـ٢ ص٤١٤.

(٤) القنفذة: تقع على الساحل قريب من مكة وهي حاليًا إمارة يتبعها عدة توابع هي المظليف حرب، وبني عباس، ودوقة، والفوز، وغيرها.
عنها حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ق١ ص٢٠.

(٥) د/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل، جـ٢ ص٤١٤ - ٤١٥.

وترك في المدينة أربعمائة من اليمنيين بقيادة وزيره محمد العدواني[١] المضايفي قائدًا للقلعة ومنع العساكر القدماء من دخول القلعة مرة ثانية[٢].

ويلاحظ على المغاربة في المدينة المنورة أنهم تولوا الوظائف في الفرق العسكرية وكانوا من كبار أعيان المدينة المنورة ولهم الكلمة العليا فيها، وظهر من خلال العرض الجهود البارزة في النواحي السياسية ووصلوا إلى أعلى الوظائف في الوجاقات المختلفة، ومن ناحية أخرى فقد تشددت معهم الإدارة في مواقفهم وأعمالهم السياسية حيث اتخذت إزاء الأعمال السلبية التي قاموا بها أحد أمرين:

أولاً: القتل.

ومن أبرز الذين قتلوا إليه في المعارك السيد يحيى الرصافي أودة باشا القلعة السلطانية في الفتنة الواقعة بين بني علي من بطون قبيلة حرب وأهالي المدينة ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م حيث قتل عند باب سيدنا حمزة[٣] وذلك كما سبق أن قدمنا.

الثاني: النفي خارج المدينة:

وقد حدث هذا النفي من الإدارة في المدينة ولعل من الأمثلة على ذلك ما كان من خليل الجزائري الذي كان جوربجيًا في القلعة السلطانية واتهم بضرب السكة الطرلية فنفاه أيوب أغا شيخ الحرم من المدينة وأخرج منها[٤] كما سبق أن قدمنا.

---

(١) محمد العدواني: كان من رجال الشريف سرور جاء بهم الشريف لاستتباب الأمن ولمساعدته فيما هو جاء من أجله.
دحلان: خلاصة الكلام، ص ص ٢١٨ – ٢٢٢، وعارف عبدالغني: تاريخ أمراء مكة، ص٧١٦ – ٧٢٠.

(٢) عبدالباسط بدر: التاريخ الشامل، جـ٢ ص٤١٥.

(٣) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٢٥١.

(٤) الأنصاري: تحفة المحبين، ص١٥٤، د/ عبدالباسط بن بدر: التاريخ الشامل، جـ٢ ص٤١٥.

كذلك كان الحاج عبدالرحمن المغربي وكان يعمل في وجاق النوباتجية حيث كان من المتحركين في الفتن السياسية والمشاركين فيها فأخرج من المدينة سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م وسافر إلى مكة وظل موجودًا بها حتى سنة ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م[١].

ومن خلال هذا العرض يتضح أن المغاربة قاموا بدور مؤثر في إصلاح الحياة السياسية أو العكس وأنهم كانت قوة تأثيرهم إيجابًا وسلبًا واضحة بصورة كبيرة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

خامسًا: اشتراك العلماء المغاربة في الأحداث السياسية:

وقبل أن نختم هذا الفصل ينبغي أن نضيف أن العلماء المغاربة لم يكونوا مشتركين بقوة في الأحداث السياسية خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وإنما كانت مشاركاتهم قليلة مقارنة بغيرهم من الذين تولوا وظائف من نواب القضاة أو الذين عملوا في الفرق العسكرية في القلعة السلطانية أو الذين عملوا في النوباتجية، وعلى الرغم من ذلك فقد سجل المؤرخون بعض المواقف السياسية وربما لم يكونوا سببًا فيها لكن الجدير بالذكر أنهم كان لهم دور في أحداثها حتى ولو لم يختلقوها وهو ما يجب أن نعرض له في عجالة في السطور القادمة.

فمن أهم الذين كان لهم دور في تلك الحياة السياسية قبيل فترة البحث الشيخ محمد بن سليمان المغربي.

والشيخ محمد بن سليمان من العلماء الأجلاء وهو الشيخ محمد بن سليمان بن طاهر الروداني الفاسي السوسي عاش في الحجاز وتنقل بين المدينة ومكة،

---

(١) الأنصاري: المصدر السابق، ص٣٨٣.

وكانت صلته كبيرة بالحكام من الأتراك والأشراف[1] غير أنه لقب برئيس الحرمين الشريفين وكان الشيخ محمد بن سليمان له كلمة مسموعة فسافر إلى الروم وحظى بمكانة رفيعة ثم حضر إلى المدينة ومكة. وفوض بالنظر في أمور الحرمين مدة حتى صار لا يصدر شريف مكة إلا عن رأيه وأنيطت به الأمور العامة والخاصة حتى وفاة الشريف بركات[2].

وبعد وفاة الشريف المذكور تولى ولده الشريف سعيد بن بركات وحسده لمكانته وعلاقاته بالدولة العثمانية فأرسل إلى الدولة العثمانية خشية من أن يخرج على الدولة افتراءً عليه فكانت النتيجة أن صدر فرمان سلطاني بإخراجه إلى بيت المقدس، وكان ورود الأمر يوم عيد الفطر فألح عليه الشريف والقاضي في امتثال الأمر السلطاني فامتنع من الخروج في هذه الحالة وتعلل بالخوف من قطاع الطريق فأبى أن يسلم نفسه وماله، وحاول بعض الأشراف الشفاعة له دون جدوى، وظل حتى خروج قافلة الحج ثم توجه صحبة الركب الشامي وأبقى أهله بالحجاز، وأقام في دمشق في دار نقيب الأشراف عبدالكريم بن حمزة، واستمر بدمشق مدّة منفردًا بنفسه لا يجتمع إلا بما قل من الناس واشتغل بالتأليف حتى كانت وفاته سنة ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م في العام الذي نفي فيه إلى الشام[3].

وكان السبب الذي دعاه إلى الانفراد بنفسه بعيدًا عن مخالطة الناس أن الشريف سعيد بن بركات هو أكثر من ساعده الشيخ ابن سليمان ووقف إلى جواره وحتى وطد حكمه ومكانه في مكة والمدينة وما إن أدرك أن حكمه قد دعم حتى خرج عليه، وكان السبب في نفيه خشية من نفوذه واتصاله بالعثمانيين بعد

---

(١) الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، بيروت، ١٩٨٦م، جـ٦ ص١٥١.

(٢) د/ عارف عبدالغني – أمراء مكة المكرمة، دار البشائر، سورية ١٩٩٦م ص ص٧١٧ – ٧٢٠.

(٣) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر صادر بيروت، جـ٤ ص ص ٢٠٤ – ٢٠٦ أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام ص١٠٢ – ١٠٣.

أكثر من زيارة لعاصمة الدولة العثمانية[(١)].

وقبل أن ننهي هذا الفصل ينبغي إعطاء صورة مهمة لها دلالتها وهي تصور علماء المغاربة للحياة السياسية في الحجاز خاصة المدينة المنورة فيحكم الورثيلاني حكمًا قاسيًا على هذا النظام السياسي ويرى أن الأوضاع كانت تسير من سيء إلى أسوأ حيث أن الحج كاد يسقط في نظره أمام تلك الأوضاع فقد أدى فريضة الحج الأولى سنة ١١٦٥هـ / ١٧٥١م أما حجتاه الثانية والثالثة فقد كانت في عهد الأمير مساعد بن سعيد أخي الشريف مسعود المذكور سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م ويلاحظ أن الأمور ساءت كثيرًا بين الحجتين الأولى والثانية فالظلم قد انتشر، وكثرت الاعتداءات، ولم يعد المرء آمنًا على نفسه في الحجاز، ولم يكن الأمر مقصورًا على ظلم الناس بعضهم لبعض بل أصبح يصدر عن الولاة أيضًا[(٢)]، وختم الورثيلاني رأيه بقوله:

«وهذا كله يرشد إلى أن الزمان قد زاد في الظلم والتعدي[(٣)]» مضيفًا بأن الحج كاد يسقط في نفوس المسلمين من ظلم الولاة وأصحابهم.

ويرى الرحالة المغاربة أن الفساد السياسي في المدينة المنورة - وغيرها من بلاد الحجاز - ناشئ في الأساس من تصرفات الأشراف ويقول الورثيلاني: «ما ضيع الأحكام إلا الأشراف فإن أمرهم قد قوى عليّ وعلى غيري»[(٤)].

والمغاربة في هذا الموقف من الحياة السياسية في المدينة المنورة على حق وذلك لما يأتي:

---

(١) المحبي: خلاصة الأثر جـ٤، ص٢٠٥.

(٢) أبوالقاسم سعدالله: الرحلات الجزائرية، ص٣٤١.

(٣) الورثيلاني: الرحلة، ص٤٢٢.

(٤) السابق: ص٤٢١.

(أ) تصرفات الأشراف:

(أ) كل الأوضاع السياسية السيئة التي نالت المدينة المنورة في الفتن الكثيرة ذات الخسائر الكبيرة من تصرفات بعض الأشراف، ويتضح من خلالها عدم فهم الكثير منهم للنظريات السياسية أو الاتجاهات السياسية، وكانت معظم التصرفات تحوي الكثير من الغطرسة السياسية ومن الأمثلة على ذلك أحداث الفتن في سنوات ١١٣٤هـ / ١٧٢١م و١١٥٤هـ / ١٧٤١م وسنة ١١٨٩هـ / ١١٧٥م[١] والتي سبق أن تحدثنا عنها.

(ب) الصراعات بين الأشراف:

والصراعات بين الأشراف كانت صورة سيئة من صور الصراعات السياسية بين الأشراف ويسجل الكثير من المؤرخين صراعات شتى فلم يخل الأمر لشريف من الأشراف دون قتال، ولم ينته صراع إلا بخسائر كبيرة جدًا ليس بين الأشراف وحسب بل بين أصحاب الوظائف الرسمية مثل: شيخ الحرم المدني، أو المكي أو القضاة أو المفتين والعلماء إلى غير ذلك من طبقات المجتمع في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، ومن الأمثلة على تلك الصراعات الصراع بين الشريف سعيد بن سعد وبقية الأشراف، ولم يخل الأمر له إلا سنة واحدة فقط[٢]، والشريف يحيى بن بركات الذي حدث في عهده الكثير من الصراعات في المدينة المنورة[٣].

(ج) فشل الأشراف في السيطرة على الأمن:

وقد فشل الأشراف فشلاً ذريعًا في السيطرة على الأمن في المدينة المنورة والذي يدقق النظر في الأحداث السياسية التي واكبت القرن الثاني عشر الهجري/

(١) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، ص ص ٣٠، ٤٢، ٥٥ وما بعدها.

(٢) جارشلي: أمراء مكة في العهد العثماني ص ١٢٦.

(٣) السابق: ص٣٣.

الثامن عشر الهجري يجد أن معظمها يرجع إلى افتقاد الأمن، فتخرج العربان والبدو بالفتن ضد الأشراف والدولة بسبب الحقوق الضائعة من وجهة نظرهم أو الطمع في حقوق أزيد وأكثر، فضلاً عن استفزاز الأشراف لهم، وكان من الممكن على الأشراف أن يهادنوا ولا يتخذوا إجراءات قمعية إلا أن الأشراف قد أخذوا موقفًا متشددًا من القبائل المحيطة بالمدينة المنورة، مثل أولاد علي وقبيلة حرب وغير تلك القبائل(١).

يضاف إلى ذلك الفشل في السيطرة على الأمن في طريق الحجاز ابتداءً من حدود الحجاز الشمالية الغربية على ساحل البحر الأحمر وكثيرًا ما سجل الرحالة المغاربة بعض تلك الأحداث والتي خسر فيها المغاربة الكثير من الأفراد من الرجال والنساء خاصة العجائز والأطفال فضلاً عن الأموال والتجارات والمؤن(٢)، مما جعل هذه النظرة تسود عند الرحالة المغاربة خلال ذلك القرن.

ولاشك أنه بعد كل هذه الأسباب لابد وأن يتخذ المغاربة هذا الموقف من الساسة في المدينة المنورة خلال فترة البحث.

أمر أخير جدير بأن يسجل وهو أن المغاربة كانوا ينظرون إلى ما يحدث في مكة والمدينة النظرة الواحدة إلى إقليم الحجاز بوجه عام فلا فرق بين مكة والمدينة من وجهة نظرهم لذلك كانت الأحداث في مكة تؤثر على الأوضاع في المدينة المنورة وتحدث صدى كبيرًا بين المغاربة في المدينة تضامنًا مع من يسكن منهم في مكة ومن الأمثلة على ذلك قضية تاج الدين القلعي:

وتاج الدين القلعي هو الشيخ أبوالفضل ابن القاضي عبدالمحسن بن سالم القلعي الحنفي المغربي مفتي مكة وتولى القضاء فيها تنقل بين مكة والمدينة،

---

(١) الورثيلاني: الرحلة ، ٥٤٤.

(٢) عبدالمجيد المنالي: الرحلة، ١٣٧.

وظل في المدينة المنورة حقبة تاريخية قليلة جاور فيها في مسجد النبي ﷺ(١)، وكان جديرًا به أن يكون أحد الأعلام المشهورين الذين دان لهم أهل مكة والمدينة بالعلم والفضل.

وتعود قضية الشيخ تاج الدين إلى انه كان أحد الأئمة والخطباء بالمسجد الحرام وكانت له نوبة في الإمامة فتأخر قليلاً فصلى بالناس أحد المجاورين فلما أتم الصلاة سأل الباشا شيخ الحرم عن صاحب النوبة الذي تأخر؟ فأجيب أنه الشيخ تاج الدين فأمر بضربه على رجليه، فلما سمع بذلك الأئمة أنفت نفوسهم فاجتمع منهم جماعة مع بعض الأئمة الشافعية منهم الشيخ علي العصامي - وكان أكبرهم سنًا - وذهبوا للشريف أحمد بن زيد وعرفوه ما وقع وقالوا له أن جرم التأخير بعذر لا يوجب الإهانة وطالبوه أن يعفيهم من هذه الخدمة بعد هذا القدر، فإنهم لا طاقة لهم بذلك فرفض الشريف عزلهم وطلب منهم أن يكتبوا سؤالاً إلى المفتي بشأن هذا الأمر فقال المفتي عبدالله عتاقي زاده(٢): "يجب تعزير من أهان أهل العلم" وطلع جماعة منهم للشريف أحمد وأطلعوه على الإجابة التي أجاب بها المفتي، وحدثت مشكلات سياسية بين المفتي وشيخ الحرم، وكانت نتيجة كل هذا فتنة كبيرة امتدت صداها إلى المدينة المنورة اضطرت الشريف المكي إلى الذهاب إلى المدينة المنورة لإخمادها، وكانت المكافأة له من السلطان

---

(١) عبدالله مراد: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، مطبوعات نادي الطائف الأدبي د. ت جـ١ ص١١١.

(٢) عبدالله عتاقي زادة: هو الشيخ القاضي، والمفتي عبدالله بن شمس الدين عتاقي زاده المكي الحنفي، له فتاوى، ومؤلفات، كان يسكن دار الخيزران، ظل يدرس ويفتي حتى توفي ١١١٨هـ/١٧٠٦م.

مرداد: المصدر السابق، جـ٢ ص٢٦٣ - ٢٦٤.

العثماني كبيرة بأن أُلبس الخلعة السنية الآتية من السلطان في روضة النبي ﷺ[١] بعد انتهاء تلك الفتنة التي استمرت عدة أشهر بسبب ضرب وإهانة الشيخ تاج الدين القلعي المغربي.

أمن الحجاج المغاربة في المدينة:

ومن المهم هنا أن نشير إلى ظروف الحجاج المغاربة في الطريق إلى المدينة المنورة وأثر ذلك على تصور العلماء المغاربة للحياة السياسية وداخلها، فقد حدثت لهم ظروف أمنية كادت أن تبطش بهم وخسروا بسببها الكثير من الأموال والرجال، فقد لاقى الحجاج في عُسفان[٢] جموعًا من العرب أخافوا الحجاج؛ لأنهم لا يغادرون أحدًا إلا قتلوه وأخذوا ماله وذلك معلوم ضرورة حتى أن الحاج كان يخاف على نفسه وعلى عياله الذين معه، ولم يكن هذا الأمر في عُسفان فقط بل وصل الأمر إلى أنه أثناء خروج الورثيلاني ورجال الركب المغربي من المدينة المنورة سمع الناس يقولون لهم: «وإن آل عرب يضرونكم ويؤذونكم[٣] كذلك هاجم العربان الحاج في أبيار علي حيث قال عنهم في هذا المكان: «الحرامية يتبعون وراءنا إلى أن وصلنا إلى الركب، كذلك أضاف أن فساق العرب ومحاربيهم قَل أن يخرج أهل الركب سالمين منهم، ولقد وصل الأمر أن المدينة المنورة كلها كانت في خطر من هؤلاء العربان[٤]، وكانت الأوضاع الأمنية على درجة كبيرة من السوء؛ لأن أعراب الحجاز لا تنالهم الأحكام الشرعية من ناحية من ولي الحرمين

---

(١) أحمد بن زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) عسفان: منطقة قريبة من مكة بها بئر هو بئر عسفان بين مكة وقديد. وهو موضع لراحة الحاج في الذهاب والعودة، وهي قرية أيضًا بها مياه عذبة وسوق وبها أشجار سنط، وغير ذلك.

ابن السراج: أنس الساري، ص٩٠ وعلي مبارك: الخطط، جـ٩ ص٧٥.

(٣) أبو القاسم سعد الله: الرحلات الجزائرية، ص٣٤٢.

(٤) أبو القاسم سعد الله: السابق ص٣٤٢.

وقبائل حرب التي عمرت في البلاد حول المدينة وخلال طريق الحج مسافة اثنتى عشرة مرحلة لا يقيمون وزنًا لقبيلة من قبائل الحجاز أصلاً مع ما هم عليه من الظلم والحرابة والتوغل في الفحش والجهل، الأمر الذي يخشى معه حدوث ما لا تحمد عقباه لدرجة أن الناصري يتخوف من انعدام الأمن قائلاً: «وأخشى إن طال هذا الأمر أن يتعطل الحج» وفي المدينة ذاتها تكثر الفتن وينعدم الأمن بصورة واحدة[(١)].

ويرجع المغاربة سبب انعدام الأمن في المدينة إلى أن المناصب الشرعية كلها في البلاد من إمامة وخطابة وآذان وإقامة وقضاء وفتوى وشهادة بل وقيد المساجد إنما ينال بالشراء من الولاة، فإذا ما مات صاحب خطة أو عزل دفع الراغب فيها مالاً للولاة فيولونه مكانه على أي حال كان من صلاحيته لذلك أن، معظم الخطب على المسلمين والإسلام في ذلك خصوصًا من بيع وشراء مناصب القضاء[(٢)].

وبذلك يتضح أن انعدام الأمن كان سمة رئيسية للمغاربة وحجاجهم في الأحداث السياسية التي نالتهم ولحجاجهم فيما حدث من أهوال لقافلتهم وليس معنى ذلك أن المغاربة قد نالهم ما يسمى بالتعصب ضدهم وإنما الأمر كان بسبب الأوضاع السياسية المضطربة التي لم يكن المغاربة بمنأى عنها ولا تزال مشاركتهم السياسية وتأثيرهم فيها من أبرز الإيجابيات التي ميزتهم رغم بعدهم الجغرافي وظروفهم الاجتماعية التي لا تقارن بما كان عليه الأتراك والمصريون كطائفتين من أهم طوائف مجتمع المدينة المنورة خلال ذلك القرن.

---

(١) عبدالكريم كريم: بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة، ص ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٢) عبدالكريم كريم: السابق ص٤١٥.

دور المغاربة قاطني المدنية في الحياة السياسية خارجها:

وظهر دور المغاربة في مساعدة المصريين ضد الحملة الفرنسية كانت الحملة الفرنسية أول حملة على الشرق في مطلع القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي لذلك فقد كانت الدعاية الإسلامية قوية جدًا في الترويج لإذكاء التدافع نحو مساعدة المسلمين في مصر بفعل عوامل كثيره أهمها، دور العثمانيين ذاتهم في الدعاية من ناحية، ومن ناحية أخرى في التصدي للدفاع عن مصر كجزء من دولتهم مترامية الأطراف بإرسال جيشين كاملين من تركيا إلى مصر على بلاد الشام[١]، بالإضافة إلى أسطول بحري عبر البحر المتوسط ليتعاون مع بريطانيا العدو الأول للفرنسيين سواء في أوربا أو خارجها[٢].

وإتمامًا لهذا الدور قام السلطان العثماني سليم الثالث[٣] بإرسال رسائل إلى

---

(١) الدارندلي: الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني، ترجمة جمال سعيد عبدالغني، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ص ٢٠٧ - ٢١٤، وفؤاد شكري: الحملة الفرنسية على مصر، القاهرة، د. ت ص ص ٥٠ وما بعدها.

(٢) الدارندلي: السابق ص٢٠٢.

(٣) السلطان سليم الثالث: هو السلطان سليم الثالث بن مصطفى الثالث تولى السلطنة فيما بين ١٢٠٣ - ١٢٢٣هـ / ١٧٨٩ - ١٨٠٧م، ويعتبر من أوائل السلاطين الذين قاموا بالإصلاح في الدولة العثمانية مستعينًا بأفكار الغرب، وكانت علاقاته قوية بالفرنسيين فأوهموه بأن دخولهم مصر لتأديب المماليك، ثم دخل في صراعات مع روسيا وانجلترا حتى عزل ١٢٢٣هـ / ١٨٠٧م.

لطفي الله جحاف: نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر نصوص مختارة من المخطوطة اليمنية درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي ورجال دولته الميامين (١١٨٩ - ١٢٤٣هـ / ١٧٧٥ - ١٨٢٨م) نشر وتحقيق د/ سيد مصطفى سالم القاهرة (د. ت) ص٨٩.

الشريف غالب بن مساعد[1] أمير مكة المكرمة لإعلام الحجازيين بما حدث قائلاً: وإلى عمدة الفضلاء نائب مكة المكرمة وكافة السادات الأشراف الأجلاء الميامين ومفاتي المذاهب الأربعة، والعلماء، والأئمة المحترمين، ووجوه كافة المسلمين من سكان بلد الله الأمين من حاضر وباد، وفقهم الله إلى سبيل الرشاد، يحاطون علمًا أن طائفة كفار الفرانسة جعل الله ديارهم دارسة، وأعلامهم ناكسة قد نقضوا العهود، وخانوا مواثيق المعبود، وخرجوا من أطوار الحدود، وهجموا على بلدان مصر وسكانها، على حين غفلة من أهلها، فملكوا البلاد وأفشوا الكفر والفساد... إلخ» إلى أن يقول: «فكيف لا يكون فرضًا على كل أحد من مسلم وموحد أن يشمر عن ساعد الجد، ويبذل نفسه وماله في مرضاة الواحد الفرد.... فشدوا عزائمكم للقائهم، واحفظوا جهاتكم، وسواحلكم، ومنافذ بلداتكم، وسارعوا إلى الرب .»[2]. وبذلك فقد وصلت الأخبار رسميًا من قبل السلطان العثماني، كما وصلت من قبل بونابرت كذلك برسالة بعث بها إلى الشريف المذكور في الحجاز يخبره فيها بالحفاظ على حقوق أهل المدينة ومكة بشرط أن يكون الولاء له[3].

ويهمنا هنا بعد وصول الأخبار إلى المدينة ما قام به المغاربة إزاء هذه المصيبة التي ألمت بمصر والعالم الإسلامي؛ إذ قام أحد المغاربة وهو الشيخ محمد المغربي الجيلاني بدور كبير في مقاومة الفرنسيين.

يقول في ذلك لطف الله جحاف: «وفيها قام في البلدة الحرام بوظيفة الدعاء

(١) الشريف غالب بن مساعد: هو الشريف غالب بن مساعد بن سرور الحسني، كان شريف مكة وحاكمها إبان الصراع العثماني السعودي، وانضم في النهاية إليهم تمكن محمد علي من خداعه وأسره ونفى إلى سالونيك وتوفي فيها ١٢٣١هـ/١٨١٦م.

الزركلي: الأعلام، جـ٥ ص ١١٥.

(٢) لطف الله جحاف: درر نحور ص ص ١١٤ - ١١٧.

(٣) الجبرتي: عجائب الآثار، جـ٢ ص٢١٢.

Morcel: Kont sheek mohdy pares, 1930, p.p. 30 – 32.

إلى إقامة شعار الجهاد سنام الإسلام[١] محمد المغربي الجيلاني الهاشمي لما وردت الأعلام بما صنعه الكفرة اللئام من الهجوم على ساحات مصر وتصدر بالحرم الشريف فالتفت عليه خلائق... وتسامع الناس بأخباره فوردوا إليه وبذلوا نفوسهم وأموالهم بين يديه».

وإزاء هذه الأحداث قام الشيخ الجيلاني المغربي بأحد أمرين:

الأول: جمع تبرعات للمجاهدين في مصر.

وقد جمع الشيخ المغربي أموالاً كبيرة فكانت النساء تأتي فتستمع ما يمليه من أحاديث الحض على الجهاد فيلقين إلى الحلقة خواتمهن والعقود وبعض الملابس ذات القيمة، فاجتمعت عنده الأموال الكبيرة، وقد نقل إلينا المؤرخون بعض الأموال التي تبرع بها بعض المخلصين ومن ذلك[٢].

الشيخ محمد باصلاح الحضرمي (٥٠٠) بندق صغار مغربية، ومائتي حربة (من حراب الشام)، ومائتي سيف وأربع مائة كيس حبوب الرز وألفي نعل ينتعلها فقراء المجاهدين.

ومنهم الشيخ عبدالرحمن العسيري بمهمات حيث جهز ثلاث سواعي يركبها المجاهدون وملأها لهم ميرة.

ومنهم الشيخ المغربي أحمد فاس جهز داوين في سبيل الله.

ومنهم الشريف غالب بن مساعد جهز خمس سواعي في سبيل الله شاحنة.

كذلك استطاع الشيخ الجيلاني المغربي الوصول إلى أهالي ينبع فتبرع السيد محمد أبوالليل ببعض المعونات فجهز داوًا من داواته وثلاث سواعٍ أخريات من

---

(١) يشير إلى الجهاد كما ورد في جزء من حديث رواه معاذ بن جبل لقول له النبي ﷺ: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه الجهاد.

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار، جـ٢ ص٢٥٠.

أهل ينبع فسير السيد محمد الجيلاني جماعة المتطوعة من جدة في تلك الـداوات فكانوا نحوًا من أربعة آلاف مقاتل.

ثم ذهب نحو المدينة فمر بأهل رابغ والخليص فدعاهم إلى الجهـاد فأجـابوه وبذلوا له أموالاً واسعة وسار إلى بدر وحصل على أموال كثيرة، وخـرج مـنهم جماعة متطوعة وكان للشيخ الجيلاني وكلاء يجمعون الأمـوال معـه ثـم نـزل بالصفرا فدرس بها ودعا إلى الجهاد فجاءوا بأموال واسعة فقال له بعض العوام: إنهم زيدية فقال: قد زادهم الله عليك فضلاً فإني وجدتهم يدفعون أموالهم في سبيل الله وقبضها منهم، ثم ذهب إلى المدينة فتسلم من أهلها أموالاً جزيلة(١).

الثاني: المساعدة في خروج المجاهدين من الحجاز:

قام الشيخ محمد الجيلاني المغربي بالدعوة إلى الجهاد في سـبيل الله فجـاءه المتطوعة من كل مكان ليس في المدينة وحدها، وإنما في مختلف بلاد الحجـاز، فقد خرج من المدينة المنورة ثلاثمائة رجل من المتطوعين، كذلك خرج جماعـة من المتطوعين من جدة ومكة وسائر مدن الحجاز.

وقد ساعده في القيام بجمع المتطوعين أناس كثيرون كـان أكثـرهم إيمانًـا وولاء لتلك الدعوة أولاد أخت الشيخ نفسه وهم الشيخ طاهر الجيلانـي والشـيخ محمد الجيلاني والشيخ حسن الجيلاني، استطاعوا جميعًا ومعهم خـالهم الشـيخ محمد الجيلاني - الكبير - أن ينزلوا إلى مصر فـي بـلاد الصـعيد، ودخلـوا في معارك عديدة مع الفرنسـيين فـي سـمهود(٢) وبئـر عنبـر واللقيطـة(٣)

---

(١) لطف الله حجاف: درر النحور، ص٩٨.

(٢) سمهود: إحدى قرى مركز نجع حمادي بمحافظة قنا يسكنها الأشراف.

محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتـاب، القـاهرة ١٩٩٤م، جـ٤ ص١٩٧.

(٣) بئر عنبر واللقيطة: من قرى قنا.

لطف الله حجاف: درر النحور، حاشية ص١٠٠.

وأبنود[١] وكانت كل تلك المعارك عنيفة انتهت باستشهاد عدد كبير من الحجازيين ومن معهم وعلى رأسهم الشيخ الجيلاني نفسه في بلاد الصعيد[٢]، وبذلك قدم المغاربة دورًا مهمًا ابتداءً من الخروج من بلاد الحجاز، وحتى الوصول إلى مصر ومحاربتهم للفرنسيين وقد لخص الجبرتي هذا المجهود الكبير فيما يلي:

«ومنها تواتر الأخبار ابتداءً من شهر رجب بأن رجلاً مغربيًا يقال له الشيخ الكيلاني - الجيلاني[٣] - كان مجاورًا بمكة والمدينة والطائف، فلما وردت أخبار الفرنسيين إلى الحجاز وأنهم ملكوا الديار المصرية انزعج أهل الحجاز وأخذ يدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين، وقرأ بالحرم كتابًا مؤلفًا في معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم، واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين، وركبوا البحر إلى القصير مع ما انضم إليهم من جملة أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة ممن كان خرجوا معهم مع غز مصر عند وقعة إنبابه -إمبابة - وركب الغز معهم أيضًا وحاربوا الفرنسيس فلم تثبت الغز كعادتهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد[٤] والمتجمعة من القرى، وثبت الحجازيون، ثم انكفوا لقلتهم وذلك بناحية جرجا، وهرب الغز والمماليك إلى ناحية

---

(١) أبنود: مدينة قديمة من المدن الفرعونية وكانت تعرف بنوت وتوجد فيها معاصر القصب، وحاليًا إحدى قرى مركز قوص محافظة قنا.
رمزي: القاموس الجغرافي، ق٢ جـ٤ ص١٩٠٤.

(٢) لطف الله: درر نحور، ص ص ١٠٠ - ١٠٤.

(٣) يذكر الجبرتي انه الكيلاني، والصحيح انه الجيلاني كما يذكر لطف الله حجاف، وذلك لأنه ربما نسب إلى السيد عبدالقادر الجيلاني صاحب الطريقة القادرية أو الجيلانية.
لطف الله جحاف: المصدر السابق، ص٩٦.
والجبرتي: عجائب الآثار، جـ٢ ص٢٥٠.

(٤) المقصود بها قبائل هوارة العربية في صعيد مصر عنهم بالتفصيل ينظر:
د. ليلى عبداللطيف: شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٨٧م ص١٢ وما بعدها.

إسنا وصحبتهم حسن بك الجداوي[1]... الخ»

ثم يقول: ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيين بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع وينفصل الفريقان بدون طائل[2].

وهو بذلك يوضح كيف قام المغاربة بدور مهم في تدعيم المقاومة المصرية ضد الفرنسيين ليس ذلك وحسب بل قاموا بدور أكبر حينما انهزم المقاومون المصريون وثبت الحجازيون وهم رجال الشيخ الجيلاني سواءً أكانوا من أبناء الحجاز أو المغاربة أو حتى من المصريين الذين كانوا في رحلة الحج أو من المجاورين في تلك الحقبة الموافقة لوجود الفرنسيين في مصر، وبذلك يتضح دور المغاربة خارج المدينة المنورة وأثرهم في الحياة السياسية خارجها وداخلها.

---

(١) حسن بك الجداوي: هو الأمير حسن الجداوي أحد مماليك علي بك الكبير كان مقداماً شجاعاً، تولى حكم جدة فنسب إليها، تعصب ضد الفرنسيين، ومات بغزة بالطاعون سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م. وقد أفرد له الجبرتي ترجمة مطولة ينظر إليها.
الجبرتي: عجائب الآثار، جـ٢ ص٤٥٠ - ٤٥٢.

(٢) الجبرتي: المصدر السابق، جـ٢ ص٢٥٠.

الفصل الثاني

دور المغاربة في الحياة الاقتصادية

في المدينة المنورة

أولاً: الزراعة

ثانيًا: التجارة

ثالثًا: الصناعة والحرف

نتناول في هذا الفصل دور المغاربة في الحياة الاقتصادية وأبرز جهودهم في شتى مجالاتها؛ الزراعية والتجارية والصناعة والحرف حيث يتضح من هذا الفصل أن الزراعة كانت موجودة في المدينة وضواحيها؛ وعلى الرغم من قلة مصادر المياه في المدينة المنورة فإن المغاربة تملكوا الأراضي والنخيل، وقاموا بزراعة بعض أنواع الخضراوات والفواكه وغيرها، وأما التجارة فقد كانت تنقسم إلى خارجية وداخلية، وكان للمغاربة السبق - بعد المصريين - في إقامة علاقات تجارية بين بلاد المغرب والحجاز، وكانت هناك : أسباب عديدة- سوف نعرض لها - كانت تعد دوافع كبيرة، ومهمة أسهمت في هذا التواصل والاحتكاك التجاري الذي مكّن من إقامة تلك العلاقات وتوطيدها، وما يمكن أن يفيد منه أبناء العالم الإسلامي حاليًا من توثيق هذه العلاقات التجارية فيما بينهم بدلاً من إقامة علاقات مع الغرب غير المسلم، كذلك كان للمغاربة دورهم في تنشيط التجارة الداخلية وقاموا بالبيع والشراء في مختلف المنتجات التجارية والزراعية التي يحتاج إليها أهالي المدينة المنورة.

وبالإضافة إلى ذلك فقد تحدثنا عن العملات المتداولة بين المغاربة في المدينة خلال ذلك القرن، كما عرجنا بعد ذلك إلى الحديث عن الحِرَف والصناعات التي عمل بها المغاربة، ولم نتطرق إلى الحديث عن هذه الحِرَف والصناعات التي في المدينة بوجه عام، وإنما قصرنا الحديث عن التي اشتغل بها المغاربة حسبما أسعفتنا المصادر التاريخية لا سيما كتاب الشيخ الأنصاري: «تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب» حيث أورد فيه العديد من صور هذا الدور الاقتصادي البارز للمغاربة في المدينة خلال القرن ذاته مما سوف يتضح في الصفحات التالية.

أولاً الزراعة :

من المعروف أن أرض المدينة المنورة نوعان: رملية بيضاء خالية من

الأملاح وهي مغروسة بالنخيل والكروم وتقع شرق المدينة المنورة، وأرض سوداء يزرع فيها القمح والشعير وغيرها من الخضر والأشجار[١].

كذلك فإن المدينة المنورة محاطة من جوانبها الثلاثة عدا الجهة الرابعة وهي الجهة الغربية بالمزارع الكثيرة[٢]، وقد ساعد على وجود هذه المزارع أن المدينة المنورة كانت من أشهر وأهم الواحات في الجزيرة العربية خصوبة لأرضها قياسًا بغيرها من مدن وأقاليم الجزيرة بوجه عام، كما أن وجود العيون والآبار في المدينة المنورة من العلامات البارزة عليها دون سواها من مدن الحجاز ومن أهم هذه العلامات المميزة: بعض العيون مثل عين الزرقاء التي تنبع من قباء إحدى ضواحي المدينة على بعد ميلين وتصل إلى المدينة المنورة، ويستسقي منها أهالي المدينة والمجاورون مثل - المغاربة والمصريين - زروعهم وضروعهم، وكان الذي أنشأها مروان بن الحكم أحد عمال معاوية بن أبي سفيان على المدينة المنورة، ويخرج الماء منها إلى جهتين قبلي وشمالي المدينة المنورة[٣].

وهناك غير عين الزرقاء بعض العيون والآبار التي تسقي المغاربة وغيرهم بالمياه الصالحة للسقيا منها بئر بضاعة، أيضًا بئر أنا وكانت لليهود، وبعد إجلائهم في عهد النبيﷺ أصبح يستفيد منها سكان المدينة في سقيا مزارعهم وتقع في العالية[٤].

ومن الآبار التي تفيد كذلك - وذكرتها المصادر التاريخية القديمة - بئر أهاب

---

(١) أحمد الرهوني: الرحلة المكيّة (١٣٥٥-١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) نشر معهد الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الأسبانية، مطبعة الأحرار، تطوان، المغرب، ١٩٤١م، ص١٨٢.

(٢) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ص١٩.

(٣) النابلسي: الرحلة الحجازية، ص٢٣٣.

(٤) د/ سليمان عبد الغني مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص١٥١.

وكان أهالي المدينة يطلقون عليها بئر زمزم تبركًا وتقع في الحرة[١]، ومنها كذلك بئر حار وكانت وقفًا لسقيا الوافدين إلى المدينة[٢].

وكانت هذه الآبار والعيون وغيرها تسهم بشكل أساسي في سقيا الزروع بما يساعد على نمو النشاط الزراعي المتواضع في المدينة المنورة، وأما المصدر الرئيسي والمهم للمياه في الحجاز لا سيما مكة والمدينة فهو الأمطار حيث يستسقي المزارعون أرضهم وما يحتاجون إليه للماشية وما سواها[٣]، وعلى الرغم من قلة المياه بوجه عام في المدينة المنورة، فقد أورد الشيخ عبد الرحمن الأنصاري في كتابه العديد من المغاربة الذين تملكوا أراض زراعية وعملوا فيها، من هؤلاء كان عبد الله إبراهيم الشرقي قال عنه : «كثير الاشتغال بالفلاحة والزراعة في أرضه»، كما امتلك المغاربة الحدائق وعلى رأسها حدائق النخيل في المدينة المنورة، ومن أبرز هؤلاء الذين تملكوا هذه الحدائق الحاج أحمد حجي المتوفى سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م، ومنهم أيضًا العابد بن عباس من مدينة السوس المغربية حيث كان يعمل في فلاحة وزراعة النخيل.

ويلاحظ أن المغاربة كانوا يعدون العمل في النخيل بما ينتج من رطب أهم نشاط اقتصادي يكفي ليس لأهل المدينة وحسب؛ بل من أجل تصديره إلى بلاد المغرب ومصر[٤].

حيث كانوا يقومون بزراعة النخيل والتكسب به - حينما تشتد بهم الأحوال الاقتصادية لاسيما التجار منهم - فالحاج محمد المُشاط المغربي يسافر إلى الديار

---

(١) السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٥م، جـ٣ ص٩٥٤.

(٢) العباسي: المدينة بين الماضي والحاضر، ص٢١٨.

(٣) أستيف: النظام المالي والإداري في مصر، من كتاب وصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية، ترجمة زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م. ص ١١٢ - ١١٥.

(٤) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٤٣٧.

المصرية من المدينة لأجل التجارة، فلم يظفر بشيء مما دفعه للاشتغال بالفلاحة[١].

وتتميز حدائق المغاربة بقربها داخل المدينة المنورة، فعلى سبيل المثال نجد أن الشيخ عمر الفاسي يمتلك حديقة نخيل في خط الصناعة غرس فيها نفائس النخيل والأشجار وجعلها مقيلاً للصالحين من أهل المدينة.

ومما هو جدير بالذكر أن المغاربة في المدينة كانت لهم جهود غير كبيرة في هذا الميدان، لكنها على أية حال من الجهود المهمة التي تؤكد على أن المغاربة في المدينة كانت لهم مشاركات لا بأس بها في كافة الأنشطة الاقتصادية؛ زراعية أو تجارية أو في مختلف الصناعات والحرف، وهو ما سوف يظهر من هذا الفصل على سبيل الإجمال.

ثانيًا التجارة :

تكاد تنحصر التجارة في المدينة المنورة فيما يحتاجه القاصدون للبلاد من الحاجيات، وكلها ترد إلى المدينة من الخارج ويُصدر المغاربة بعض الحاصلات والمنتجات إلى المدينة، وكما ترد البضائع إلى المدينة عن طريق أهم مركزين تجاريين في بلاد الحجاز وهما ينبع القريبة من المدينة وجدة القريبة من مكة المكرمة[٢].

ولقد قام المغاربة في ميدان التجارة بأهم عملين: هما التجارة الخارجية مع أقاليم مختلفة من العالم الإسلامي، والتجارة الداخلية التي قام بها المغاربة على أحسن ما يكون، وهو ما يتضح في الصفحات التالية:

---

(١) الشريف سعود محمد آل بكر: تاريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد، (١٠٤١-١٢٩٩هـ / ١٦٣١-١٨٨١م) الطبعة الأولى، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٢٠٣.

(٢) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ص١٨-١٩.

أ - التجارة الخارجية :

وهذا النوع من التجارة كان الأشهر والأهم إذ قام المغاربة بدور قوي في التصدير إلى المدينة المنورة، ثم نقل الحاصلات التي يتاجر فيها غير المغاربة في المدينة إلى بلاد المغرب، ولقد ساعد المغاربة على تنشيط التجارة الخارجية للمدينة المنورة عدة أسباب منها: الذي ساعدت عليه الدولة العثمانية التي حرصت علي تهيئة أسباب الوصول إلى المدينة المنورة من بلاد المغرب ومصر على نحو خاص؛ فأنشأت الكثير من السفن التي تخرج في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي من السويس إلى ينبع وهو الميناء الرئيسي للمدينة المنورة، وكانت هذه السفن تنقل الأفراد والمتاع وشتى أنواع مخصصات الحرمين الشريفين، ثم تقوم بدور تجاري كبير حيث تحمل المنتجات المصرية والمغربية إلى المدينة المنورة(١)، وبعدما تؤدي تلك السفن مهمتها تقوم بدور كبير في تنشيط التجارة؛ إذ يقوم التجار المغاربة باستخدام السفن العائدة إلى السويس فارغة، ويعبؤونها بشتى أنواع التجارات الهندية أو البن اليمني وغيرها من تلك المنتجات(٢).

يضاف إلى ذلك ما قامت به الدولة العثمانية من تأمين للطريقين البحري والبري، وتمثل ذلك في القلاع العسكرية التي أنشأتها مصر لتأمين قوافل الحج في السويس، وعجرود، ونخل، والعقبة، والمويلح، والأزلم، والمدينة المنورة(٣)، وكانت هذه القلاع العسكرية تقوم بدور كبير تمثل في وجود عسكريين مهمتهم حفظ الطريق ومقاومة البدو الضاربين على الطريق، والذين كانوا يعرقلون حركة

---

(١) حسام عبد المعطي: العلاقات المصرية الحجازية العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر الميلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص١١٣.

(٢) السابق: العلاقات، ص١١٣.

(٣) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س١، م١٨٨، ص٩١.

الحج أو التجارة للمدينة المنورة من القادمين سواءً كانوا مغاربة أو مصريين أو من الأفارقة(١).

ومن الأسباب المهمة أيضًا هو ركب الحجاج المغاربة واستقراره في معظم الأحيان خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي مما أعطى للمغاربة الدوافع لتنشيط التجارة، ولعل من أهم المظاهر لهذا الاستقرار ما ندر عن عدم وصول أخبار كثيرة عن أحداث فتن أو سرقات فيما بين بلاد المغرب ومصر في المصادر المعاصرة إلاّ حالات نادرة بفعل العربان(٢)، مما مكن الطريق من الاستقرار، وبالتالي أدت الدولة بذلك خدمات جليلة للمغاربة من أجل التجارة، حيث كان المغاربة يتجمعون في قافلة كبيرة العدد تعبر الصحراء حتى الإسكندرية(٣) يحملون معهم عبر الطريق زيت الزيتون والطرابيش وغير هذه المنتجات التي سوف نتحدث عنها فيما بعد(٤).

ومن الأسباب المهمة التي سهلت التجارة المغربية إلى بلاد الحجاز كثرة المغاربة المنتشرين في الإسكندرية، ورشيد، والقاهرة، والسويس حيث قاموا بدور بارز في تسهيل التجارة، وكانوا الواسطة التجارية بين بلاد المغرب والمدينة المنورة والحجاز، وعقدوا شركات عديدة عملوا بموجبها في ميدان التبادل التجاري(٥) مما سوف يظهر بالتفصيل في مكانه من البحث.

وأخيرًا كانت الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة لبلاد المغرب بوجه عام دافعًا كبيرًا لهجرة التجار المغاربة واستقرارهم في القاهرة، والسويس، والمدينة،

---

(١) د/ يونان لبيب: العلاقات المصرية المغربية، ص٢٠٩.

(٢) الورثيلاني: الرحلة الحجازية، ص٣٢٠ – ٣٢٥.

(٣) عبد المجيد المنالي: بلوغ المرام، ص١٣٨ وما بعدها.

(٤) جيرار: الحياة الاقتصادية، جـ٤ ص ص ٢٥٢ – ٢٠٩.

(٥) يونان لبيب: تاريخ العلاقات المصرية المغربية، ص١٧٨.

ومكة، واليمن؛ ليعملوا في ميادين تجارية أخرى بعيدًا عن سوء الأوضاع في بلاد المغرب التي لم تشهد استقرارًا خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي[1] فتوسعت تجارة المغاربة في هذه البلاد.

ولعل من أبرز الأمثلة على سوء الأحوال الاقتصادية التي حلت ببلاد المغرب ما كان في العقد الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وتحديدًا في سنة ١١١٥هـ/ ١٧٣٨م؛ حيث ارتفعت الأسعار وبلغ سعر القمح أزيد من خمس أواق قديمة للصاع النبوي، مما جعل اللصوص يهجمون على الناس في ديارهم ليلاً ويقتلونهم ويستغيثون فلا يغاثون، وبلغ الخوف إلى أرباب الدور المتطرفة بفاس نهارًا، فلا يستطيع أحد أن يخرج على باب معمورة في العدوة، وخرج الناس من فاس لتطوان وما والاها لجلب الطعام[2] ويتضح من هذا النص التاريخي الذي حفظه لنا صاحب (الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام)، حيث تتضح حاجة الناس في بلاد المغرب إلى الطعام ومعاناتهم الشديدة حتى دفعهم ذلك كما يقول النص التاريخي: «أنهم خرجوا من فاس لتطوان وما والاها لجلب الطعام» وهو ما يؤكد هروب الناس إلى المشرق خاصة مع تكرار هذه الأزمات الاقتصادية الطاحنة[3] فكانت بلاد المشرق ابتداءً من مصر ثم الحجاز وخاصة المدينة المنورة ملاذًا مهمًا دفع إليه الرعايا المغاربة[4]، ومنهم بلا شك التجار الذين خسرت تجارتهم وبحثوا عن مكان آمن لتجارتهم وأعمالهم الاقتصادية المختلفة.

ولقد قامت علاقات تجارية مهمة للمغاربة وكونوا ثروات كبيرة بسبب التجارة

---

(١) محمد بن مخلوف: شجرة النور، ص٢١٧.

(٢) العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش، جـ٨ ص٣١٣.

(٣) العباس بن إبراهيم: المصدر السابق جـ٨ ص٣١٣، ومحمد بن مخلوف : شجرة النور، ص ص ٢١٦ – ٢١٨.

(٤) الزياني: الرحلة، ص٢١٤ – ٢١٥.

في المدينة المنورة مع مصر وبلاد الهند واليمن وغيرها[١]، ولا بد أن نتحدث هنا عن أهم أنواع المنتجات التجارية التي عمل بها المغاربة مع بلاد الحجاز والمدينة المنورة على نحو خاص، فمع مصر أقيمت الشركات التجارية للمغاربة مع المصريين منها على سبيل المثال الشركة التجارية التي قامت بين الخواجا محمد الزرهوني المغربي التاجر بسوق الشرب وعبد الفتاح بن داوود الصعيدي المصري للاتجار في الأطلس والقطن والشاشات الهندية، كما قامت شركة أخرى بين الخواجا الشاوي بن عبد الوهاب والخواجا عبد السلام البناني للاتجار في الأقمشة والمرجان وذلك في عام ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م حيث بلغ رأس مال هذه الشركة (١١٣١٠٠) بارة[٢]، كذلك فقد أتى صحبة موكب الحاج المصري ضمن سحارات مجموعة أدوات خزفية قدرت قيمتها بـ (٧٢٨٨٠) بارة للخواجا الذي كان يعيش في المدينة المنورة السيد أبو جيدة القباجي المغربي الذي كان يمتلك بوكالة الصاغة شركة تجارية أخرى[٣].

وكان للتجار المغاربة الذين يعيشون في مصر وكلاء في جدة وهو أشهر موانئ إقليم الحجاز إذ تنتقل منها التجارة إلى المدينة المنورة أيضًا والعكس، وكل ذلك في صالح التجارة المغربية والنشاط التجاري بوجه عام.

كذلك كان للتجار المغاربة علاقات تجارية وثيقة أدت من خلالها خدمات جليلة للحياة الاقتصادية في بلاد الحجاز والشرق الإسلامي مثل الهند، حيث قام تجار المدينة المنورة من المغاربة بالتبادل التجاري مع بلاد الهند وساعدهم على ذلك وجود حكام مسلمين لأقاليم الهند حينئذ[٤]، فضلاً عن وجود أسطول تجاري ببحر

---

(١) يونان لبيب، ومحمد مزين: تاريخ العلاقات المصرية المغربية، ص١٨٥.

(٢) حسام عبد المعطي: العلاقات المصرية الحجازية، ص١٢٣.

(٣) السابق، ص١٢٨.

(٤) العيدروس: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، (د. ت)، ص١٢٠ – ١٢٥.

من بلاد الهند إلى عدن وجدة وينبع التي أصبحت أشهر مراكز تجارية في البحر الأحمر – مع السويس –[١]، ومن أشهر المغاربة الذين أقاموا تجارات مع بلاد الهند الحاج أحمد وأخوه علي الحلابي الذين قاما برحلة تجارية موفقة من بلاد الهند إلى المدينة المنورة سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م، وكذلك قام التاجر أبو بكر ابن الحسين برحلة استمرت أكثر من أربعين عامًا، ومثله السيد عيسى المغربي الذي رحل إلى الهند سنة ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م وحصل على مكاتب تجارية طيبة[٢].

وفضلاً عن العلاقات التجارية التي كانت بين المغاربة والمصريين وبلاد الهند وجدت علاقات تجارية أخرى مع بعض الأقاليم الأخرى، حيث قام المغاربة بعقد بعض الصفقات التجارية، كما قاموا برحلات تجارية مهمة إلى بلاد الشام والديار الرومية (تركيا) وبلاد السودان وغير ذلك، ومن أهم الأمثلة على هذا النشاط البارز أن الحاج على المغربي يسافر إلى عاصمة الدولة العثمانية فيحدث له فيها قبول وإقبال، ويحصل الأموال الكثيرة ويعود بها إلى المدينة المنورة حتى أنه أصبح صاحب ثروة ضخمة، ومنهم الشيخ حسن القصاري الذي يعود إلى بلاد المغرب والحاج محمود مولاي الذي رحل إلى بلاد السودان – وكان من سكان المدينة المنورة – فيخسر تجارته ويعود إلى المدينة المنورة بعد ذلك[٣].

وجدير بالذكر أن المغاربة الذين قاموا بأعمال تجارية كان منهم الأعيان مثلما ذكرنا ومنهم أيضًا العلماء، ولعل أبرز من قام من العلماء بأنشطة تجارية في

---

(١) عبدالحميد حامد سليمان: تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ص٣٠٧.

(٢) الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص٣٣٥، ٣٨٧.

(٣) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص٣٨٧ ٣٣٥،، ٣٩٨، ٤٧٠، ٣٣٥.

المدينة المنورة الشيخ محمد بن الطيب المغربي[١]، وقام برحلات تجارية إلى مصر والشام والروم ثم إلى المدنية وظل بها حتى كانت وفاته سنة ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م.

أشهر الصادرات:

أما عن أهم أنواع الصادرات التجارية التي قام بها المغاربة ووصلت إلى المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي فكانت الأقمشة القطنية والصوفية والحريرية والسَّبَخ والأكلمة المغربية[٢]، كذلك تفيد المراجع التاريخية أن المغاربة كانوا يرسلون أيضًا إلى الشرق عامة والمدينة المنورة خاصة: الزعفران، والمسلي، وزيت الزيتون، والفلفل الأسود، والزبيب، وعسل النحل، والقمح، والأرز[٣].

كما قام المغاربة أيضًا بالتجارة في الماشية من جاموس، وغنم، وبغال، وحمير وتاجروا - أيضًا - في الأحرمة، والصوف، والجوخ بسائر أنواعه، والأخشاب، والكتان، والجلود، والشمع الأصفر، والكبريت، والحبال[٤]، وتعد هذه المنتجات أمثلة للتجارة المغربية التي كانت رائجة خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي ، ويمكن لنا أن نفصل القول قدر الإمكان بعرض لما كتبه جيرار - أحد علماء الحملة الفرنسية - عن الصادرات المغربية التي تذهب إلى الحجاز

(١) محمد الطيب المغربي: محمد بن محمد بن الطيب المغربي الفاسي، وفد إلى مصر ثم الحجاز، واستقر في المدينة المنورة وظل بها حتى وفاته سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م وكانت له مؤلفات في علم اللغة.
المرادي: سلك الدرر، جـ٤ ص ٩١ - ٩٤.

(٢) البتانوني: الرحلة، ص٣٤٠.

(٣) الزياني: الرحلة، ص ٢٠٩.

(٤) د. صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، إسكندرية، ١٩٧٧-١٩٨٨م، ص ص ٣٥٥-٣٥٦.

بعامة وليس المدينة المنورة وحدها، حيث يصف بدقة ما ورد على أيدي تجار القوافل المغربية ابتداءً من ركب فزان؛ فإنه يذكر أن الركب يجلب معه البلح المكبوس (العجوة)، وكذلك الطواقي من الصوف الأحمر لعمل الطرابيش، ومعاطف أو ملابس من الصوف الأبيض الذي يصنع منه البرنُس، وأغطية من نفس القماش، وهي تجلب هذه الأشياء المختلفة فيما عدا البلح من طرابلس الغرب[١].

أما ما تجلبه قافلة ركب حجاج الجزائر والمغرب الأقصى فكان على وجه الخصوص زيت الزيتون، والطرابيش أيضًا، والشيلان الصوفية البيضاء، والنعال المصنوعة من جلد السختيان الأصفر، ومعاطف مزودة بغطاء للرأس تسمى برنس، والعسل، والزبد، والشمع[٢].

وأما عن السفن التي تحمل هذه البضاعة والمنتجات الاقتصادية فقد كانت في غالبها من السفن الأوربية إلى مصر عبر الطريق البحري، ثم تأخذ البضائع الطريق إلى السويس؛ لتحمل مرة أخرى عبر البحر إلى الحجاز[٣].

وينقل الزيت المسمى باسم (زيت البربر) في جرار كبيرة من الفخار تميل إلى اللون الأبيض من الخارج، ومطلية من الداخل بطبقة من أكسيد الرصاص، ويبلغ عدد الجرار من (٤٠٠) إلى (٥٠٠)، وأحيانًا تزيد، ويبلغ ما تحمله كل جرة ما يساوي (١٥٠) رطلاً، وثمنها ما بين خمسة عشر إلى عشرين ريالاً حجرًا بوطاقة[٤].

ويصل من المغرب إلى الحجاز أيضًا ثلاثمائة صندوق من الطرابيش يحتوي كل

---

(١) جيرار: الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، جـ٣، ص ٢٥٢.

(٢) السابق: جـ٣، ص٢٥٣.

(٣) الزياني: الرحلة، ص ٢٠٩.

(٤) جيرار: الحياة الاقتصادية، جـ٣، ص٢٥٣.

صندوق على (٥٠) إلى (١٠٠) دستة[1]، ويتراوح ثمن الدستة من (١٠) إلى (٢٥) بوطاقة حسب النوع، بينما يحمل الركب المغربي من ثلاثين إلى أربعين بالة من الشيلان الصوفية البيضاء للعمامة، البالة فيها من مائتين إلى أربعمائة قطعة، متوسط ثمن القطعة الواحدة ريالان حجرًا بوطاقة[2]، بالإضافة إلى حوالي ثلاثين ألف زوج من النعال المغربية الصفراء المصنوعة في مراكش، وطرابلس، وتونس وثلاثمائة إلى أربعمائة برنس بعضها من الصوف وبعضها من الحرير، وتصنع الأولى في تونس ويباع الواحدة منها من ثلاث إلى (١٠) بوطاقات، ويصنع الحرير في مدينة الجزائر ويتراوح ثمن الواحد منها من عشرين إلى مائة ريال بوطاقة.

وفضلاً عن ذلك فقد أورد جيرار أن التجار المغاربة حملوا معهم بهدف التجارة حوالي ستة آلاف من الأغطية الكبيرة، أو قطع القماش الصوف الأبيض المسمى (الحرام) منها ألفان من نوع راق ثمن الواحدة منها عشرين ريالاً بوطاقة، بينما الباقي منها من نوع رديء حيث تباع الواحدة منه فيما بين خمس وخمسة عشر[3].

وكان مركب المغاربة يحمل أيضًا كميات من الشمع بهدف التجارة بلغت فيما بين ثلاثة إلى أربعة آلاف أقة شمع تجهزه مدن تونس، والجزائر، وطرابلس ويتراوح ثمن الأقة من مائة إلى مائتي مديني.

وبالإضافة إلى ما سبق فقد استطاع المغاربة حمل من خمسة إلى ستة آلاف من القِرَب، والحقائب الجلدية المليئة بالعسل وتحتوي الواحدة منها من أربعين

---

(١) دستة: المقصود بها وحدة عدّ قدرها اثنا عشر.

(٢) السابق: جـ٣، ص٢٥٤.

(٣) السابق: ص٢٥٤.

إلى خمسين أقة، ويبلغ ثمن القربة الواحدة خمسة وعشرين بارة[١].

من هنا يتضح دور الصادرات المغربية إلى الحجاز عامة والمدينة المنورة خاصة في تدعيم الحياة الاقتصادية فيها؛ حيث يتضح أن المغاربة عملوا بالأنشطة التجارية التي وصلت إلى أدق الأعمال، ومما جعلهم يتوسعون في تجارتهم هذه أن الإدارة المصرية كانت تعفيهم من الجمارك ليس هذا وحسب، بل درجت على عدم فرض أية ضرائب على السلع التي يأتي بها الحجاج المغاربة أو يحملونها إلى الحجاز[٢]، إذا ثبت أنها تابعة للحجاج المغاربة بل وتعفى من أي تفتيش[٣].

أشهر الواردات المغربية :

ويستفيد المغاربة من المدينة المنورة تجاريًا فيما يعرف (بتجارة العبور) أو المعروفة حاليًا كما يذكر د/ يونان لبيب رزق (بتجارة الترانزيت)[٤]، وذلك لأن المدينة المنورة في الأساس تجارتها تقوم على الواردات الخارجية من بلاد الشرق الإسلامي لا سيما جنوب شرق آسيا ، فضلاً عن بلاد الشام ومصر ، ولقد أفاد المغاربة من هذا النظام الاقتصادي فائدة جليلة إذ استطاع المغاربة توفير السلع المغربية وبيعها سواءً في أهم موانئ الحجاز بالنسبة للمدينة المنورة من ينبع أو حتى داخل المدينة المنورة ذاتها، ثم بعد ذلك استطاع المغاربة الحصول على السلع الشامية، والهندية، وغيرها، وتوصيلها إلى بلاد المغرب إذ أن ابن مليح يذكر: أن المغاربة بعد خروجهم من الحجاز والمدينة المنورة يعودون بأنواع التجارة حتى وصولهم إلى بلادهم حيث يقوم بعضهم بتعمد السير في طريق الشمال حتى الوصول إلى غزةِ فيبيعون ويبتاعون، ثم يصلون إلى مصر ويفعلون

(١) السابق: ص٢٥٥.

(٢) السابق: ص١٨٣.

(٣) جيرار: العلاقات الاقتصادية، ص٢٥٥.

(٤) د. يونان لبيب: العلاقات، ص١٨٢.

نفس الشيء[١]، ومن الأمثلة على ذلك ما فعله تجار المغرب حال عودتهم من الحج كما يذكر صاحب الرحلة الطنجوية: حيث قام التجار المغاربة حال عودتهم بالبيع والشراء مع أهالي ينبع والحمراء وأهالي القرى المارين بها قبل وصولهم إلى مصر[٢].

أما عن أهم المنتجات المجلوبة من بلاد الحجاز ومصر إلى بلاد المغرب فنكتفي بمشاهدات علماء الحملة الفرنسية في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي من حجاج مراكش وفاس، حيث كانوا يحملون معهم عند عودتهم من ثلاثمائة إلى ستمائة بالة من الحرير السوري، ثمن البالة الواحدة خمسمائة بوطاقة، وأقمشة قطنية مصبوغة باللون الأحمر، وخيوط غزل من نفس اللون بكميات كبيرة للنوعين تكفي لحمولة خمسمائة جمل أو أكثر، وتزن حمولة الجمل خمسة قناطير زنة القنطار مائة رطل، ويحتوي القنطار عادة من تسعين إلى مائة قطعة قماش يتراوح سعر القطعة بين ستين إلى مائة بارة.

وذلك بالإضافة إلى الكثير من الجمال المحملة بالأقمشة السورية المجلوبة من مصر والحجاز، والبخور الجاوي والمسك الطيب؛[٣] ومن خلال القائمة التي أوردها أستيف عن تجارة جزيرة العرب والهند في السويس من خلال عرضه للضرائب المفروضة عليها تبين أن أهم المنتجات التجارية المجلوبة إلى بلاد المغرب تتمثل في الصبر، والحتليت، والشsetم، والصمغ، وسم السمك، والمسامير، والبلح المجفف، والأقمشة القطنية، والبخور، والعقاقير الطبية، والخضراوات، والحبوب، والعلف، والكركم، والصوف، والكتان المغزول، والمر،

---

(١) ابن مليح: أنس الساري، ص١٢٨.

(٢) الطنجوي: الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية، مخطوط بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم ٢٢٧٥ تاريخ ورقة ١٠.

(٣) جيرار: الحياة الاقتصادية، جـ٣ ص٢٥٨.

والصدف، واللؤلؤ، وملح النطرون، وبندق الهند، والفلفل، والأرز، وزهور جافة، وملح النوشادر، والسكر، والتمر هندي، ولوازم النسيج، وجذور الزعفران، بالإضافة إلى أسلاك الحديد، وغير ذلك من المنتجات الغذائية، والمنسوجات، والعطور، والنباتات التي جلبها التجار المغاربة من الحجاز(١).

لكن من أهم المنتجات الحجازية المجلوبة إلى بلاد المغرب كان البلح المجفف لشهرة المدينة المنورة به، ولوجود أصناف تُعد الأهم والأشهر في المدينة عن غيرها من بلاد الحجاز(٢).

نقل تجارة المغاربة :

كانت تنقل تجارة المغاربة إلى المدينة المنورة والعكس عبر طريقين: الأول منهما كان طريق ركب المغاربة البري في أحيان كثيرة، وكانوا يستفيدون من المتاجرة في الطريق قبل الوصول إلى المدينة المنورة والحجاز(٣)، وأما الطريق الآخر فكان طريق البحر أو ما يسمى بطريق المراكب التجارية إذ تخرج المراكب من سبته أو مليلية، ثم ترحل إلى مرسى الجزائر، ومنها إلى مالطة، ومنها إلى طريق الإسكندرية ثم تأخذ القوافل التجارية طريق البر حتى القاهرة(٤).

وفي القاهرة يقوم التجار المغاربة ببيع بعض أنواع الثمار ثم شراء ما يحتاجون إليه من أسواق القاهرة لبيعه في بلاد الحجاز(٥)، ثم يرحلون إلى

---

(١) استيف: النظام المالي والإداري في مصر العثمانية، ضمن أعمال الحملة الفرنسية المعروف بكتاب وصف مصر ترجمة زهير الشايب الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٣ جـ٥، ص ص ١٢٦ - ١٣٠.

ود/ صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص٣٥٦.

(٢) النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٤٠ - ٣٤٤.

(٣) الورثيلاني: الرحلة الورثيلانية، ص٥١٧-٥٢١.

(٤) الطنجوي: الرحلة الطنجوية، ص ص٦-٩.

(٥) السابق: ص٩.

السويس، وكان وكيل التجار المغاربة في انتظار الحجاج والتجار، وكان من يريد الوصول إلى المدينة المنورة النزول في ينبع وكان لهم مرور ونشاط تجاري في الموانى التالية:

أ- المُوَيْلح :

وهي قرية بها قلعة على بعد ١٥٠ ميلاً إلى الجنوب وبها سوق للحبوب، وبساتين، ومزارع، ونخيل، ومياهها من الآبار، ومنها طريق قوافل لتبوك والمدينة المنورة وتعود أهمية المويلح التجارية إلى سوق الحبوب الذي يوجد بها، وبالتالي كان يستخدمه المغاربة ويشاركون غيرهم التجارة فيه.

ب- ضَبا :

وتقع ضبا إلى الجنوب من المويلح وهي المحل الرئيسي لقبيلة الحويطات، وقد اتخذت من قبل الأتراك كمركز دفاع عن الشاطئ، وبها آبار، ومزارع، ونخيل، وبها أماكن لبيع الحبوب، وغيرها[١]، وهي تعد من مراكز التجارة للمغاربة مثل المويلح وغيرها من الموانى في الحجاز.

ج- ينبع :

وينبع تعد أهم الموانى الحجازية للمدينة المنورة لقربها منها، لذلك كانت ينبع تابعة للمدينة إداريًا، ومنها تحمل غلال الحرمين الشريفين وكافة أنواع التجارات؛ لذلك قامت الدولة العثمانية بتأمين هذا الميناء، وتأسيس قلعة عسكرية بها جنود محافظون تصرف لهم رواتب كثيرة، وكانت المراكب تصل إليها من السويس حاملة كافة أنواع المنتجات التجارية، وقد شارك المغاربة في ميدان التجارة، وكانت لهم قصبات السبق في هذا المجال ومن خلال هذا العرض يتضح الدور الكبير الذي قام به المغاربة في التجارة الخارجية، وتوثيق العلاقات بين المدينة

---

(١) حافظ وهبة: جزيرة العرب، ص٢٢.

المنورة وبلاد المغرب، وعقد أواصر الصلات الاقتصادية بين مصر والحجاز، والهند، واليمن، والشام، وبلاد المغرب، وهو ما يبين أهمية عودة هذه العلاقات التجارية إلى ما كانت عليه خلال هذا القرن لتعود بالنفع العام على عالمنا الإسلامي، ونستغني عن حاجاتنا الاقتصادية مع الغرب إذا صدقت النوايا، وأخلصت النفوس لإصلاح حال المسلمين في العالم لا سيما بين الدول العربية والإسلامية.

ب - التجارة الداخلية :

والمعني بها هنا النشاط التجاري المغربي داخل المدينة المنورة وليس العلاقات التجارية بين تجار المغرب في المدينة مع سواهم خارجها ، والذي دفعنا إلى عرض هذا الموضوع ما أورده الشيخ الأنصاري من المادة التاريخية وما طرحه من جهد بارز لهؤلاء المغاربة[١]، كذلك وجود أملاك من العقارات والنخل والحدائق في المدينة المنورة، مما جعلهم في مصاف الأعيان والتجار ذوي الحظوة والنفوذ لا سيما بما كانوا يملكونه في منطقة ذكرتها الوثائق بأنها درب المساجد[٢]، كما أنه وجدت مجموعة من الأسر التجارية المغربية سكنت المدينة، وتوطنتها وعاشت بها حتى صارت كأنها من أهل المدينة المنورة، ولعل أشهر الأسر المغربية أسرة أبي جيدة، وحلابة، وحجي وغيرها من المغاربة الذين وفدوا على المدينة المنورة كأفراد وعملوا في مختلف الأنشطة التجارية بها[٣].

ومن أنواع التجارات التي شارك فيها المغاربة، كانت تجارة التجزئة لمنتجات البقالة وذلك مثل الحاج عبد الوهاب الطيب، والحاج محمد الغزواتي المغربي، ومنها كذلك تجارة الحبوب والغلال وقد اشتغل بها الحاج محمد بن عبد الله

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ١٥٥ – ٤٢٧.

(٢) عبد الله بن زاحم: كتاب قضاة المدينة المنورة، جـ٢ ص٤٨.

(٣) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ١٤٧.

المغربي[١].

وحازت تجارة القماش على نصيب كبير من اهتمامات المغاربة لا سيما أبناء الأندلس الذين يبيعون القماش في حوانيت التجارة التي في الحدرة، ومن الأندلسيين الذين عملوا بها كان بيت القبيطي الأندلسي، والحاج أحمد الدهري المغربي، والشيخ أحمد محمد ميارة[٢].

ولعل من أشهر أنواع التجارات التي كانت سائدة بين المغاربة أيضًا كانت تجارة الفاكهة، والبطيخ، والقرع الذي كان يباع قبل حينه فضلاً عن الجلود، والعطور، والروائح، والحبال، وسائر أنواع المنسوجات[٣]، وتجارة الجوز، والتي اشتغل بها روايح منها الشيخ محمد الجوزي[٤].

وقد أفاض صاحب تحفة المحبين في عرض العديد من أصحاب التجارات، وإن لم يحدد هذا المصدر التاريخي المهم نوع التجارة التي اشتغل بها التجار، ولعل من أهم هؤلاء الذين ذكرهم الشيخ الأنصاري في التحفة كان الخواجا رمضان المغربي الفاسي[٥]، وأحمد الدقاق[٦]، ومن المهم أيضًا أن نشير أن بعض الأسر اشتهرت بالتجارة، ومنها أسرة الحريشي المغربي التي كانت تعمل بالبيع والشراء، وكان رئيسها السيد عبد السلام الحريشي المغربي الفاسي الذي قدم المدينة المنورة سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٨م ومعه أولاده الذين يعملون معه في التجارة[٧]، وهو ما يؤكد اهتمام المغاربة بكافة الأنشطة التجارية سواءً التجارة

---

(١) المرجع السابق: ص ص ٣٤٤، ٣٦٤، ٣٧٨.

(٢) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص٣٥، ٣٩٧، ٤٢٩.

(٣) د. صلاح هريدي: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص٣٥٦.

(٤) الأنصاري: تحفة المحبين، ص١٤٧.

(٥) المرجع السابق: تحفة المحبين، ص٢٤٧.

(٦) المرادي: سلك الدرر، جـ٤ ص ص١٢٢-١٢٣.

(٧) الأنصاري: تحفة المحبين، ص١٨١.

الداخلية أو الخارجية ، خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

العملات المتداولة بين المغاربة في المدينة

ومن الموضوعات المهمة التي تضيف لموضوع الحياة الاقتصادية أهمية العملات المتداولة بين المغاربة في المدينة، ففي الحقيقة أنه لم يكن للحجاز عملة متداولة واحدة ولا للمغاربة، وإنما كانت مجموعة من العملات المستخدمة التي يأتي بها الحجاج من كل فج تبعًا لأقاليمهم المختلفة منها العثماني ومنها غيره، وأشهر العملات المتداولة بين المغاربة أو بينهم وبين غيرهم ممن نشأت بينهم علاقات وصلات تجارية ما يلي:

البارة :[١]

نقد فضي تداول في العصر العثماني بين أهالي الحجاز ويعرف بالميدي أو المدينى أو المؤيدي، وكان يطلق عليها نصف فضة، وكانت تساوي ١/٤٠ من القرش وظلت تتناقص وأصل البارة لفظ فاسي[٢]، وكان هذا النقد متداولاً بين المغاربة خلال ذلك القرن[٣].

القرش :

أصله من الألمانية Guroshen والقرش قرشان قرش صاغ، وقرش رائج والمقصود به هنا القرش صاغ يساوي أربعين بارة[٤]، وقد كان من النقود

---

(١) الشريف مسعود محمد آل زيد: تاريخ مكة المكرمة، ص١٧٧.

(٢) عبد الرحمن فهمي: النقود المتداولة أيام الجبرتي ضمن كتاب ندوة عبد الرحمن الجبرتي بحوث ودراسات تحت إشراف أ. د. أحمد عزت عبد الكريم القاهرة ١٩٧٦، ص٥٧٨.

(٣) جيرار: الحياة الاقتصادية، جـ٣ ص٢٥٨.

(٤) أحمد السباعي: تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الطبعة السادسة، من مطبوعات نادي مكة المكرمة الثقافي الأدبي، جزءان في مجلد واحد، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م جـ٢ ص٤٦٣، مسعود آل زايد: تاريخ مكة المكرمة، ص١٧٤.

المتداولة لا سيما في حساب التركات للمغاربة[١].

العثماني :

من العملات العثمانية التركية الذي سك في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي نسبة إلى السلطان عثمان الثاني (١٠٢٨-١٠٣٣هـ/ ١٦١٨-١٦٢٢م) بمعرفة باكير أفندي بناء على الفرمان الصادر في غُرة محرم عام ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م) بعد عدة أشهر من جلوس السلطان على سُدة الحكم، والعثماني هذا نقد فضي متدوال، وأصغر من البارة إذ أن البارة قيمتها عثمانيان، أي أن العثماني يساوي نصف بارة، وكان يسمى أحيانًا (درهم) كما كان في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي فلما جاء عهد السلطان عثمان الثاني سكها وسماها باسمه، وقد تداول هذا النقد بين المغاربة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي[٢].

الكيس :

ويعتبر الكيس العثماني هو أعلى وحدة نقدية تداولت بين العثمانيين خلال العصر العثماني بعامة، إذ كان يحتوي الكيس الرومي على (٢٠٠٠٠) بارة أو نصف فضة، إذ يحتوي الكيس على خمسمائة قرش، وهو الكيس الرومي بينما يزيد الكيس المصري عنه قليلاً إذ يحتوي على (٢٥٠٠٠) بارة أو نصفًا فضة[٣]، وقد تداول الكيس المصري والرومي بين المغاربة بصورة كبيرة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص١٥٥.

(٢) الأنصاري: تحفة المحبين، المصدر السابق، ص ٢٤٧.

(٣) دار الوثائق: دفتر صرة رومية ولجب سنة ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م. دفتر رقم ٦٠٠٤، م حفظ نوعي ٧٦١، مخزن تركي (١).

الريال :

ومن العملات غير العثمانية التركية التي استخدمت وتداولت خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي بين المغاربة، والريال لفظ مقتبس من Royal بمعنى ملكي، وكان الأسبان أول من تداول هذا النقد في الأسواق التجارية، وهو عبارة عن النقد الفضي المسمى بيزو، وأطلق الريال في العالم العربي منذ القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي على نقود فضية كبيرة فرنسية وأسبانية، وهولندية، وألمانية، ونمساوية، فمثلاً العملة الهولندية كانت تسمى الريال أبو كلب التي كانت أقل قيمة من الريال الحجر الأبي طاقة وكانت قيمة كل عملة من تلك الريالات تختلف في كل حقبة تاريخية عن الأخرى حسب ظروف الدولة الاقتصادية[1]، وقد عمل المغاربة بالتجارة وتداولوا كل هذه الأنواع من الريالات، من هنا يتضح أن المغاربة في المدينة تداولوا العديد من العملات التي كانت تستخدم في الجزيرة العربية وذلك حسبما أسعفتنا المصادر المختلفة.

ثالثًا : الحِرَف والصناعات :

توجد في المدينة المنورة مجموعة من الصناعات والحرف اليدوية والتقليدية - التي كانت المدينة المنورة تحتاج إليها - عمل بها المغاربة، واجتهدوا في إتقانها، ولعل من أبرز هذه الحرف والصناعات صناعة الكيمياء، وقد عمل بها الحاج أحمد التونسي قال عنه الأنصاري: ولم يتحصل منها على شيء فأضاع فيها جميع ما خلفه[2] وهو ما يعطي صورة لمجتمع المدينة المنورة الذي يرفض علوم الكيمياء في غالب الأمور حتى غدت هذه الصناعة من الصناعات المرذولة والمرفوضة ومنها كذلك صناعة الصباغة وقد عمل بها كذلك المغاربة، ومنهم:

---

(١) عبد الرحمن فهمي: النقود المتداولة، ص٥٧٨.

(٢) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٤٦٨.

الحاج أحمد مولاي الفيلالي من فيلاله ببلاد المغرب، وقد عمل بهذه الصنعة في حانوت خاص به بهذه الصناعة المهمة الموجودة في المدينة المنورة خلال ذلك القرن، ومن الحرَف والصناعات الموجودة أيضًا صنعة الخياطة وصنعة السروج وصنعة الكوافي البيضاء المنقوشة، وقد أشتهر بتلك الصناعات العديد من المغاربة مثل الشيخ عبد الله الطيب والشيخ محمد الأندلسي والشيخ سعد الشراقي الفرضي(١).

ومن الحرف أيضًا صناعة الفول المطبوخ وبيعه كالذي عمل بها الشيخ عبد الرحمن التنجري، ومن الجدير بالذكر أن بعض الأسر تخصصت في بعض الحرف ولعل أشهر من تخصص في حرفة واحدة مجموعة من المغاربة أشهرهم الرصافي الأندلسي، فقد عمل الحاج حسين بن يحيي الرصافي إسكافيًا، ومثله والده يحيي وأخوه، ولما كانت الحرف والصناعات التي قام بها المغاربة لا تعطي دخلاً مرتفعًا وقام بعض المغاربة بالعمل في أكثر من مجال مثلما فعل الحاج عبد الرحمن التنجري حيث عمل في وظيفة المتولي على بعض أوقاف التناجرة، بالإضافة إلى وظيفة بيع الفول المطبوخ كما سبق أن أشرنا. كذلك فإن الشيخ أحمد الفيلالي يتولى صنعة الصباغة في دكانه بالإضافة إلى انضمامه إلى وجاق السباهية ووظيفة ثالثة في بيت المال(٢).

كما كانت بعض هذه الحرف والصناعات التي قام بأمرها المغاربة، وأسهموا من خلالها بتنشيط الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة مشاركين إخوانهم من المجاورين أو أهالي المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

---

(١) السابق: ص ص٦٦، ٣٤٤، ٣٨٧، ٤٧٠.

(٢) السابق: ٣٨٨ - ٤٧٠.

رابعاً: الالتزام:

يعود تطبيق نظام الالتزام في الدولة من وجهة نظر الباحث إلى ما شاب الأوضاع الاقتصادية في ولاياتها المختلفة من تدهور وفساد شديد ناتج عن سوء الإدارة وانتشار الرشوة، حيث ضرب هذا الفساد كل باب من أبواب إدارة الحياة الاقتصادية، ومختلف الأنشطة، والمؤسسات الوقفية مما ترتب عليه انهيار كبير في شتى دروب الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وفي محاولة من جانب الدولة العثمانية لتصحيح هذا الوضع قامت بتعديل النظام الاقتصادي بوجه عام إلى نظام الالتزام، وخلاصة هذا النظام أن الدولة تجعل الحصة من الالتزام، سواءً كانت ولاية أو إقليم، أو مدينة، أو قرية، أو جزء منها أو حصة في وقف، أو رعاية المؤسسة دينية كانت أو اجتماعية في التزام شخص ما مقابل أن يدفع حصة من المال الخاص، تشبه إلى حد كبير ما يحدث في النظم الحديثة من المزايدات حول إنشاء مشروع أو إدارته حتى وصل هذا النظام إلى أكبر الوظائف الإدارية في الدولة العثمانية، وبذلك حتمت الدولة العثمانية أن يجبى إليها إيراد عام قابل وبذلك استراحت من الفساد الذي ضرب الإدارة في ولاياتها المختلفة، لأن الملتزم هو المسؤول الأول عما يحدث في حصة التزامه فيما بعد، وظل هذا النظام معمولاً به في الدولة حتى وصل الأمر إلى أن وظائف كبرى مثل إمارة الحاج والقضاة وغيرها كانت في حوزة ملتزمين يدفعون مبالغ نقدية سابقًا[١]، حتى يتمكنوا من الدخول لهذا النظام والمشاركة فيه، ووصل الأمر أيضًا إلى دخول أوقاف الحرمين لهذا النظام مثل أوقاف كسوة الكعبة التي في مصر والتي تم توزيعها على عدد من الملتزمين عليهم تقديم الأموال المطلوبة لصالح تجهيز

(١) أستيف: النظام المالي والإداري، جـ ٥ ص ٧٥.

كسوة الكعبة[١]، وبذلك أمنت الدولة من الأخطار الاقتصادية، وفي ظل ضعف الدولة العثمانية أصاب هذا النظام كافة مجالات الحياة بالانهيار لانتشار الرشوة بين كبار رجال الدولة في محاولة للوصول إلى الحصة من الالتزام مقابل مبالغ زهيدة تدفع للدولة، ومبالغ أخرى تدفع كرشوة للمسؤولين المخولين بحفظ النظام، وبهذا فقد فقدت الدولة العثمانية إيراداتها بسبب فساد تطبيق هذا النظام مما كان له أبلغ الأثر السلبي على الحياة الاقتصادية السياسية والاجتماعية بوجه عام[٢]، وأما ما يتعلق بعلاقة المغاربة بهذا النظام فقد كان المغاربة بعيدين عن هذا النظام بصورة واضحة إلاّ في بعض الوظائف النادرة في المدينة المنورة وما حولها، وذلك على غير وضع المغاربة في مصر الذين تملكوا عقارات وأراض وأملاك واسعة بسبب اشتراكهم في نظام الالتزام، أما في المدينة المنورة فقد ارتبط المغاربة بهذا النظام عن طريق تولى البعض منهم في وظائف بندر ينبع، مثل وظيفة أمين الاحتساب، وغيرها من الوظائف المشابهة والأمثلة على ذلك ذكرها صاحب تحفة المحبين، وكان عليهم دفع مبالغ مالية قبل توليهم الوظائف، ثم عليهم جباية الأموال لصالحهم مثل غيرهم من أصحاب تلك الوظائف في بندر ينبع أو جمرك جدة وغيرها من موانى الحجاز المعروفة[٣]، وبذلك يتضح أن المغاربة لم تكن لهم علاقة كبيرة بنظام الالتزام إلا فيما يخص تولي الوظائف لا سيما أنهم بعيدون عن تولي وظائف مالية كبيرة في المدينة المنورة، والتي كانت في العادة وقفًا على الأتراك ومن يتعلم في مدارس العثمانيين من المصريين والحجازيين والشوام.

---

(١) دار الوثائق: سجلات الالتزام، دفتر أمناى مذكورين مال قرض كسوة شريفة واجب سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م . م ١٨٠١ نوعي ٣/٨٩ عين ٥٥٥، م ع ٥٥٥ مخزن (١).

(٢) الرافعي: تاريخ الحركة القومية الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٤٣.

(٣) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٣٩٨، ٤٢٧.

الفصل الثالث

الوضع الاجتماعي للمغاربة في المدينة المنورة

أولاً: وظائف المغاربة في المدينة

ثانياً: العلاقات الاجتماعية للمغاربة في المدينة المنورة.

ثالثًا: العادات والتقاليد

رابعًا: المخصصات المغربية لأهالي المدينة

تتميز المدينة المنورة - مثل مكة المكرمة - عن غيرها من أقاليم العالم الإسلامي بالتواجد الإسلامي الواضح للأفراد المسلمين الذين وفدوا إليها من أجل المجاورة وزيارة مسجد الرسول ﷺ، لذلك يسهل أن تجد في أحد شوارع المدينة المنورة أو حتى في المسجد النبوي الشريف مدنيًا أنصاريًا، أو مكيًا، أو يمنيًا، أو هنديًا، أو كشميريًا، أو مصريًا، أو سنديًا، أو كرديًا، أو سودانيًا، أو مغربيًا[١] كل هؤلاء المسلمين رأوا في القرب من مسجد النبي ﷺ غاية كبرى، كيف لا والرسول ﷺ حبب في المدينة المنورة فقال: «لا تُشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» ثم قال: «اللهم بارك لهم في قوتهم ومدهم»[٢] وغيرها من الآثار[٣].

وهكذا فإن الآثار الكثيرة وردت في استحباب السكن والمجاورة فيها مما جعلها مهبطًا لأبناء الأقاليم الإسلامية وغيرها من الأقاليم غير الإسلامية من المسلمين حتى ازدحمت المدينة عن آخرها حبًا في النبي ﷺ.

ومن هؤلاء الذين رحلوا إليها المغاربة حيث كانوا أصحاب طائفة من أهم الطوائف التي سكنت المدينة المنورة، ومن أهم الأسباب التي دعتهم إلى المجاورة في مدينة الرسول ﷺ الحج إلى مكة المكرمة ثم زيارة مدينة الرسول ﷺ، ثم التجارة، وقد رأينا في الفصل السابق كيف كان للمغاربة دور كبير في التجارة سواء كانت الداخلية أو الخارجية.

ومن تلك الأسباب المهمة أيضًا التي جعلت المغاربة يرحلون إلى المدينة المنورة هذا الهجوم الكاسح والشرس من قبل النصارى في الأندلس، حيث تم طرد

---

(١) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفاتر الصرة الرومية، واجب سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م حفظ نوعي، مخزن تركي.

(٢) النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٣٦.

(٣) الولاتي: الرحلة، ص ١٨٦ – ١٨٧.

بقية المسلمين منها إلى سواحل بلاد المغرب الأقصى والأوسط مما دفع المسلمين -وخاصة العلماء - إلى الرحيل إلى الحرمين الشريفين، واستقرار الغالبية منهم في المدينة المنورة وقد استطاع المؤرخ الكبير (الأنصاري) إحصاء أكثر من عشر أسر أندلسية وفدت بأبنائها وأزواجها إلى المدينة[١]، وما يتبع ذلك من الوظائف التي كانوا يعملون بها سواء في التجارة أو في الحِرَف والصناعات أو النواحي العلمية وهو ما سوف يلمسه من يطالع هذا الفصل.

ولم يكون المغاربة طبقة واحدة في المجتمع المدني وإنما كانوا المغاربة تبعًا لليسار والفقر أو تبعًا للوضع الاجتماعي في عدد من الطبقات منها كونهم من طبقة الأعيان.

ومن الجدير بالذكر أن المغاربة تولوا في المدينة الوظائف العسكرية والدينية والعلمية وغيرها من الوظائف، ومنها طبقة العلماء، والتجار، وغيرها من الطبقات الدنيا إلاَّ أن المغاربة في المدينة المنورة بكل طبقاتهم كانت طائفة متماسكة ومنظمة، ويصور لنا الشيخ عبد الرحمن الأنصاري في ترجمته للسيد إبراهيم بن عمر الدراوي أنها كانت طائفة منظمة بالفعل حيث يقول: «تولى مشيخة طائفة المغاربة ونظارة أوقافهم»[٢].

ونستخلص من النص الذي أورده الأنصاري ما يلي :

أ) أن المغاربة كانت طائفة متماسكة إلى حد كبير تختار لها كبيرًا يقوم بأمرها هو شيخ الطائفة.

ب) أن المغاربة بهذا التنظيم اقتضى أن تكون لها أوقاف خاصة بها تؤكد استقرار هذه الجالية في المدينة المنورة.

ج) شيخ الطائفة مسؤول أدبيًا عن المغاربة في المدينة المنورة وعليه

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص٢٥١، ٦٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٨٣.

مساعدتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، ولذلك سنعرض -حسبما أسعفتنا المصادر- لأهم جهودهم الاجتماعية ثم أوقافهم ثم علاقاتهم الاجتماعية مع غيرهم من الطوائف الأخرى في المدينة المنورة خلال مرحلة البحث مثل المصريين، والأتراك، واليمنيين، وأهل الحجاز أنفسهم، وتظهر طائفة المغاربة في مختلف الطبقات من توليهم الوظائف والحرف، فمنها وجودهم في الطبقات العليا مثل العسكريين والعلماء، ومنها دون ذلك من الطبقات الموجودة في المدينة المنورة حينذاك كما سيظهر من العرض التالي.

أولاً: وظائف المغاربة في المدينة:

وتنوعت الوظائف من عسكرية وقضائية ودينية وعلمية وغيرها، ولا شك أن هذه الوظائف تؤكد وضع المغاربة الاجتماعي في المدينة المنورة خلال الحقبة التاريخية التي ينتمي إليها البحث.

الوظائف العسكرية:

ففي وجاق الإسباهية تولى محمد الموهوب المغربي وظيفة في هذا الوجاق أعقبه ولده شمس الدين في نفس الوظيفة، كما تولى بعض المغاربة في وظيفة جوالة وجاق الإسباهية مثل زين العابدين المغربي الإدريسي، بالإضافة إلى ذلك تولى زين بن شمس الدين بن محمد الموهوب قبل أن يوفد أمير الحاج محمد باشا والي الشام ويوليه كتخدا الإسباهية، كما تولى الحاج وظيفة في وجاق الإنكشارية، وأما وجاق النوبتجية فقد تولى المغاربة فيه وظائف مهمة من ذلك: تولى محمد سعيد المغربي جاويشاً في هذا الوجاق مرتين، ثم تولى أمين بندر ينبع ثم عُزل[1]، كما أن ابن عذيب المغربي كان جاويشاً في وجاق النوبتجية[2]، والحاج حمزة حلابة في ذات الوظيفة بنفس الوجاق، وأما من تولى كتخدا بهذا

(١) الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ص ٤٥٢، ٣٦٨، ٤٥٢، ٤٢٧.

(٢) جعفر بن هاشم: الأخبار الغريبة، ص ٥٦.

الوجاق فكان عبدالله المدني الذي تولى - مرارًا - وظيفة في وجاق النوبتجية، ثم ترقى كتخدا النوبتجية ولاه إياها محمد باشا والي الشام(١).

وأما وجاق القلعة السلطانية فقد تولى يحيى الرصافي الأندلسي المتوفى سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م(٢) والسيد عبد الله بن أحمد الأندلسي(٣) ومحمد سعيد المغيربي(٤) كما تولى أحمد بن أبي جيدة الفاسي في وظيفة جوربجي في القلعة السلطانية كذلك فقد تولى عبيدالله الطيار وظيفة جوربجي في القلعة أيضًا(٥).

الوظائف القضائية

وتتمثل الوظائف القضائية في: القضاء، ونيابة القضاء، والحسبة ويتضح ذلك كما يلي:

وكان القاضي في المدينة المنورة من أهم أصحاب الوظائف فيها، حيث كان من الأشخاص أصحاب المسؤولية في الحل والعقد في المدينة بمعنى أنه لا يلي أمرًا من الأمور إلا بإذن المجلس المسؤول معه عن الحل والعقد مثل: شيخ الحرم، والمفتي، والأغوات، وغيرهم من رجال القلعة العسكرية، وكان راتب القاضي في المدينة خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي قد وصل إلى ١٠١٨٨ بارة بالإضافة ٣٦٦ أردبًا(٦) بالإضافة إلى بعض المخصصات الأخرى التي كان يحصل عليها مقابل بعض الأعمال مثل رسوم التقاضي، أو

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ص ٣٩٨، ١٨٣، ٤٢٧، البرزنجي: كشف الحجاب والستور، ٦٠٢.

(٢) الأنصاري: تحفة المحبين:، ص٢٥١.

(٣) الأنصاري: السابق ص ٦٦.

(٤) البرزنجي: كشف الحجاب، ص ٦٠٢.

(٥) تحفة المحبين، ص١٥٥.

(٦) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر إيرادات ومصروفات الخزينة العامرة عن أقلام واجب ١١١١هـ/ ١٦٩٩م. حفظ نوعي ٦ عين ٢٩ عمومي ٢١١١ خارجي ٣/٢٣٤.

الصدقات والهبات التي كانت تمنح له من بعض الأوقاف مثــل: وقــف الســلطان محمود الأول الذي أوقف (٢٤٠٠٠) نصفًا فضة ديوانية[١]، ومن الذين تولوا هذه الوظيفة أحمد الأزهري الذي كان قاضيًا في المدينة المنورة ثم نقل إلى مكة وعاد وبقي في المدينة حتى وفاته سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٩ م.

أما من تولى نيابة القاضي فكان السيد محمد مكي المغربي الذي تــولى هــذا المنصب مرات وظل موجودًا بالمدينة حتى سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م.

الحسبة

والحسبة عند علماء الشريعة هي: الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا فشا فعله، وفي القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي كان على المحتسب مراقبة الأوزان والمكاييل ومراقبة الأسعار في الأسواق والتجمعات والبنادر وغير ذلك مما يستخدمه التجار[٢].

وينتمي المحتسب في الدولة العثمانية إلى وجاق الجاويشيه[٣] أما في المدينــة المنورة فكان ينتهي إلى وجاق النوبتجية، وكان يلقب بأمين الاحتساب[٤]، ويقــوم المحتسب بجولة في الأسواق المنتشرة في المدينة وعلى هذا قام المغاربة بجهــد في مراقبة الأسواق في المدينة المنورة، ولعل من أبرز الذين تولوا هذه الوظيفة المهمة منهم السيد غريب المغربي، وكان المحتسب يتولى وظيفته هــذه بعــد أن يتدرج في عدة وظائف فعلية أن يكون كاتب مال السلطان وتولاها العربي القبيطي

---

(١) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س١ مادة ١٨٩ ص٩٢.

(٢) ابن السبكي: تاج الدين عبدالوهاب بن عبدالكافي ٧٧١هـ. معيد النعم وسيد النقم، تحقيق د/ محمد أبو العيون، ود/ أبوزيد شلبي، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥م ص٦٥.

(٣) عراقي يوسف: الوجود العثماني في مصر في القرنين السادس عشر والســابع عشــر، دار المعارف القاهرة ١٩٩٦م ص ١٩٤.

(٤) سليمان محمد حسين: تجار القاهرة في القرنين ١٦، ١٧م الهيئة المصرية العامة للقــاهرة، ٢٠٠٣ ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

وبعدها يتولى وظيفة أمين بندر ينبع مثل السيد محمد سعيد المغربي الذي تولى بعدها مباشرة وظيفة أمين الاحتساب وكانت هذه الوظيفة من أكبر الوظائف في المدينة حيث كان يتولى المحتسب في المدينة وظيفة كتخدا الوجاقات[١].

ويلحق بالوظائف القضائية أو الرقابية أيضًا وظيفة مشد[٢] الحجرة النبوية وتولاها أحمد التاجوري المتوفى سنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م، كذلك تولاها الحاج محمد السقاط الذي سافر إلي مصر ثم عاد إلى المدينة المنورة وتولى جوربجيًا في وجاق النوبتجية ثم مشديًا بباب الحجرة المطهرة[٣].

الوظائف الدينية : وتتمثل في الإمامة والخطابة والأذان:

الإمامة والخطابة :

كان يوجد عدد كبير من الأئمة والخطباء في المدينة المنورة يتناوبون فيما بينهم وكان عدد الأئمة على المذاهب الأربعة أكثر من (١٢٠) إمامًا وكذلك كان عدد الخطباء واحد وعشرون خطيبًا في المدينة وكان راتب الخطيب والإمام في المدينة المنورة[٤] كالتالي فقد كان الخطيب يحصل على ١٧٥١٦ بارة أضيف إليه ٣٤٩ بارة ليصل حجم ما يتقاضاه ١٨٠٠٠ بارة إضافة إلى خمسة أرادب من الحنطة. وأما الإمام فقد كان يحصل على ١٦٠٩٤ بارة وذلك فضلاً عن بعض

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص ٣٩٧، ٤٦٨، ٤٦٩.

(٢) المشد: أو الشاد وظيفة رقابية فعلية ضبط الأمور التي تخص وظيفته وتعني هنا مراقب الأوضاع داخل الحجرة النبوية.

عن الشاد يراجع محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في العصر المملوكي، الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٦م ص٣١١.

(٣) تحفة ص٢٨٣.

(٤) بيرتون: الرحلة الحجازية، تحقيق عبد الله عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١ جـ٢ ص ٨٥.

الصدقات الأخرى[١].

ومن المغاربة الذين اشتغلوا بالإمامة والخطابة السيد أحمد الأزهري المغربي الذي تولى الإمامة والخطابة والقضاء في سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م[٢]، وكانت جهوده كبيرة في الأحداث السياسية في المدينة، وعلى الرغم من أن المغاربة مالكية المذهب فقد تولى السيد محمد المغربي المالكي إمامًا وخطيبًا بعد أن غير مذهبه إلى المذهب الحنفي وظل في وظيفته حتى توفى سنة ١١٩٧هـ / ١٧٨٢م.

وتولى من المغاربة في ذات الوظيفة الشيخ محمد بن أبي بكر الجعفري المتوفى سنة ١١٩٤هـ / ١٧٧٠م في المسجد النبوي الشريف[٣].

الأذان:

والمؤذن في عرف أهل المدينة من يؤذن في المنارة الكبرى على قبر النبي ﷺ وتسمى في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي الريسية نسبة إلى الريس وهو رئيس المؤذنين الذي كان يعلوها، وكان عدد المؤذنين في القرن المذكور أربعين مؤذنًا[٤] كل منهم يسمى مؤذن ومشيخة الرؤساء في المدينة في بيت الريس الحنبلي ولقد تولت أسرة الريس المغربية هذه الوظيفة[٥].

وكذلك تولى من المغرب نفس الوظيفة السيد عبد الرحمن التنجري المتوفى

---

(١) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفاتر الصرة الرومية ١١٣١هـ/١٧١٨م عمومي ٥٣٨٢ حفظ نوعي ١٣٩ عين ٧٢ مخزن تركي ١.

(٢) فائز بن موسى: القضاة في المدينة، ص٢٥٢.

(٣) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٣٨٣.

(٤) أبو هشام عبدالله بن صديق: الأسر القرشية، ص١٧٠.

(٥) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٢٥٢. ومجهول: تراجم أعيان المدينة، ص ٣٧.

سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م[١].

وراثة الوظائف والمناصب

كانت وراثة المناصب والوظائف في العصر العثماني من الظواهر البارزة وقد أدى هذا الأمر إلى سلبيات أعاقت النظام الإداري في كافة أقاليم الدولة العثمانية؛ إذ تبرز الوثائق المعاصرة للقرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي هذه الظاهرة بجلاء حيث يتولى القاضي خلفًا لوالده القاضي[٢]، وكذلك نائب القاضي أو حتى في سلك الفرق العسكرية، وكان هذا في كافة الوظائف الدينية والإدارية وغيرها مما ترتب على ذلك ظهور الفساد الإداري في كافة الشؤون للدولة العثمانية، وقد قارن في ذلك صاحب الترجمانة رافضًا توريث الوظائف والمناصب وبيعها وشرائها فقال: هذه إحدى المسائل التي فُضل بها المغرب على المشرق، والثانية هذه المناصب الدينية من القضاء والفتوى والتدريس والإمامة والخطابة لا تباع ولا تشترى كعادة أهل المشرق»[٣] وعلى ذلك فقد شارك المغاربة في هذا الأمر حتى أصبح من أهم الظواهر الاجتماعية في المدينة المنورة خلال هذا القرن. ومن أهم الأمثلة على ذلك:

العزل من الوظائف:

كانت الفتن والأحداث السياسية سببًا في اضطراب أحوال المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي وكثيرًا ما كانت تصدر الفرمانات

---

(١) السابق: ص٣٨٣.

(٢) أرشيف وزارة الأوقاف: حجة وقف الجبزية عن وصف صلاح الدين الأيوبي مؤرخة في ٢٦ شوال ١١٥٢هـ/١٧٣٩م. بتسليم أمير الحاج المصري الصرة المعنية حجة رقم ١٣٣٦هـ/١٤٥٥/١ج.

(٣) دار الوثائق: سجلات للديوان العالي، س١ م١٩٨ ص٩٣ وس٣ م٣٥ ص١٧، وس٧ م١٠٤ ص٧٦.

السلطانية إلى الإدارة في المدينة المنورة بعزل بعض الأفراد الذين تجاوزوا أدوارهم الوظيفية في بعض تلك الأعمال، ولم يكن يشارك في تلك الأعمال من أصحاب الوظائف العسكرية وحسب؛ بل تعداهم أيضًا إلى بعض الوظائف الدينية فالشيخ أحمد الأزهري الذي تولى الإمامة والخطابة ونيابة القضاء(١) قد شارك في فتن العساكر، وانضم إلى رجال القلعة السلطانية فعرض أمره للسلطان العثماني محمود الأول فأصدر فرمانًا بطرده من المدينة وأخذ جميع أمواله معه، وتشفع بالشريف مسعود الذي استطاع الحصول على العفو له بشرط استقراره منفيًا في مكة المكرمة وصحبته الشيخ عبد الله البري الخطيب الذي ظل معه في مكة ثم رحلا معًا إلى الطائف وتوفي الشيخ أحمد الأزهري بها سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م(٢).

كذلك فإن محمد بن أبي بكر الجعفري كان يباشر الخطابة والإمامة وإفتاء المالكية ثم عزل من وظائفه بعد أن سعي في ذلك شريف مكة بنفسه، وذلك بسبب مشاركة الشريف في هذه الأحداث ومحاولته فرض نفوذه فيها(٣).

ثانيًا: العلاقات الاجتماعية للمغاربة في المدينة المنورة

لا شك أن المغاربة كان لهم دور بارز في النواحي السياسية والاقتصادية وبالتالي مكّن من وجود وضع اجتماعي للمغاربة في المدينة المنورة وهنا نعرض لعلاقة المغاربة مع الطوائف والجاليات الموجودة في المدينة المنورة .

علاقة المغاربة مع علماء الدين :

ومما جعل لهم المكانة العليا أن كبار رجال المدينة المنورة تلقوا العلوم على أيديهم فنجد أن رئيس علماء الحنفية في المدينة المنورة يتلقى العلوم الإسلامية

(١) فائز بن موسى: القضاة في المدينة، ص ١٠٧.

(٢) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٦٨.

(٣) زيني دحلان: خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، ص ٢٢٤ – ٢٢٦.

والعربية على أيدي المغاربة وهو الشيخ علي الشرواني فيأخذ صحيح البخـــاري عن الشيخ محمد الحريشي والشيخ محمد الدقاق، كما يأخذ كتاب ابن هشام علـــى شرح التسهيل عن الشيخ محمد الطيب المغربي[١].

كذلك يأخذ الشيخ محمد بن أبي السعود الشرواني الحديث عن محمد بن محمد الزواوي[٢]، وبالتالي كانت علاقة المغاربة مع علماء المدينة فـــي غايـــة القـــوة والمتانة، إذ أن المغاربة هم الذين أعطوهم الإجازات ودرسوا لهم في حلقات العلم المختلفة، كما سوف يأتي؛ فالشيخ محمد بن سليمان المغربي وهو أشهر المغاربة في المدينة ومكة[٣] خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر المـــيلادي وهو أستاذ الشيخ خير الدين إلياس مفتي السادة الحنفية في المدينة[٤]، وهو بـــلا شك ما أعطى المغاربة صلات قوية مع أهل المدينة أو غيرهم.

وكانت علاقة المغاربة القوية تظهر بوضوح مع الأتراك فبالإضافة إلى ما سبق نجد أن الشيخ تاج الدين بن جلال إلياس مفتي الحنفية في المدينة يأخذ العلم عن العربي الحريشي[٥] وهو أستاذه الذي يجله ويقدره وكانت بينهم مراسلات أدبيـــة، فالشيخ أحمد إبراهيم الخطيب المغربي يهنئ خيرالدين إلياس بولاية القضاء حيث قال:

ملبوس عـــز وفخـــار وإن   أتـــت عليـــك قبلـــه بالفخـــار
وحليـــة خصـــتك لكنهـــا   عمت محبيـــك بكـــل المســـار
فاهنأ بها وطرًا برغم العـــدا   والبشر بما فيه زوال المضار

---

(١) المرادي: سلك الدرر، ج ٤ ص ٩٣.
(٢) مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٢٦.
(٣) المحبي: خلاصة الأثر، ج٤ ص٣٠٤ - ٣٠٨.
(٤) مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص ٣٠.
(٥) مجهول: تراجم، ص٣٢.

فأجابه خير الدين إلياس المذكور

يا من عليه في العلوم المدار ومن إلى علياه بعزي الفخار

يا كعبة الفضل الذي يمم تلقاءها الوفاد من كل دار[١]

على الرغم من أنه شعر تقليدي سمج إلاَّ أنه يؤكد على العلاقات الطيبة للمغاربة مع غيرهم وخاصة الأتراك في المدينة، والأشراف وما إلى ذلك من مختلف الطبقات[٢].

علاقة المغاربة بالمصريين:

تعتبر علاقة المغاربة بالمصريين في المدينة المنورة من أهم العلاقات الموجودة للمغاربة خلال هذا القرن سواءً على المستوى الرسمي وهو علاقة المغاربة بالإدارة العثمانية في مصر، أو على الجانب الأهلي بعيدًا عن النواحي الرسمية، حيث كان للتجار والعلماء المغاربة علاقة قوية بالمصريين، فالتجار المغاربة في مصر يقومون بعقد الصفقات التجارية مع المصريين وهو ما عرضنا له في الفصل السابق، ولا شك أن تلك العلاقة التجارية أعطت للعلاقة الاجتماعية قوة وقيمة، كانت آثارها واضحة بين المغاربة والمصريين، ساعدهم في ذلك الركب المغربي الذي كان يمر في كل عام بصورة دائمة إذ ينتظرون في القاهرة للخروج مع قافلة الحجاج المصرية تحت حراسة أمير الحاج، وسردار القافلة، وقادة القطارات السبعة، والفرق العسكرية المختلفة[٣]، كما أنه إذا عرض عارض ما قام بالفصل بين الفريقين قاضي المحمل المصري، وهو ما يؤكد على توطيد الروابط بينهما؛ يضاف إلى ذلك أيضًا أن المغاربة القاطنين في مصر كان لهم دور

(١) السابق: ص ص٣٦ - ٦٥.

(٢) الوزاني: الرحلة، ص٢٣٣، والمنالي: الرحلة، ١٦٢ - ١٦٥.

(٣) ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص ٢٢٥.

كذلك في حمل الكسوة الشريفة ومصاحبة المحمل في شوارع القاهرة[١]، ودليلاً على ذلك نترك الجبرتي يتحدث عن هذا الوضع بنفسه في إحدى حوادث المغاربة في طريق الحاج مع رجال أمير الحاج سنة ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م فيقول: «مات الأمير خليل بيك قطامش أمير الحاج سابقًا الذي تقلد الإمارة والصنجقية سنة تسع وأربعين وطلع بالحج أميرًا سنة ثمان وخمسين ولم يحصل له في إمارته راحة وكذلك على غيرهم، وكان أتباعه يأخذون التبن من بولاق ومن الركب إلى المناخ من غير ثمن، ومنع عوائد العرب، وصادر التجار أموالهم بطريق الحج، وكانت أولاد خزنته ومماليكه أكثرهم عبيد سود يقفون في حلزونات العقبة، ويطلبون من الحجاج دراهم مثل الشحاتين، وكان الأمير عثمان بيك ذو الفقار يكرهه ولا تعجبه أحواله».

فكانت هذه الحادثة من غرائب الأحداث إذ تأثر بها المغاربة من التجار والعلماء واستنجدوا بالسلطان المغربي مولاي عبد الله صاحب المغرب، وتأخر بسبب ذلك الركب عن الحج في السنة الأخرى، فأرسل مولاي عبدالله مكتوبًا إلى علماء مصر وأكابرها يقسم عليهم في ذلك ويقول فيه: «إن مما شاع بمغربنا والعياذ بالله وذاع وانصدعت منه صدور أهل السُنَّة والدين أي انصداع، وضاقت من أجله الأرض على الخلائق، وتحمل من فيه إيمان ذلك ما ليس بطائق من تعدى أمير حجكم على عباد الله وإظهار جراءته على زوار رسول الله ﷺ ويقصد المدينة - فقد نهب المال وقتل الرجال، وبذل المجهود في تعديه للحدود، وبلغ في خبثه الغاية، وجاوز في ظلمة الحد والنهاية، فيالها من مصيبة، ما أعظمها من داهية دهماء، ما أجسمها، فكيف يا أمة محمد ﷺ يهان أو يضام حجاج بيت الله الحرام وزائرو نبينا عليه الصلاة والسلام، وبسببها تأخر الركب هذه السنة، وأفصحت لنا علماء المغرب بسقوطه لما ثبت عندهم ذلك، فياللعجب كيف بعلماء

---

(١) ابن عبدالغني شلبي: أوضح الإشارات، ص ٢٢٣.

مصر ومن بها من أعيانها لا يقومون بتغيير هذا المنكر الفادح بشيوخها وشبانها فهي والله معرة تلحقهم من الخاص والعام»[١].

كادت هذه الحادثة أن تفسد العلاقة الاجتماعية والرابطة المتينة بين المغاربة والمصريين لولا حكمة بعض العلماء الذين أرسلوا ردًا للسلطان المغربي على هذه الواقعة على لسان محمد باشا راغب والي مصر قالوا فيها: «ما حررتموه صدر من الشَغِب المذكور - يقصد أمير الحاج - بل أكثر مما تحويه بطون السطور، لكن الزارع لا يحصد إلاَّ من جنس زرعه في حرس الأرض وسهله ولا يحيق المكر السيئ إلاَّ بأهله».

وأوضح مرسل هذا الخطاب أن الأمير المذكور عزل عن منصبه وقتل، وولي إمارة الحاج من الأمراء المصريين من وصف بالإنصاف والديانة وبعلمه بتسهيل الأمور[٢] فهم قائلاً فإذا كان العائق من توجه الركب المغربي الغادر السالف فقد انقضى على ما شرحناه» ثم أضاف المشايخ الآخرون الذين لم يسمهم الجبرتي رسالة مطولة تطمئن سلطان المغرب إلى أن ذلك لم يحدث بعد [٣]، من تلك الحادثة تتضح علاقة الود بين العلماء المصريين والمغاربة في أعلى مستوياتهم ممثلاً في سلطان المغرب ذاته.

وتظهر العلاقة الطيبة بين المغاربة والمصريين أيضًا في رحلات المغاربة الذين يعيشون في المدينة ويرحلون إلى مصر، ومن أهم المغاربة الذين أوردت المصادر المعاصرة رحلاتهم إلى مصر السيد حسن قصارة الأندلسي الأصل المغربي وظل بمصر حتى توفي بها[٤].

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، ص٢٩٦.

(٢) راجع مهام أمير الحاج تفصيلاً في محمد فهيم: مخصصات الحرمين، ص ١٧٨.

(٣) الجبرتي: عجائب الآثار، جـ١ ص٢٩٧.

(٤) الأنصاري: تحفة المحبين ص٣٩٨.

ومن ناحية تواصل العلماء المغاربة مع العلماء المصريين في المدينة ذاتها حيث أخذ غالب كبار العلماء المغاربة العلوم عن المصريين في المدينة والعكس، فمن الذين أخذوا العلوم وكانت لهم علاقة قوية بهم الشيخ السيد مولاي محمد بن القاسم الفلاني يأخذ العلم عن الشيخ عيد المصري المالكي النمرسي[١] والشيخ صالح الفلاني تتوثق علاقاته مع العلماء المصريين مثل الشيخ علي بن أحمد الصعيدي والشيخ الأمير والشيخ علي الوناني المصري[٢] وغير هؤلاء.

كذلك وجدت علاقات اجتماعية بين الشيخ أحمد الغلام المصري مع الشيخ محمد بن الطيب المغربي والشيخ محمد الدقاق وكان لهذين العالمين أيضًا علاقة اجتماعية بالشيخ عبد الرحمن بن محمد الغلام الشافعي[٣]. ومن خلال هذا العرض تتضح قوة العلاقة الاجتماعية للمغاربة في المدينة وهو ما يعطي نتيجة قوية تؤكد أن المغاربة كانوا أصحاب تأثير قوي فيها، وكانوا كذلك إضافة إلى ما سبق من أبرز القوى الاجتماعية ذات الشأن آنذاك وهو ما يدفعنا إلى الحديث عن سمات المغاربة الأخلاقية بين أهالي المدينة وذلك قبل أن نتعرض للموضوع التالي وهو العادات والتقاليد. ذلك لأن هذه السمات هي التي دعمت العلاقات الاجتماعية للمغاربة فإذا كان عرب المدينة المنورة ألطف من سكان مكة بشوشين جدًا ومضيافين وودودين ومستعدين دائمًا لمزيد العون عند الاقتضاء، بل هم رفاق ممتازون في الطريق وسكان الحجاز الآخرون يفسرون على طريقتهم هذه السمات من طبع أهل المدينة، قائلون إن بركة النبي ﷺ تشملهم؛ لأنهم كرموه بعد الهجرة من مكة[٤] فلقد أخذ المغاربة هذه الأخلاق عن النبي ﷺ وأهل -المدينة، وهو ما وطد علاقتهم مع سائر ساكني المدينة يضاف إلى ذلك جدية المغاربة في التعامل

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، جـ١ ص٣٢٦.

(٢) الشيخ صالح الفلاني: قطف الثمر، ورقة ٢٠ - ٢٤.

(٣) مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٨٩.

(٤) دولتشين الرحلة السرية، ص١٦٤.

فقد كانوا يسجلون كل شيء عن حياتهم الاجتماعية بيعًا وشراء، حيث كان يحضر المغربي إلى القاضي في المحكمة الشرعية ويسجل لديه ما يريد أن يحتفظ بـه، ويؤكد أن الشيء المباع تحت تصرفه وملكه ويؤكد أن ما اشتراه كان بماله لنفسه ويؤكد على المكان المباع أو المشترى ويحدد حدوده[١]، وربما يرجع ذلـك مـن وجهة نظر الباحث إلى أن مجتمع المدينة فيه خليط لكثيـر مـن المجـاورين أو المنتمين إلى كل أقاليم العالم الإسلامي تقريبًا وهو ما يجعـل صـاحب المـال أو المعاملات من الدفاع عن حقه وصونه بالتسجيل على الرغم أن التسـجيل كـان يضطر المسجل في المحكمة لدفع رسوم ليست قليلة، وكان أول مـا يقـوم بـه المغربي حال وصوله المدينة المنورة البحث عن مكان أو بيت ينزلون فيه سواءً بالشراء أو الإيجار من أصحابها، يقول الناصري في ذلك ما يلي: وكان دخولنـا المدينة المشرفة بعد ظهر الاثنين ثاني المحرم فاتح ١١٢١هـــ / ١٧٠٩، ثـم ذهبنا إلى منزلنا بإزاء رباط العشرة اكتريناه بعشرين ريالاً ونصف وستة مثاقيـل أبي طرة وهو لعمر بلدينا الحاج إبراهيم بن عبد الملك ابن سيدي أحمد بن موسى المرعشي ووالده شيخ الفراشين بالحرم الشريف[٢]، وسيدي أحمد هـذا كـان لا يفارقنا أيام إقامتنا ويسعى في قضاء مشاربنا وكذا بلدينا الحاج إبراهيم»[٣].

---

(١) عبد الله بن زاحم: كتاب قضاة المدينة، جـ٢ ص٤٧٦.

(٢) شيخ الفراشين: كان يعين في الحرم الشريف المدني بموجـب فرمـان سـلطاني، ويتـرأس للفراشين والذين يغسلون هذا الحرم الشريف وورد عددهم في الوثائق أحد عشر فراشًا لهـم رواتب من سنويات الحرمين الشريفين.
دار الوثائق: دفتر الصرة الرومية واجب سنة ١١٧٦هـــ/١٧٦٢م، رقـم ٣٢٢م ع ٤٥٢٨ عين ٥٢ مخزن تركي (١) م م حفظ نوعي.

(٣) حمد الجاسر: في رحاب الحرمين الشريفين، الرحلة الناصرية من خلال الرحلات إلى الحـج، الرحلة الناصـرية، مجلـة العـرب، جـــ٥، ٦ الريـاض ١٣٩٧هـــ نـوفمبر ١٩٧٧م، ص ص ٤ ٦.

وكان المجاورون يختارون المنزل القريب من الحرم يقول الناصري عند حديثه عن أحد أصدقائه المغاربة وهو أحمد بن عبد الرحمن الشريف السجلماسي، وقد أثنى عليه كثيرًا[١] وقال عن كرمه: اكترى لنا منزلاً قرب الحرم الشريف ليس بينهما إلا زقاق عند المئذنة السليمانية[٢].

وتعتبر طائفة المغاربة من أبرز الطوائف المجاورة في المدينة المنورة من ناحية التنظيم في المدينة ولها شيخ يقال له: "شيخ الطائفة". وقد كان هناك رئيس لكل طائفة، ومتحدث باسمهم، ووكيل عنهم في كل ما يعن لهم من أمور في المدينة المنورة، وكان هو المسؤول في الغالب عن أوقافهم، أن يضيف ويستبدل ويصرف، وغير ذلك بعد الحصول على موافقة قاضي المدينة المنورة[٣] بموجب حجة شرعية.

ويلاحظ على المغاربة أنهم كانوا يقسمون أنفسهم إما طرابلسيون، أو تونسيون، أو جزائريون، أو فاسيون، أو شناقطة ثم يكونون جميعًا المغاربة.

ويؤكد ذلك أن كل ركب كان يسمى باسم موطنه فهناك الركب التونسي، والركب الجزائري، والركب الفاسي، والركب الشنقيطي، وذلك كما سبق أن قدمنا[٤].

يضاف إلى ذلك أيضًا أن كل فريق من المغاربة كان له رئيس، من ذلك ما أوردته سجلات المحكمة الشرعية أن أحد المغاربة وصفته السجلات بأنه ..

---

(١) السابق.

(٢) المئذنة السليمانية: هي المئذنة التي أنشأها السلطان سليمان القانوني وكانت المنارة الرئيسية في الحرم النبوي الشريف.
محمد علي فهيم: مخصصات الحرمين، ص ٢٩٩.

(٣) عبد الله بن زاحم: كتاب قضاة المدينة، جـ ٢ ص ص ٤١٠- ٤١١.

(٤) الناصري: الاستقصا، جـ٤ ص، ومحمد المنوني: من حديث الركب، ص ص ١٦- ١٨.

الشنقيطي شيخ الشناقطة بالمدينة المنورة[١].

لذلك كان من الطبيعي أن تكثر الأسر المغربية في المدينة بل ولعل من أبرز هذه الأسر الأسرة الليبية، والتونسية، والجزائرية، والمغربية الفاسية أو المراكشية أو حتى الشنقيطية، والأندلسية ومن أهم الأسر أسرة آل بري، وآل الطيار، والكتاني، والجزائري إلى غير هذه الأسر[٢].

ثالثاً: العادات والتقاليد:

وتتمثل عادات وتقاليد المغاربة في المدينة المنورة في مجموعة من العادات الدينية والاجتماعية سواءً في الأعياد والمواسم مثل: رمضان، والعيدين، أو عاداتهم في الطعام والشراب، أو تقاليد المغاربة في الزواج، والولادة، ومسائل التسلية والترفيه.

وربما كان أول ما يلمح عن المغاربة في تعاملاتهم بوجه عام فيما بينهم أو مع أهل المدينة هي تلك الأخلاق الفاضلة وهو ما يمكن أن نعرض له في الصفحات التالية

أخلاق المغاربة في المدينة:

يتميز المغاربة الذين جاوروا في المدينة بصفات طيبة وكانوا من أحسن المجاورين فيها بسبب أخلاقهم فقال عنهم اللواء رفعت:

«فالأخلاق مهذبة، والنفوس مكملة، والأكناف موطأة، يألفون ويؤلفون، أنجاب كرماء»[٣]، ويقومون مع أهل المدينة بكرم أخلاقهم خاصة المستقرين منهم بالمشاركة، والتعاون في كل شيء حتى أنهم يستقبلون من خارج المدينة الوافدين

---

(١) عبد الله بن زاحم: قضاه المدينة، ج٢ ص ٤١٠.

(٢) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، جـ١ صـ ٤٣٩.

(٣) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ١ ص ٤٣٩.

عليها من كل فج عرضوهم أو جهلوهم ببشاشة وسعة صدر، ويدعونهم إلي منازلهم فيجدون بها أهلاً وسهلاً، وعيشاً، ورغداً، وما فعلوا ذلك طمعًا في مال أو رغبة في أجر، ولكنه خلق تمكّن فيهم فدفعهم إلي إكرام الضيف إرضاءً لوازع النفس وإجابة لنداء الضمير»[١] هذه الأخلاق النبيلة التي يتحدث عنها المؤرخون لا نجد من يعارضها إلا الورثيلاني المغربي حيث يعيب على بعضهم سوء الخلق يقول عنهم في ذلك: «وأهل وطننا فيهم الغلظة والجفاء وسوء الأدب، وعدم إزعانهم للحكم، ثم يقول عن المغاربة في الركب الراحل مكة والمدينة وأما الركب الجزائري فلا حكم عندهم أصلاً، ولا يقفون عند الأمر والنهي[٢][٣].

عادات المغاربة في رمضان:

ومن عادات المغاربة في شهر رمضان نجد المغاربة - وهم يشاركون أهالي المدينة كافة - كافة يصومون ماعدا الأطفال، وعندما يقترب موعد الإفطار يجتمعون في المسجد النبوي بعد أذان المغرب لا فرق بين غنيهم وفقيرهم، ويتناولون فطورًا خفيفًا لذيذًا، والجملة فإن فطورهم يتكون من الزيتون والفطير، ثم يصلون المغرب، ويذهبون إلي بيوتهم ليتناولوا الفطور الكامل ويأخذون كل ما يجدون في الطريق، وبعد الأكل يحضرون إلى المسجد لصلاة العشاء وصلاة التراويح التي تقام بأئمة كثيرين ينيفون على الخمسين فكل إمام كبير له أتباعه، والأئمة إما من الشبان الذين حفظوا القرآن وعلمائهم وكل إمام له شمعتان كبيرتان تصرفان من خزينة الدولة، ويتقاضى هؤلاء الأئمة مرتبًا من الدولة آخر رمضان أجرًا لهم على إمامتهم، وأغنياء المدينة يوزعون الثياب البيض على المساكين نحب الصيام[٤].

---

(١) السابق: جـ١ ص ٤٤٠.

(٢) الورثيلاني: الرحلة، ص ٥٤٢.

(٣) أبو القاسم سعد الله: الرحلات الجزائرية، ٣٤٢.

(٤) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ١ ص ٤٤٤.

وبذلك فقد شارك المغاربة[١] مشاركات مهمة في هذا النظام ابتداءً من صلاة المغرب وحتى نهاية صلاة العشاء، واجتماع المسلمين في المسجد النبوي الشريف.

ومن عادات المغاربة في المدينة بعد صلاة التراويح أنهم يتفرقون فيذهب كل واحد إلى حال سبيله حيث يذهب إلى بيته، ومنهم من يدعوه صديقه فيذهب إلى بيت صديقه من أجل السمر أو تلقي العلم أو الحديث في المناقشات العلمية والاستفتاءات والقضايا الدينية أو الصوفية أو غيرها، وكان هذا الأمر كثيرًا ما يحدث بعد صلاة التراويح في شهر رمضان بين المغاربة فيما بينهم أو بين المغاربة ومن سواهم لاسيما أن الكثير من المغاربة رجالاً ونساءً كانوا على علاقة قوية جدًا بالمصاهرة بكبار الأسر في المدينة المنورة[٢]، ويقفلون أبواب الحرم ثم إذا مضى من ذلك الوقت نحو الثلاث ساعات أو الأربع ساعات يعود كثير من الناس فيفتحون أبواب الحرم، ويوقدون القناديل ويصلون ست عشرة ركعة بالجماعة، ويسمونها بالستة عشرية[٣]، ثم يخرجون فلا يفتحون أبواب الحرم إلا إذا أذن الفجر[٤].

ويشارك المغاربة إخوانهم في المدينة المنورة في تزيين الشوارع والأسواق ويقول النابلسي عن هذه الزينات ما يلي: فخرجنا من الصلاة وزينت الأسواق واجتمعت الناس من الآفاق، وبتنا تلك الليلة في سرور قائم، وابتهاج يوقظ النائم فصلينا العشاء والتراويح في الحرم الشريف على عادتنا، وخرجنا مع الناس ومررنا في الأسواق وقد أوقدوا القناديل الكثيرة والشمع، ورفعوا الأعلام،

---

(١) عبد الكريم كريم: بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية، ص ٤١٠.

(٢) المنالي: الرحلة، ص١٢٧ – ١٣٠.

(٣) النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٥٣.

(٤) السابق: ص ٣٥٤.

ووضعوا الفرش الملونة والأعلام، موضوعة عند باب السلام، وغيره تباع كما هو العادة في كل ليلة من أول شهر رمضان، وغيره[١].

وبعد انتهاء شهر رمضان يحتفل المسلمون في المدينة بالعيد أربعة أيام متواصلة يتزاور المغاربة مع سواهم من أهل المدينة للتهنئة بالعيد، ويذهبون إلى كافة نواحي المدينة المنورة لكل جماعة منهم يوم مخصوص، فيذهبون إلى شمالها يومًا، وجنوبها يومًا، وشرقها يومًا، وغربها كذلك ومن العادات أنه إذا دخلوا على ذويهم يقدم أصحاب البيوت للزائرين شتى أنواع الحلويات والشربات والسكر والكثير من المأكولات[٢]، وتُعين الإدارة الأهالي على هذا الأمر فتقدم لهم هذه المأكولات والمشروبات توسعة لهم في ليلة العيد[٣]، وذلك حتى يتمكن أهالي المدينة كافة - وليس المغاربة - من الاستعداد لهذا اليوم مبكرًا، ومثل ذلك يحدث في عيد الأضحى المبارك[٤].

ولا يخرج المغاربة من بيوتهم لصلاة العيد في المدينة إلا وهم يلبسون أحسن ثياب، ويتطيبون بأحسن أنواع العطور البخور مثل العود الهندي الذي يتبخرون به، ويبدو المغاربة وسائر أهالي المدينة المنورة في أبهى حلة وأحسن صورة في هذين اليومين[٥].

ولاشك أن ذلك يدل على نظافتهم التي عرفوا بها بوجه حتى ولو كانوا من

---

(١) النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٧.

(٢) النابلسي: السابق، ص٤٣٠، رفعت: مرآة الحرمين، ج١ ص٤٤٤.

(٣) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين واجب سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م رقم ٥٣٣، نوعي ٨٠ عمومي ٥٣٢٣ مخزن تركي (١).

(٤) المصدر السابق: نفس السجلات واجب ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م م ع ٦٠٠٤ حفظ نوعي ٧٦١، رقم ٥٣٢، مخزن تركي (١).

(٥) د/ حسن الوركلي: شذرات تطوانية، عن منشورات تطوان أسمير الطبعة الأولى، تطوان المغرب ٢٠٠٢م ص٥٧.

البسطاء والفقراء وكما قال أحد مؤرخيهم فهم: «لا يرددون كلمة (النظافة) من الإيمان إلا ليعملوا بها خذ المثال من صغارهم فقلما رأيت بين أولئك الصغار ما ينفي العقيدة الشائعة؛ قلّ من رأيت من الولدان الوسخ الثوب، أو الوجه، ومن البنات المهملة أمهاتهن لهن»(١).

الصلاة في الروضة

ويشبه المغاربة سواهم من سائر الوافدين في الصلاة بالروضة المطهرة خاصة أنها أكثر الأماكن ازدحامًا من مسجد النبي(٢) ﷺ في صلاة الصبح والمغرب والعشاء(٣).

لكن الوضع يختلف في رمضان إذ يزيد الازدحام مع صلاة التراويح من أي وقت مضى، حيث كان الوافدون من المغاربة يربطون الصلاة في الروضة بالزيارة لضريح النبي ﷺ في تلك الأيام المباركة(٤).

أهم احتفالات المدينة

وقريب من الاحتفالات بالعيدين الاحتفال بيوم كنس الحرم الشريف وغسله، ويحدث هذا في يوم واحد في كل عام وهو يوم السابع عشر من ذي القعدة بعد صلاة الصبح حيث يجتمع الأكابر والأعيان وغيرهم ويجلسون على طبقاتهم ومراتبهم بعد صلاة الصبح مع الجماعات، واجتمع الأولاد الصغار والأطفال وتخرج الطواشية – الأغوات – خدام الحجرة النبوية(٥)، ويشرعون في نقل

---

(١) السابق ص ٥٨.

(٢) النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٣٤.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٣٣٦.

(٤) السابق: ص ٣٣٦.

(٥) كان الأغوات كثيرين يزيد عددهم على الأربعين. وله دكة خاصة يجلسون عليها ولهم رواتب ومراتب. عن كل ذلك بالتفصيل ينظر:
بيرتون: الرحلة الحجازية، جـ٢ ص ٨٤.

المصاحف والربعات من الروضة الشريفة إلى داخل الحجرة المطهرة، كما يرفعون البسط المفروشة في الحرم الشريف، ويصعد شيخ الحرم مع جماعة من الطواشية وقاضي المدينة إلى سطح الحرم الشريف من درج هناك بالقرب من باب النساء، ويأخذ الطواشية المكانس الذهبية بأيديهم، ولها عيدان طوال، وقد هيئوها من قبل هذا اليوم، وكانت العادة من أول شهر ذي القعدة هي أن يصنع الصناع لهم هذه المكانس في كل سنة فيؤتي بالمكنسة إلى بيت الطواشي منهم بالاحتفال فيتلقى ذلك بالقبول، ويحتفل به أكمل احتفال؛ حتى أن الواحد منهم كأنه جاء مولوده من شدة الفرح بالمكنسة، فيعمل لها ضيافة ويدعو إليها أصحابه وأصدقاءه إلى بيته، ويطبخ الأنواع الفاخرة، ويبذل العطايا فإذا كان يوم الكنيس جاء بمكنسة يحملها بيده، وهو فرح مسرور حول القبة الشريفة، وغالب أولاد المدينة يجتمعون ذلك اليوم في الحرم الشريف فيرددون ويصيحون بأعلى أصواتهم: "العادة يا سادة"، فيرمون لهم من فوق السطح ما معهم من الكعك والأقراص، وهم يلتقطون ذلك من أرض الحرم الشريف، والناس بالسوق ينظرون إلى ذلك، وهذا اليوم عند أهل المدينة – مثلما قدمنا – مثل يوم العيد يلبسون فيه أحسن ملابسهم، ويهنئون بعضهم بعضًا، ويستبشرون بقول الأولاد العادة يا سادة[١].

وكان أهل المدينة يقفلون الأسواق في هذا اليوم ولا يبقى أحد من أهل المدينة إلا ويأتي إلى الحرم الشريف لكنسه وخدمته، وبعد غسله وكنسه ينزل من السطح شيخ الحرم، والقاضي، وينزل الخدام معهم، ويدخلون إلى الحجرة الشريفة، ويكنسونها[٢]، ويجمعون الكناسة كلها ويفرقونها بينهم، ثم يهدونها إلى أحبابهم في الآفاق ويقرأون الفاتحة بعد ذلك مجتمعين عند شباك النبي ﷺ، ويتفرق

---

(١) عبد الغني النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٤٣٠.

(٢) المنالي: الرحلة، ١٦٤ - ١٦٦.

الناس بعدها ويخرجون من الحرم[١].

ومن عادتهم أيضًا عندما يخرجون من الحرم بعد فراغهم من كنس الحرم الشريف يخرجون إلى خارج الحرم الشريف والمدينة المنورة ويذهبون إلى حدائق النخيل يتنزهون ويتباسطون في المأكل والمشرب، ويحصل كل الانشراح والصفا، وتخرج المشايخ وأرباب الطرق الصوفية بالعمليات والذكر والتوحيد والمزاهر يجتمعون في مكان يقال له القُرَين[٢]بصيغة التصغير وهو قريب في المدينة على نحو نصف ساعة، ويبقون هناك إلى العشاء ثم يعودون كذلك بالذكر والنشيد وتخرج النساء، والرجال، والأولاد لأجل الفرجة عليهم؛ لأنه يعد يومًا عظيمًا أفاض في الحديث عنه المؤرخون والرحالة لا سيما النابلسي والمنالي[٣]

ومن الحدائق التي خرج إليها أهل المدينة بما فيهم المغاربة حديقة النيروزية[٤] وغيرها إذ يبقى أهل المدينة في ذلك اليوم إلى آخر النهار حيث يرجعون لصلاة المغرب بالمسجد النبوي الشريف ثم يذهبون إلى منازلهم.

الأزياء:

وبالنسبة للملابس قد كان لباس الرجل بسيطًا لا تعقيد فيه فالداخلية منها مصنوعة من القطن، وفوقها يلبس الثوب الأبيض، ويلبس فوق الثوب الأبيض «الجلباب» المعروف بالعباءة وهي نوعان من العباءات، الأولى منها القيلانية ويلبسها الأغنياء، وأما سائر الناس فيلبسون عباءة صفراء تصنع من الصوف ..

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣٠.

(٢) النابلسي ص ٤٣١.

(٣) النابلسي ص ٤٣١. المنالي: الرحلة ١٦٧ - ١٦٩.

(٤) إحدى الحدائق في المدينة المنورة وهي مشهورة، الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٣٢٦.

ويلبس الرجال والشباب الكوفية المصنوعة من القطن[١].

ومن الأزياء المغربية التي ظهرت من خلال كتابات الرحالة في المدينة الطرابيش المغربية، والعباءات فيصف بوركهات ذلك قائلاً: «وأهل المدينة أكثر شبهًا في ألبستهم بالترك من جيرانهم الجنوبيين مكة فقليلون جدًا منهم ويرتدون البدن أو العباءة العربية التي ليس لها أكمام، وإن كان حتى من أفقر الناس منهم من يرتدي معطفًا طويلاً مع جبة أو عباءة أخرى فوقية... ويكثر استخدام الطرابيش التونسية الحمراء، ويرتدي أفراد الطبقات الدنيا طواقي جمع طاقية بيض وصنادل[٢].

ويصف لباس أهل المدينة جميعًا من الأنصار أو المغاربة أو المصريين كيف لا يلتزمون بذي موحد فيقول وبشكل عام: فإنه يمكننا القول أن لباس أهل المدينة أفضل من لباس أهل مكة، رغم أنه أقل نظافة بكثير، ومما يلاحظ أن الناس لا يلتزمون بارتداء لباس وطني خاصة في وقت الشتاء حيث يتدثر أفراد الطبقات الدنيا بأي أنواع من الملابس يمكنهم الحصول عليها بثمن زهيد من المزادات العلنية العامة (الحراج)، وليس غريبًا أن ترى رجلاً وقد ارتدى ملابس تعود إلى ثلاثة بلدان أو أربعة فيلبس كالعرب حتى خصره، ويلبس كالعسكر الترك فوق صدره وكتفيه كما يلبس زي الأغنياء.

ومن الجدير بالذكر أن المرأة المغربية كانت ترتدي جلبابًا طويلاً يحافظ على مظاهر تدينها وحشمتها ويظهر قيمتها الإسلامية[٣].

الطعام والشراب

وأما عادات الطعام والشراب للمغاربة فمن المعروف أن لكل مجتمع طريقته

---

(١) القيلانية: نوع من القماش الحريري ابن منظور: لسان العرب، جـ١١ ص ٥٧٢.

(٢) بوركهارت. رحلات في شبه الجزيرة، ص ٣٤٣.

(٣) حسن الوركلي: شذرات تطوانية، ص٥٧.

الخاصة في إعداد الطعام وتقديمه وطريقة تناوله، وبالنسبة للمغاربة في المدينة فقد كانت لهم طبائعهم في هذا الميدان التي تختلف إلى حد ما عن أهالي المدينة قبل أن يمتزجوا في مجتمعها ، ولعل أول الأطعمة التي شارك فيها المغاربة أهل المدينة التمر بأنواعه خاصة أن المدينة أكثر بلاد الحجاز إنتاجًا للتمور(١).

ويليه في الأهمية من المأكولات القمح، والأرز، والذرة، وهناك استفادة تامة من الألبان كالسمن والأقط(٢).

وفيما يتعلق بالمشروبات ففي مقدمتها القهوة العربية التي تُقَدَّمُ في كل وقت وفي كل مناسبة وكذلك الشاي(٣).

ومن العادات في الطعام والشراب (نقيع التمر) الذي أخذه المغاربة عن أهل المدينة على أنه سنة عن النبي ﷺ حيث ينقع في الماء من وقت العشاء ليتناوله قاطنو المدينة في السحور، وفي أحيان أخرى كان يوضع المشمس في الماء بدلاً من التمر، ويحب المغاربة وضع التمر في الماء وهو ما يسمى عندهم نبيذ التمر أفضل مما سواه(٤).

ومن العادات الاجتماعية التي رصدها المغاربة في المدينة المنورة أيضًا عادة شرب القهوة حيث يشربها المغاربة وبعد أن يقدمها الساقي يقول الشارب (جبا)، ويفسر محمد بن سليمان المغربي هذا اللفظ بأنه المقصود منه أن الساقي جابها أي القهوة وهي على خلاف تفسيرات أهل المدينة والشوام(٥).

وفيما يتعلق بآداب الطعام فمن المعروف أن النساء لم تكن تأكل مع الرجال

---

(١) النابلسي: الحقيقة والمجاز، ٣٦٩.

(٢) د. مضاوي: الرياض ص ٣١٤.

(٣) المرجع السابق: ص ٣١٤.

(٤) النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٧٠.

(٥) النابلسي: المصدر السابق، ص ٤٢٣.

وإذا وصل الذكور إلى سن البلوغ فلا يأكلون مع أمهاتهم، بل مع آبائهم، وأما البنات فإنهن يأكلن مع النساء بعد البلوغ، لكنهن كن يأكلن مع الآباء وهن صغار[1].

وكانت لأهالي المدينة المنورة ومنهم المغاربة وسائر المجاورين بعض النظم الاجتماعية السائدة في آداب الطعام والشراب في الأيام المباركة، وعلى رأسها الإفطار والسحور في شهر رمضان المبارك حتى تميز الإفطار والسحور بسمات ومظاهر خاصة انفردت بها المدينة المنورة عن سواها، فعن الإفطار يروي النابلسي هذه العادة الدينية الاجتماعية فيقول: «وعندما دخل وقت المغرب وأهل المدينة على طبقاتهم جالسون في الحرم الشريف ومعهم دوراق الماء المبرد المسبلة من أهل الخير يوضع منها عند كل جماعة ما يناسبهم، فلما جاء أذان المغرب قدم كل جماعة طبقًا مغطى فيه من الخبز، والرطب، والعسل، والجبن، وغير ذلك، ثم يفطرون ثم يقومون إلي الصلاة[2]، وهذه عادة دينية واجتماعية سبقت ما يسمى حاليًا بموائد الرحمن التي انتشرت في العالم الإسلامي، وأعتقد أنها عادة دينية واجتماعية كانت موجودة منذ وجود أهل الصفة على عهد النبي ﷺ واستمرت فيما بعد خاصة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي إذ كانت الدولة العثمانية تقدم في ذلك بعض المساعدات المالية والعينية توسعة على الأهالي في الأيام المباركة[3].

عادات الزواج والولادة

وإذا كان المغاربة - في الغالب - في مصر مثلاً لا يتزوجون إلا من بعضهم

---

(١) مضلوي: الرياض، ٣١٤.

(٢) النابلسي: الحقيقة والمجاز السابق، ص ٤٢٣.

(٣) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة جوالي واجب ١٢٠٨هـ.

البعض على أنهم غرباء في الغالب[١] فإن المغاربة في المدينة المنورة قد تزوج الكثير منهم من امرأة غير مغربية على نحو ما سنوضحه تفصيلاً.

ومن ناحية أخرى فقد شارك المغاربة غيرهم في عادات الزواج في المدينة ومنها: أنهم لا تخرج امرأة إلا نادرًا، وإذا عملوا عرسًا أولموا الولائم، وأطعموا الطعام للفقراء، والقراء على نسق اعتادوه، وتنزل العروس من حريم أبيها إلى مكان زوجها بالنساء الخلص، وهو ما يتفق فيها الجبرتي مع مؤرخي الحجاز والمدينة المنورة[٢].

ويوم مولد الطفل يعملون في العادة العقيقة بينما يقوم الموسرون بتكرار العقيقة يوم السابع الذي يسمى فيه المولود ويرتبط هذا الأمر ببعض التصرفات التي لا علاقة لها بالإسلام وإنما عادات اجتماعتها متوازنة منها أنهم يضعون على المولود من الحلبه ما ينوء به الرجل الكبير، وبعد التسمية تحرك (يد الهون) داخلة حركات متوالية إيذانا بالتسمية (فيزغرد) النساء إذ ذاك، أما إذا أتم الطفل أربعين يومًا على الأقل أثقله أهله بالزينة، وذهبت به أمه وقريباته ومعهم القابلة تحمله إلى المسجد قبيل المغرب، وبعد أن تنتهي صلاة المغرب يأتي أحد الأغوات فيأخذه ويدخله الحجرة ويضعه تحت الستر هنالك عند رأس النبي ﷺ، ويكون بصحبته عيش بالسمن يدخل معه الحجرة ثم يوزع بعد ذلك على الأهل والأقارب فيأكلون ويتبركون، ويعطى والد الطفل ووالدته نظير ذلك بنًّا وسكرًا ودراهم معدودة[٣].

أما الختان فعادة ما يختن الطفل من الذكور وهو صغير السن، والذين يقومون بهذه العملية رجال ذوو خبرة، وبعد إجراء العملية يقام احتفال بهذه المناسبة

(١) الجبرتي: عجائب الآثار جـ١ ص ٢٩٠.

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار، جـ١ ص ٢٩٠ د/ يونان: تاريخ العلاقات سبق ذكره، ص ١٩٧.

(٣) إبراهيم رفعت، جـ١ ص ٤٤٥.

يدعى إليها الأقرباء وتكون الحفلة حسب المستوى المادي لرب الأسرة(١).

وسائل التسلية للمغاربة:

ووسائل التسلية في المدينة المنورة تنحصر في الفنون الشعبية على اعتبار أن لكل مجتمع فنونه الخاصة به، وكان منها الغناء على الربابة ويؤديه عادة شخص واحد، ويقتصر دور الباقين على الاستماع إليه، ومنها الغناء بمختلف أنواعه مثل السامري، والعرضة، وأيضًا عادة رقص الخيول على أنغام دق الطبول المصنوعة من الخشب وجلد الحصان(٢).

الزواج

أما عن عادات المغاربة في المدينة المنورة في الزواج والأفراح فعلى والد الفتاة ابتداءً أن يعرضها أولاً على أولاد إخوته وأخواته إن كانوا كفئًا لها إذا كان الشاب أعزب قبل الزواج بها، أما إذا كان متزوجًا ولا يوافق على الطالب المتقدم للزواج فلا يمكن أن يتم الزواج قط، وإذا لم يتم الزواج بمن عرضت الفتاة عليهم ولم تكن هناك موافقه على الزوج المتقدم من أبناء عمها وعماتها فعليهم أن يبحثوا عن زوج جديد يتمتع بالكفاءة التي تمثل - كافة الصفات الطيبة - الشروط المطلوبة في زوج الابنة، ومنها السخاء في العطاء، والشجاعة في الحرب، والشهرة في الحسب والنسب والأصل.

وبعد أن يحوز الطالب الذي توفرت فيه الشروط على موافقة والد الفتاة وأقربائها عليه أن يرسل إليها، وإلى أهلها الهدايا والعطايا التي تتلاءم مع مكانة عائلته، أو قبيلته التي ينتمي إليها والد العروس(٣).

---

(١) د/ مضاوي: الرياض، ص ٣١٨.

(٢) . السابق: ص ٣١٩.

(٣) أيوب صبري: مرآة جزيرة العرب، ترجمة د/ أحمد فؤاد متولي و د/ الصفصافي المرسي، دار الآفاق العربية. القاهرة، ١٩٩٩م. ص ٢٩٣.

وبعد الموافقة يقدم العريس المهر وهو عادة عبارة عن كليم، أو سجادة كبيرة، وسوارين من الذهب، وطاقمين من الألبسة، ومقدار من الإبل والخراف، وذلك إذا كان العريس غنيًا، أما إذا كان العريس المتقدم فقيرًا؛ فيكتفي بتقديم أسورتين فضيتين، وطاقم من الألبسة المصنوعة من القماش الأسود.

وإذا كان والد الفتاة من الأغنياء فعليه أن يرسل مع ابنته عند ذهابها إلى بيت الزوجية عددًا كبيرًا من الإبل والأغنام وكذلك يرسل معها نفرًا من الجواري والخدم هذا عدا ما كان قد بعث به الزوج كمهر للعروس[١].

طريقة الزفاف

ويستحضر المهر في صندوق من فضة به ورقة كتب فيها مقدار المهر وقيمة الجارية التي يشتريها والد الزوج لتستخدمها، ويقدم مع المهر ملابس حريرية للزوجة مشغولة بالفضة والتلي، وفي الغالب فإن الزفاف يكون بعد سنة من هذه الحفلة حتى يتمكن والد العروسة من إعداد الأثاث لمنزل الزوجية وفرشه وهم يسرفون في الجهاز في المدن المصرية، وتقام وليمة في منزل الزوج يوم نقل الجهاز يدعى إليها أقارب العروسين، والأصحاب، ويستكثرون من الأشخاص الذين يحملون الجهاز حتى كل قطعة صغيرة حاملاً خاصًا، ويدفع الزوج أجر الحمالين، وفي حفل الجهاز يُعيّن يوم الدخول، ويوم الدخول عادة يوم الاثنين أو الجمعة وبعد نقل الجهاز بأسبوع تزف العروس وقت السحر إلى منزل زوجها في عربة، وحين تصل تزف مع زوجها داخل المنزل بحضور جمع من النساء يحملون الشموع ثم يدخل بها المخدع، فإذا ما أشرقت الشمس خرج الزوج إلى منزل العروس يتغدى فيه ثم يرجع إلى زوجه ولا يباح للزوجة أن تخرج من المنزل إلا بعد سنة وربما ستة أشهر، وتقام الولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف

(١) أيوب صبري: المصدر السابق، ص ٢٩٤.

وليلتين قبلها وليلة بعدها[١]، ويكون ذلك بعد نقل الجهاز بأسبوع كما هو عادتنا في مصر.

الجنائز

وأما عن وصف أحوال قاطني المدينة من المغاربة عند حدوث الوفاة فإن الميت إذا فاضت روحه لا يرفع الناس صوتًا ولا يشقون جيبًا ولا تنوح نائحة، ولكن تبكى العين ويحزن القلب، ولا يقولون ما يغضب الرب، ولا تتبع امرأة جنازة، فهم في ذلك كما كان الرسول ﷺ، وقد جرت عادتهم أن الميت بعد أن يُوَارى في التراب يقف أهل الميت فيستغفرون له ثم يعيدون الكرة ثم يرجعون إلى منزله، ويحضرون إليه ثلاث ليالٍ ثلاثًا ليقرأوا القرآن ويهدوه إلى روح الميت، ويستغفرون له، ويقدم أهل الميت لكل قادم إليهم جزءًا يتلو فيه القرآن لمن كان يحسن التلاوة منهم.

ويسرفون في المأتم كما يسرفون في الأفراح فكل معزية طاعمة، ويزورون المقابر رجالاً ونساءً ليلة الاثنين والخميس، ويأخذون معهم الريحان يضعونه على القبر كما شق النبي ﷺ جريدة شقيق ووضعها على قبرين، ويقرأ لهم القراء هنالك القرآن، ويأخذون نظير ما تيسر من النقود، ولا يفرقون أطعمة هنالك كما يحدث في مصر ولكن يأخذون الماء ويبيعونه للراغبين[٢].

ويسار بالميت إلى البقيع بعد الصلاة عليه عادة في الحرم النبوي الشريف فيدفن في حفره – لحد – عميقة عمقًا كافيًا لأقل من أرشين ونصف أرشين – الأرشين سبعون سنتيمترًا – ولا وجود في المدينة لعادة جلب الموتى من غير أهل المدينة[٣].

---

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ١ ص ٤٤٢.

(٢) إبراهيم رفعت المصدر السابق، جـ١ ص ٤٤٣.

(٣) دولتشين: الرحلة السرية، ص ١٦٩.

وبعد دفن الميت يزور المغاربة البقيع – كغيرهم من أهالي المدينة – يوم الجمعة فيدخلون بعد صلاة الصبح في المسجد النبوي فيدخلون من بابه الغربي إلي البقيع، ويبتدأون بالدعاء الذي جاء في الأثر "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم"، ثم يزورون قبر آل النبي ﷺ ويسلمون عليهم، ويزورون قبر العباس، والحسن، وفاطمة، وزين العابدين بن الحسن، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، ثم يزورون بنات النبي ﷺ السيدة رقية وزينب وأم كلثوم، ثم قبر أزواج النبي ﷺ عائشة، وصفية، وأم سلمة، وزينب بنت خزاعة، وزينب بنت جحش، ورملة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وصفية بنت حيي بن أخطب، ثم زيارة إبراهيم ابن النبي ﷺ، والكثير من الصحابة فضلاً عن الخلفاء الراشدين وبعض المساجد الشهيرة(١).

كما أنه بعد انتهاء العزاء الذي يعد واجبًا يتم تنفيذ وصيته، ثم بعد ذلك يقسمون المواريث عند أصحاب الحقوق طبقًا لآوامر الشرع الحكيم وطبقًا لظروف وتقاليد المدينة المنورة حيث يقوم القسام العسكري(٢) بهذا العمل نظير جزء من قيمة التركة وإذا اختلف بعض الوارثين، فيكون قاضي المدينة المنورة هو الفيصل في القضية مثلما أوردت سجلات القاضي أحمد أفندي محسن زادة، حينما حضر بين يديه أحد المغاربة من مدينة فاس لأنه الوارث الوحيد لموروثة، وليس هناك وارث سواه مما دفع قاضي المدينة إلى عرض القضية على القسام العسكري مرة أخرى وحصل المدعي على حقه كاملاً(٣).

---

(١) الفقيه الحافظ يحيى بن أحمد المختار الولاتي، الرحلة الولاتية، ص ص ١٢– ١٩.

(٢) عبد الله بن زاحم: كتاب قضاة المدينة المنورة جـ٢، ص ٣١٩ – ٣٢٠.

(٣) المصدر السابق، ج٢ ص٣٢٠.

المنازل في المدينة المنورة

وتتميز المدينة المنورة بسمة مهمة شأنها في ذلك شأن المدن القديمة في الحضارة الإسلامية وهي بناء سور كبير حول المدينة المنورة، ظلت منازل المدينة محصورة داخل سورها الذي بناه عليها منتصف القرن السادس الأمير جمال الدين وزير صاحب الموصل، وزاد فيه نور الدين زنكي سنة ٥٥٨هـ أثناء عمارته للمدينة المنورة عندما عمر بناء الحجرة النبوية المطهرة(١).

ولكن في سنة ٩٣٩هـ / ١٥٣١م أقام السلطان سليمان القانوني هو الآخر سورًا جديدًا بعد اتساع المدينة المنورة وبنى فيه القلعة السلطانية ومنذ بنائها وانتشرت المنازل في ضواحيها فبنيت المنازل خارج السور القديم والجديد، وقام المغاربة بتملك المنازل في المدينة القديمة والجديدة أي خارج السور، وقد انقسمت هيئة البيوت التي تملكها المغاربة على شكلين للفقراء وأهل اليسار، وذلك لأن المغاربة كجالية كبيرة في المدينة المنورة ليست طبقة واحدة كما سبق أن قدمنا وإنما تنتهي إلى عدة طبقات منها العسكريين أو التجار أو العلماء أو العوام وبالتالي فإن منازل المغاربة كانت على نوعين:

أ) مميز: ويتكون من دورين ويحاط بحديقة كبيرة وغالبها في ضواحي المدينة المنورة مثل؛ منازل العسكريين والتجار والعلماء وكبار رجال المغاربة من الأعيان.

ب) عادي: وهو المنزل داخل أحد الأحواش الكبيرة التي تنتسب إلى المغاربة مثل؛ حوش خير الله وحوش البري وغيره من أحواش المغاربة والتي توجد فيها حارات المغاربة في المدينة ومنازلهم وحجراتهم.

وأما عن بناء البيت وهيئته من الداخل فإن المغاربة من أهل المدينة يبنون في الطوابق السفلى غرفة خاصة دون نوافذ مزودة بسلالم عريضة متصاعدة إلى

---

(١) البتلوني: الرحلة الحجازية، ص ٣٤٤.

أعلى، وتجوز جميع الطوابق العليا هذه الغرفة المسماة القاعة هي غرفة الاستقبال؛ لأنها أبرد من غيرها، وفي الطوابق العليا يبنون مشربيات وعلى السطح يوجد مكان لأجل راحة الليل صيفًا والتدفئة في الشمس شتاء[(١)].

وأما البيوت فنظيفة جدًّا فالجدران مبيضة دائمًا من الداخل والخارج أيضًا، والغرف والسلالم تكنس بعناية، وبيوت الخلاء الواقعة في السلالم أو في إحدى الغرف الأمامية لها دائمًا أرضية من الأسمنت وتنظف ببالغ النظافة[(٢)]، لكن بيوت الخلاء في بعض المنازل تفوح منها رائحة كريهة تنبعث إلى الطوابق السفلى المجاورة لاسيما إذا كان عدد السكان كبيرًا[(٣)].

وأما الشوارع: من ناحية العنبرية، فإن العين تقع على شارع عريض مخطط باستقامة وينتهي الشارع بمساحة شاسعة تتوقف فيها القوافل، وتقوم فيها أسواق الحبوب والحطب والماشية وضاحية المناخة تتصل بالمدينة عبر بوابتين أهمها[(٤)]: (الشامية) التي تؤدي إلى شارع ضيق، ولكنه أكثر شوارع المدينة انتعاشًا وحركة، وهو يعبر المدينة كلها وينتهي عند بوابة الحرم النبوي، وهناك شارع رئيسي آخر أوسع بقليل ويوجد فيه أفضل البيوت بالمدينة المنورة، وهو يتجه شمالاً بموازاة الشارع الأول، وينتهي إلى بوابة أخرى من الحرم، والقسم الباقي من المدينة تتقطعه في اتجاهات مختلفة أزقة ضيقة موزعة بشكل شبكة غير منتظمة[(٥)].

ومن الشوارع المهمة الشارع الأفضل الذي ينطلق من باب الشام، وتشغله كليًّا

---

(١) دولتشين: الرحلة السرية، ص ١٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٣) الرحلة السرية. ص١٤٧.

(٤) إبراهيم رفعت: الرحلة، جـ١ ص ٤٤٢.

(٥) دولتشين: الرحلة السرية ص ١٦٢.

الدكاكين من جانبيه لا يبلغ عرضه أكثر من ثلاثة أمتار كما أن الأزقة خارقة الضيق ويبلغ عرضها حوالي مترين، وهناك عمارات تطل على الشارع لكسب مكان الأمر الذي يعوق كثيرًا بالطبع حركة الهواء؛ لذلك فإن ترتيب البيوت في ضاحية المناخة أرحب بكثير رغم أنه لا وجود فيها للأحواش، ورغم أن المباني تلتصق بعضها ببعض على الشارع، وفي العمق فإن الشوارع تشكل مكانًا لإلقاء القمامة والنفايات، ويجري كنسها مرة واحدة في اليوم[١]، وتوجد بيوت المغاربة في كافة أنحاء المدينة المنورة بالشراء والإيجار وقل أن يخلو منها مكان في المدينة في حي من أحيائها[٢].

الأسواق

ومن المظاهر الاجتماعية الجديرة بالتسجيل الأسواق حيث تكثر الأسواق وسوف نقصر الحديث على أهمها بخاصة للمغاربة موضوع البحث، ولعل من هذه الأسواق (سوق المدينة) الذي يبتدئ من الباب المصري إلى الحرم الشريف في شارع ضيق على المارة لا يستطيع أن يتقابل الجملان مع بعضهما البعض، بل إن الحركة تكاد تكون منحصرة في مدة الحج والموسم الرجبي، وهو موسم الزيارة الرسمية من بلاد المغرب[٣].

ويشارك المغاربة في التجارة في أسواق المدينة منها سوق هو سوق باب السلام، ويمتد إلى الباب المصري على مسافة تقارب (٤٠٠) مترًا في شارع ضيق لا يعدو عرضه أكثر من أربعة أمتار، ويليه (سوق البلاط) وهو على يسار المتجه إلى باب السلام ثم (سوق الساحة) بعده، ثم (سوق المناخة) وفيه الحبوب، واللحوم، والخضراوات، والفواكه، والأشياء القديمة في مكان يقال له سوق

---

(١) بولتشين: الرحلة، ص ١٦٣.
(٢) علي بن موسى: رسالة في وصف المدينة المنورة، ٢٣ – ٢٥.
(٣) البتانوني. الرحلة، ص ٣٤٠.

(الحراج)[١].

ومما هو جدير بالذكر أن الأسواق تغلق في أيام الأعياد والاحتفالات الرسمية مثل يوم كنس الحرم النبوي الشريف[٢].

ومن العادات الاجتماعية للمغاربة في المدينة المنورة كذلك عادة سداد الديون، وتتم عند أهل المدينة جميعًا وليس المغاربة وحدهم عند حضور المحمل الشامي أو المصري، ولعل ذلك يعود إلى أن المحمل الشامي كان يجلب معه صرة دار السعادة وبعض المخصصات الشامية والعثمانية، بينما المحمل المصري الذي يحمل أميره إلى المدينة المنورة كافة الحقوق من أوقاف، وصرة رومية، وجوالي وغير ذلك من هذه المخصصات[٣].

وكان إذا قام المغربي بإعطاء دَيْن لواحد من قاطني المدينة سواءً كان مغربيًا أو غير مغربي فكان يحصل على صك بهذا الأمر كما تأمر الشريعة الإسلامية، وإذا تخلف المدين يذهب الدائن بالصك إلى قاضي المدينة من ذلك كما تذكر سجلات المحكمة الشرعية أن رجلاً يدعى عبد الله السقا المغربي على السيد المغربي بمبلغ قدره مائة محلق فضة فأمهله القاضي ثلاثة أيام، وإلا حبس بعد مرور الثلاثة، فما كان منه إلا أنه سدد ما عليه من ديون[٤].

لكن من النوادر الاجتماعية بالفعل ما أورده الشيخ عبد الله زاحم في كتابه «قضاة المدينة المنورة» بأن أحد المغاربة حضر إلى القاضي محمد سعيد صادق زاده القاضي بالمدينة المنورة سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م، وتنازل عن ولايته

---

(١) إبراهيم رفعت: مراة الحرمين، ص ٤٤٢.

(٢) النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٤٣٠.

(٣) دار الوثائق: سجلات الروزنامة دفتر صرة ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥م. م ع ٦٠٠٤ حفظ نوعي ٧٦١ مخزن تركي (١).

(٤) عبد الله بن زاحم: قضاة المدينة، جـ٢ ص ٣٥٢.

لأولاده الصغار بطوعه واختياره لأحد الأفراد مقابل اثني عشر أردبًا من الحنطة هي حقه في دفتر جراية المجاورين، والأعجب من ذلك أن القاضي المذكور يصدق على هذا التنازل(١).

كذلك فقد اشترى أحد المغاربة قطعة أرض ونخل قريبة من سيل وادي أبي جيدة بثمن قدرة مائتي أحمر شريفي معاملة مقبوضة، وبعد أن تم له الشراء في ١٣ محرم ١١٢٥هـ / ١٧١٣م قام المشتري المغربي بوقف جميع الحديقة المشتراة ثم أوقفها على طائفة المغاربة المستحقين للوقف الكبير بالمدينة، ويجري على شروطه، وضوابطه، ومصارفه وأن يكون الناظر عليه هو الناظر على وقف المغاربة، وأن يبتدئ من غلته بعمارته الضرورية لبقاء عينه، ثم بعد الوقف والتسليم إلى الناظر أن يرجع في وقفه ويرده إلى ملك موكله فعارض الناظر متمسكًا بقول من قال بالفرض واللزوم(٢)وقد تم له ذلك كله.

المرأة:

والنساء عند العرب كما عند الشعوب الإسلامية الأخرى يرتدين الحجاب، ولكنهن يتمتعن بقدر من الحرية أكبر بكثير مثلاً ما عند غيرهن مثل التتر ويترددن إلى الحرم على قدم المساواة مع الرجال، ويشغلن فيها مكانًا خاصًا بهن ويذهبن وحدهن إلى السوق لشراء الحاجيات، وهناك نساء عديدات يتعاطين التجارة في الشوارع، وغالبًا ما تقع العين عليهن في المحكمة أمام القاضي حاملات الشكاوى أحيانًا على أزواجهن(٣)، ويميز النساء في مجتمع المدينة بوضع البرقع على الوجه وهو حجاب أسود سميك مفتوح عند العينين، وأحيانًا يستعمل معه (مسفعًا) لونه أسود لتغطيه العينين إذا رغبت في ذلك، وبعض النساء كن

---

(١) عبد الله زاحم. السابق جـ ٢ ص ٤٨٩.

(٢) عبد الله بن زاحم: المصدر السابق جـ٢ ص ٣١١.

(٣) دولتشين الرحلة السرية ص ١٤٦.

يغطين وجوههن بغطاء أسود مصنوع من القطن يعرف باسم «الشيلة».

وأما زينة المرأة فكانت غاية البساطة ويأتي الكحل في مقدمة ما تتزين به النساء عامة بتجميل العينين كما يستعمل (الديرم، لتنظيف الأسنان فيعطي لونًا بنيًا للشفاه ويحمر اللثة، وتعتبر الحناء من المواد التي تستعمل للزينة حيث يُزين بها الكفان والقدمان، كما يُلون بها شعر الرأس ليعطيه لونًا جميلاً، ويستعمل الدهن النباتي في تنشيط الشعر، ومن النساء من يضعن على رؤوسهن دهن الغنم لتغذية الشعر، وإعطائه لمعانًا ثم يغسل بالسدر، وكان يستعمل المشط المصنوع من الخشب في تمشيط الشعر، ويتعطرن ويتبخرن[1].

المصاهرة بين المغاربة وغيرهم في المدينة :

ومن مظاهر العلاقات الاجتماعية بين المغاربة وغيرهم المصاهرة وتبادل الزواج بين المغاربة وغيرهم من ساكني المدينة المنورة سواء كانوا من الأنصار أم المجاورين، فقد ساعدتهم علاقة المصاهرة على تأصيل أواصر الصداقة والمودة كما أعطتهم فرصة متينة للتمكين لهم في الوجود والاستقرار في المدينة لذلك نجد أن المغاربة قد توسعوا في عقد الصلات الاجتماعية في هذا المجال بينهم وبين الأسر غير المغربية وكانت صورة هذه العلاقات على نوعين:

الأول: الرجال المغاربة :

ففي هذا النوع يظهر للبحث أن كبار رجال المغاربة تزوجوا نساء من أبناء أعيان المدينة المنورة ومن ذلك أن الحاج يحيى الأزهري يتزوج من السيدة صالحة من الأسر القشاشية[2]، ويتزوج أبو النصر بن عبد القادر البري من

---

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢) الأسرة القشاشية: أسرة يمنية سكنت بعض فروعها المدينة المنورة ومكة المكرمة قبل القرن الثاني عشر الهجري / الثاني عشر الميلادي ومن أهم رجال هذه الأسرة كان الشيخ أحمد صفي الدين القشاشي. عن هذه الأسرة راجع.

السيدة ابنة إبراهيم تقي[١]، ويقوم أبو اللطف محمد البري سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م من السيدة فاطمة بنت محمد أفندي شيخي زادة[٢] وهي واحدة من بنات أحد كبار أعيان المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر كله.

كما صاهر رجال المغاربة بعض الأتراك فالشيخ محمد حلابة المغربي يتزوج من بنت السيد إبراهيم أفندي البلطجي واسمها السيدة عائشة، كما يتزوج المغاربة من المكيين فالسيد أحمد التاجوري يتزوج من فاطمة بنت عبد الله السقروي، ويتزوج الشيخ علي الدقاق من السيدة حفصة بنت حسن بن عبدالرحمن السجادجي ويتزوج بعد وفاتها من السيدة أم الفرج وينجب منها ولده الوحيد عثمان بن حسن قصارة وهي شقيقتها[٣]، كذلك صاهر التجار المغاربة علماء المدينة فالتاجر عبد الحق الحريشي المغربي يتزوج من السيدة فاطمة بنت الشيخ محمد الخصاصي وهو من أسرة الحريشي المشهورة[٤].

ويتضح من البحث غالبًا أنه كلما ولد والدان مغربي وسيدة غير مغربية في المدينة يقوم الابن الوليد بالزواج من أسرة أمه من ذلك زواج إبراهيم الجزائري من السيدة ملاح بنت ناصر الجراجي، وأنجبت ولدًا منه هو عمر باش فقام عمر باش بالزواج من السيدة زينب بنت أحمد بن أبي بكر عبد الرزاق الصعيدي، وعندما توفي تزوجت من أحمد قصارة المغربي، ثم طلقها وتزوجها عمر الفخراني المصري[٥].

= أبو هشام عبدالله من صديق: الأسر القرشية أعيان مكة المحمية، من مطبوعات تهامة، جدة، ١٤٠٤هـ، ص ٢٦٠.

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٩٢.

(٢) شيخي زادة: تعني ابن الشيخ إذ أن في شيخي نجد الياء بدلاً من الألف واللام وزاده بمعنى ابن.

(٣) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص ٩٨، ١٣١، ١٠١.

(٤) مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص ٣١ – ٤٠.

(٥) الأنصاري: تحفة المحبين، سبق ذكره. ص ص ٤٨، ١٨١، ١٨٨.

ويصاهر العلماء المغاربة إخوانهم من غير المغاربة من أقرانهم العلماء فالشيخ أحمد بن صالح الخطيب بالمسجد النبوي يزوج ابنته من الخطيب أبي اللطف البري وينجب منها ولده الوحيد الشيخ محمد البري الخطيب[١]، ويتزوج عمر بن علي اللعبي المغربي من السيدة فاطمة بنت أحمد قاشقجي[٢].

الثاني: نساء المغاربة :

ووطد المغاربة علاقتهم في المدينة المنورة بتزويج بناتهم من الطوائف والجاليات الأخرى.

ومن الجدير بالذكر أن أكثر من ارتبط بالزواج من مغربيات كانوا ينتمون إلى الأتراك والأكراد وهم في حقيقة الأمر الطبقة الحاكمة، وهو ما يعطي تصورًا عن وضع المغاربة بهذه الصلات مع الطبقة الحاكمة قبل الأشراف، ومن أهم الأمثلة على ذلك الشيخ خير الدين إلياس يتزوج من بنت الحاج محمد لعبي وأنجب منها أولادًا[٣].

كذلك فإن الشيخ محمد بن عبد الرسول البرزنجي أحد العلماء الكبار وأحد الخطباء البارعين يتزوج من ابنة الخواجة محمد على المغربي التاجر[٤].

ومما هو جدير بالملاحظة قيام عدد كبير من الأتراك من أسرة واحدة بالزواج من مغربيات وهي صورة نادرة على الرغم من اختلاف المذهب الفقهي بينهما، وهو ما يؤكد أن الخلاف المذهبي عند أهل السنّة لم يكن يدفع بالخلافات إلى التعقيد والتباعد، وإنما أعطى صورة لمدى التواصل القوي بين الطوائف أو الجاليات الإسلامية من مختلف الأقاليم الإسلامية وهذه الأسرة هي أسرة الأسعد

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٣١٨، مجهول: تراجم أعيان، ص ٣٤ – ٣٩.

(٢) الأنصاري: تحفة، ص ٤٢١.

(٣) مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص ٣٠، البغدادي: إيضاح المكنون، جـ٢، ص٥٣٦.

(٤) محمد فهيم: دور مصر في الحياة العلمية، ص ٥٣٤.

الحنفية حيث تولى معظم أبنائها الخطابة والإمامة والإفتاء على المذهب الحنفي فالشيخ أسعد أفندي[١] يتزوج من السيدة مريم بنت القاضي محمد مكي أفندي[٢] ويتزوج عبد الله بن أسعد المتوفى سنة ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م المدرس في الروضة المطهرة من الشريفة فاطمة المغربية من أسرة والدته[٣]؛ بعدها يتزوج شقيق الأخير عبد المحسن بن أسعد الذي يتزوج من الشريفة فاطمة بنت مولاي المغربي الفيلالي[٤]، ثم يتزوج حفيد أسعد أفندي الكبير السيد محمد بن عبد الله بن أسعد من أسرة مغربية هي السيدة حفصة بنت الحاج عبد الله قصارة[٥].

ولم يقتصر زواج المغربيات على العلماء والخطباء في المسجد النبوي وإنما كن يتزوجن ممن يعملون داخل الأوجاقات العسكرية مثل السيدة فاطمة بنت الحاج محمد المغربي ميارة[٦] التي تتزوج من محمد أفندي الكوبرللي وتنجب ابنها عبد الرحمن منه[٧]، وفاطمة المغربية تتزوج من محمد بن جعفر من وجاق الإسباهية وهو من أسرة جعفر البيتي اليمنية[٨].

ولم يقتصر زواج المغربيات من الأتراك دون غيرهم وإنما عقدوا صلات اجتماعية مع غير الأتراك حيث عقدوا تلك الصلات مع أبناء الجزيرة العربية، فتتزوج السيدة آسية بنت محمد الجوزي من الشيخ محمد السمان الثقفي من أبرز كبار العلماء الحجازيين من الطائف وعاش في المدينة حياته كلها، وتتزوج

---

(١) المرادي: سلك الدرر، ج٣ ص٨٣.
(٢) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٣٥.
(٣) الأنصاري: السابق ص ٣٧.
(٤) أبو هشام عبد الله بن صديق: الأسر القرشية، ص١٥٤.
(٥) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٣٨.
(٦) محمد مخلوف: شجرة النور، ص ٣٣٥.
(٧) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص ٢٤٨، ٤٢٩.
(٨) أبو هشام عبدالله: الأسر القرشية، ص ٢١٤ – ٢١٦.

السيدة سيدة بنت الشيخ يحيى الأزهري المغربية من الشيخ عبد الله الطيار من الأحساء[١]، يضاف إلى ذلك أن السيد عبد الرحمن التنجري يتزوج من بنت الريس علي مكيتل اليمني[٢].

كذلك اتجه غير أبناء الجزيرة العربية إلى الزواج من المغربيات في المدينة المنورة أيضًا مثل المصريين فالسيد قاسم الرفاعي أحد أبناء الطريقة الرفاعية الذين كانت لهم فروع في مكة والمدينة[٣] يتزوج من السيدة طاهرة المغربية الفاسية[٤]، وأخيرًا يتزوج الشوام والهنود من مغربيات فمن الشوام يتزوج عمر الحلبي من السيدة خديجة بنت محمد الآبار[٥] المغربية وهو من مدينة حلب، بينما يتزوج الريس أبو العز الحنبلي - وهو من الأسرة الريسية المشهورة[٦] وهو من مدينة عسقلان في فلسطين من بلاد الشام - من السيدة بديعة بنت محمد المغربية وأما الهنود فيتزوج الحاج عبد الرحمن صادق الهندي من السيدة فاطمة بنت علي العنابي من عنابة بالمغرب، في حين يتزوج أحمد الفتني الهندي - وهو من كبار رجالات بلاد الهند - من السيدة ابنة محمد بن عبدالله المغربي[٧].

ولا شك بعد هذا العرض يتضح أن ما طرحناه من توثيق العلاقة الاجتماعية بالعلماء ورجال القلعة والفرق العسكرية كان سببًا قويًا من أسباب ازدياد دور

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص ٦٨، ١٤٩.

(٢) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٣٨٣ - ٤٣٥.

(٣) حسن العجيمي: خبايا الزوايا، ورقة ٣٥ أبو هشام من صديق: الأسر القرشية، ص٢٠٣.

(٤) أبو هشام بن صديق: الأسر القرشية، ص٢٠٧.

(٥) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٧٠، ٣٧٦.

(٦) الأسرة الريسية من أبرز الأسر في مكة والمدينة خلال فترة البحث.
أبو هشام بن صديق: الأسر، القرشية ص٢٣٣.

(٧) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص ١٨، ٣٢٥، ٣٧١.

المغاربة في المدينة كما يتضح في هذا البحث[١].

رابعًا: المخصصات المغربية على الحرمين الشريفين:

فيسجل الجبرتي بعض تلك المعونات في أحداث سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٨٥م بوصول ما أسماه بصدقات من مولاي محمد صاحب المغرب حيث ففرقت على فقراء الأزهر وخدمة الأضرحة والمشايخ والمفتين والشيخ البكري بموجب قائمة مكتوبة. كذلك أرسل سيدي عبدالسلام هدية عبارة عن ألف سبيكة من الذهب بقائمة وزعت بمقتضاها على أشخاص معينين في مصر والحجاز[٢]، كذلك قدم السيد المذكور ذاته للحسنيين في مصر من الأشراف مائتين من البندقي[٣].

هدايا حجرة النبي ﷺ :

في يوم ٢٧ ذوالقعدة من كل عام تقدم كل أسرة من أهل المدينة والوافدين ومنهم المغاربة هدايا إلى حجرة الرسول ﷺ وهي أكياس من «الشاش» بعدد أفراد الأسرة في كل كيس من (٢٠) إلى (٥٠) درهمًا من القمح الطيب النظيف ويضعون هذه الأكياس في الحجرة من الشباك فيأخذها الأغوات[٤].

الهدايا إلى المدينة

ومن الهدايا المغربية إلى الحرمين الشريفين الهدية النفيسة التي بعثها مولاي عبدالله بن إسماعيل العلوي «السلطان» مع الراكب المغربي إلى الحرم النبوي الشريف وذلك سنة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م، ومنها ثلاثة وعشرون مصحفًا بين كبير وصغير محلاة بالذهب مرصعة بالدر والياقوت، ومن جملتها المصحف الكبير

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٣٧٩.

(٢) يونان لبيب: تاريخ العلاقات، ص ١٥٥.

(٣) يونان لبيب: المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٤) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ١، ص ٤٤٤.

العقباني الذي نسخه بالقيروان عقبة بن نافع الفهري الصحابي المشهور فاتح المغرب من المصحف العثماني على ما قيل، وبقي أهل المغرب إلى أن وقع في أيدي السعديين فقدموه من المغرب إلى الحجرة الشريفة النبوية فعاد به إلى وطنه وبعث معه ألفين وسبعمائة حبة من الياقوت المختلف الألوان للحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام(١).

أوقاف المغاربة على الحرمين الشريفين

انتشرت الأوقاف الإسلامية على الحرمين الشريفين في بلاد المغرب في طرابلس، وفزان، وتونس، والجزائر، والمغرب، وحافظ عليها المغاربة حفاظًا شديدًا إذ أن الأوقاف حبس على ملك الله سبحانه وتعالى بنية مخصوصة، من هنا حافظ المغاربة على أوقاف الحرمين الشريفين في مكة والمدينة وجعلت الأوقاف تحت إشراف نظارها الشرعيين، وجعلتهم نظار الأوقاف في بلاد المغرب وكلاءً عن القضاة، ونوابًا عنهم يديرون الأوقاف تحت إشرافهم ومراقبتهم الشرعية، وملزمين أمامهم وأمام الملوك وجماعة المسلمين بصرف ريعها طبقًا لشروط الواقفين(٢).

وقام السلطان المولى إسماعيل بتنظيم الأوقاف وحفظها وتسجيلها في حجج مخصوصة ورسمية حتى تكون وثيقة قانونية وتاريخيةً من أجل الحفاظ على حقوق أهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة، لذلك قام بحفظ حقوقهما تحت ما يسمى «بالحوالات الإسماعيلية»(٣).

وبعدما توفي المولى إسماعيل سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م ومن بعده ولده أحمد الذهبي سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م وأعلنت بيعة أخيه السلطان مولاي عبد الله بن

---

(١) العباسي إبراهيم: الأعلام بن حل من جـ٨ ص ٣١٤.

(٢) حمد المكي الناصري: ص ١٧.

(٣) الناصري السابق ص ١٧ - ١٩.

إسماعيل أنشئت النظارة العامة للحبوس أو الأحباس وكانت منوطة بها حفظ كل أوقاف المغاربة ومنها الأوقاف على الحرمين الشريفين.

وكان ناظر الأوقاف يعين بشروط منها توافر صفات أخلاقية ودينية وعليه مسئوليات جسام فقد وصفته إحدى الوثائق المهمة بأنه «من له النظر والتصرف العام في جميع الأحباس بالإيالة السعيدة»[(١)].

ولقد أسهمت أوقاف المغاربة في مختلف الشؤون الاجتماعية فيكفي أنها أدت إلى استقرار المغاربة للمدينة وتوطنها ولعل من أهم الأمثلة على هذا النوع ما قام به الشيخ حلابة من فاس حينما اشترى الدار الكبرى الملاصقة لدار الشيخ عبد الرحمن الأنصاري المعروفة بأم النخيل بخط الزرندي وعمرها وأوقفها[(٢)].

كذلك قام ابنه محمد حلاّبة بشراء دار أخرى بخط زقاق الحمزاوية المشتملة على منافع ومرافق كثيرة، وعمرها، وأوقفها مثل أبيه قبل أن يتولى سنة ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م.

كما قام الشيخ أحمد الأزهري بشراء الدارين الملاصقين لمسجد سيدنا علي – رضي الله عنه – وذلك سنة ١١٦١هـ / ١٧٤٨م وأخيرًا قام السيد عبد السلام القصاري بشراء دار في خط الساحة وعمرها وأوقفها قبل أن يسافر إلى الهند ويموت غريقًا في الطريق[(٣)].

وتوجد أيضًا أمثلة كثيرة للوقف منها وقف تم تخصيصه من أجل استبدال الجرار التي تكسرها الفتيات في المدينة وهن ذاهبات لحمل الماء من مصادره[(٤)]، وأوقفه محمد بن أبي القاسم المغربي، كما أوقف أيضًا حديقة كان يملكها على

(١) الناصري: ص ١٩.

(٢) عبد الله بن زاحم: قضاة المدينة، جـ٢ ص ٤٨١.

(٣) الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص ٦٨، ١٨٣، ١٨٤، ٣٩٩.

(4) Joseph lucioi: les foundations pleuses Habous au Maroc, Maroc, p136.

وظيفة قراءة البخاري في المسجد النبوي الشريف يقرؤه بعض أهل الخير[١] وكانت بعض الأوقاف تفرض رواتب لأكثر من ثلاثين قارئًا[٢].

كما أوقف الشيخ محمد حجي الفاسي دارًا كبيرة بقرب زاوية الشيخ أحمد القشاش وأوقفها على وجوه خيرات. ومما يضم إلى هذين النوعين الوقف الذي يؤول بعد فقد الذرية فقد قام أحمد التاجوري بشراء حوش ومجموعة نخل بطرف المناخة السلطانية وأوقفها على أولاده ثم على طائفة المغاربة بالمدينة. كما قام الحاج عبد الله القصاري المغربي الأندلسي وغيره بشراء عدة عقارات من بيوت ونخيل وأوقفها على أولاده ثم بعد انقراضهم يكون على خطباء الحرم النبوي وأئمته[٣].

وتميز المغاربة في المدينة بإدارة أوقافهم حيث قام السيد عبد الرحمن التتجري بالإشراف على أوقاف التناجرة من بيوت ونخيل بالمدينة المنورة[٤]. وذلك فضلاً عن بعض الأوقاف الأخرى مثل نظارة وقف الخاصكية والدة السلطان مراد والذي تولاها السيد عيسى الإدريسي الفاسي[٥].

من هنا يتضح أن أبرز الأوقاف كانت أوقاف بعض السلاطين المغاربة مثل السلطان إسماعيل، والسلطان محمد المعتصم سنة ١١٩٦هـ[٦] وغيرهما مما

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٤٧٠.

(2) Joseph luccioi: op. cit p131.

(٣) الأنصاري: تحفة المحبي، ص ص ١٨٠، ٣٩٨. وعبد الله بن مزاحم: قضاة المدينة، جـ٢ ص ٤٨١.

(٤) الأنصاري: تحفة المحبين، سبق ذكره، ص٣٨٣، عبد الله بن زاحم: قضاة المدينة، جـ٢، ص ٤٨٠ – ٤٨٢.

(٥) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٣٦٧.

(٦) د/ إبراهيم غانم: كشاف أدبيات الأوقاف في المملكة المغربية بالأمانة العامة للأوقاف الكويت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ ص١٢٢.

يعطى صورة مهمة توضح أحوال المغاربة في الحياة الاجتماعيـــة فـــي المدينـــة المنورة. ومدى مشاركتهم في كافة الشئون الاجتماعية ولم يكونوا منعزلين عـــن أحوالها بل كانوا مندمجين بصورة واضحة.

الفصل الرابع

دور المغاربة في نهضة العلوم الإسلامية في المدينة المنورة

لا شك أن الجهود العلمية للمغاربة في المدينة المنورة كانت أكثر وضوحًا وظهورًا من كافة الجهود السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

إذ قام المغاربة بالتدريس في مؤسسات التعليم الأولية مثل الكتاتيب والمدارس أو حلقات التعليم في مسجد النبي ﷺ، كذلك قدّم المغاربة أبرز جهودهم في التأليف في شتى العلوم سواءً أكانت العلوم الإسلامية أو العربية أو غيرها، ويعود الاهتمام بالدور العلمي أكثر من غيره من الجهود الأخرى والتي سبق هذا الفصل سواءً أكانت في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وربما يعود ذلك إلى أن غالب المغاربة الذين رحلوا إلى المدينة المنورة كانوا من العلماء الذين غلبهم الشوق إلى مدينة رسول الله ﷺ ودفعهم حبهم للنبي ﷺ إلى المجاورة في رحاب المسجد النبوي الشريف، وبالتالي كانت معهم أموالهم التي تكفيهم مؤونة الحياة. وبالتالي التفرغ الكامل للإسهام في تنشيط الحياة العلمية في المدينة المنورة.

ومن هنا قام المغاربة بالتعليم في مؤسسات العلم الأولية مثل الكتاتيب ومن أهم تلك الكتاتيب: مكاتب تحفيظ القرآن الكريم في مؤخر المسجد النبوي الشريف، فالشيخ أحمد المغربي قام بتحفيظ الأطفال القرآن الكريم[١]، كذلك قام الشيخ علي العنابي[٢] بذات الوظيفة في نفس الكتاتيب كما يفهم من النص الذي أورده الأنصاري حيث يقول: «قدم المدينة سنة ١١١٥هـ / ١٧٥٣م وكان رجلاً صالحًا يعلم الأطفال القرآن الكريم، حسن الهيئة ملازمًا للمسجد إلى أن مات سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م[٣].

---

(١) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٣٦٧.

(٢) العنابي: نسبة إلى عنابة من بلاد الجزائر وهي مدينة عنابة أو بونة، مخلوف: شجرة النور، ص٣٣٠.

(٣) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٣٧١.

كذلك أنشأ المغاربة بعض الكتاتيب الخاصة ولعل أبرزها مكتب تحفيظ القرآن الكريم لصاحبه الشيخ محمد العياشي المغربي الذي قدم المدينة المنورة سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢١م وقال عنه صاحب التحفة أيضًا «وكان رجلاً مباركًا يعلم الصبيان القرآن وكانت له اليد الطولى في الفنون وكانت وفاته سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٨م.

ومنها كذلك مكتب الشيخ علي بن عبدالرحمن المغربي وكان مكتبه يوجد في حوش خيرالله بالمدينة المنورة[١].

وأما المدارس فقد أوردت المصادر أن بعض المغاربة قام بالتدريس في مدرسة السلطان مراد[٢] بالمدينة المنورة، وأنه أعطى مقابل تدريسه فقه المالكية (٢٥٠) سكة، وهذا الشيخ هو الشيخ علي البري المغربي الفريابي[٣].

حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف:

شارك المغاربة في التدريس في حلقات العلم داخل الحرم النبوي الشريف، فكانت لهم حلقات باهرة في شتى العلوم والفنون وخاصة في الفقه المالكي، والقراءات، والتفسير، والحديث، والعلوم العربية، وغير ذلك. ومن أشهر حلقات

---

(١) الأنصاري: المصدر السابق، ص ص ٣٣٧، ٣٦٧.

(٢) السلطان مراد: هو السلطان العثماني مراد الثالث بن سليم الثاني بن سليمان القانوني الأول (المشرع) بن سليم الأول تولى السلطنة سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م، وظل على العرش فمنع الخمور، وقطع سلطنته على بولنده، ودخل في صراع مع الشيعة، وكانت أعماله جليلة حتى كانت وفاته سنة ١١١٣هـ / ١٥٩٥م.
د/ إسماعيل أحمد: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، الطبعة الأولى مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ص ١٠٠ - ١٠٢، وعلى الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار الفجر للتراث، القاهرة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ص ٣٤٨ - ٣٥١.

(٣) الأنصاري: تحفة المحبين، ص٩٢.

العلم التي قام بها العلماء في المسجد النبوي الشريف: حلقة الشيخ أبي عبدالله محمد زيتونة في القراءات[١].

ومنها الشيخ حمدون بن عبدالرحمن المعروف بابن الحاج السلمي وكانت حلقة في التفسير يدرس فيها تفسير أبي السعود العثماني[٢].

ومن حلقات العلم للمغاربة في المدينة المنورة حلقة الشيخ أبي عبدالله التونسي[٣] وكان يدرس فيها حديث الأربعين النووية[٤]، ومنها حلقات الشيخ علي السقاط المغربي حيث كان يدرس فيها كتاب الموطأ[٥] للإمام مالك بن أنس عالم المدينة[٦] ومنها أيضًا حلقة الشيخ أحمد الإدريسي المغربي وكان يقرأ فيها كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري، وحضر عليه فيها كثير من العلماء في المدينة المنورة والشيخ أحمد النخلي المكي[٧] في بلاد الحجاز[٨] وكانت تعد من أهم حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، كذلك كانت حلقة الشيخ محمد الزواوي في علم الحديث والذي لم يكن له نظير في هذا الميدان في المدينة المنورة[٩].

---

(١) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٢٥.

(٢) ظافر الأزهري: اليواقيت الثمينة، ص١٠٧.

(٣) مخلوف: شجرة النور، ص٣١٩.

(٤) الأربعون النووية: كتاب في الحديث للإمام النووي جمع فيه أربعين حديثًا من كتب الصحيح. الباحث.

(٥) الموطأ: كتاب في الحديث جمع فيه الإمام مالك الحديث وقسمه على أبواب الفقه وعليه مدار فقه المالكية. الباحث.

(٦) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص ص ٣٨٣ – ٣٨٤.

(٧) أحمد النخلي: هو الشيخ أحمد بن محمد النخلي المكي من النخاولة الذين سكنوا في نخل قريب من مكة المكرمة توفي ١١٣٩هـ / ١٧١٨م.
الجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص١٣.

(٨) ظافر الأزهري: اليواقيت الثمينة، ص٢٥.

(٩) ابن البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر حققه ونسقه وعلق عليه حفيده، محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية، دار صادر بيروت، ١٩٩٣م، ج٣ ص١٢٤٠.

ومن الحلقات العلمية للمغاربة في المدينة إبان القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي كانت حلقة الشيخ محمد الطالب التاودي في الفقه، وكان يقرأ في بداية حياته للطلاب في وجود أستاذه الشيخ أحمد بن عبدالعزيز السجلماسي، حيث كان معيدًا لدرسه في بداية حياته العلمية في المدينة المنورة[١].

كما كان الشيخ حسن اليوسي من أبرز الفقهاء المغاربة الذين عقدوا حلقة علمية في رحاب المسجد النبوي الشريف[٢].

وكانت الروضة النبوية المطهرة مكانًا مهمًا للمغاربة لإلقاء دروسهم العلمية، ومن ذلك حلقة الشيخ محمد الفاسي حيث قرأ في الروضة مسند الإمام أحمد[٣] وأتمه في ست وخمسين مجلسًا[٤].

وأخيرًا كان الشيخ أبوالحسن أبوغناني من أشهر الذين درسوا كتاب مختصر خليل[٥] في الفقه المالكي في الروضة المطهرة، حيث كانت له به الدراية الكاملة[٦].

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، جـ٢ ص ص ١٤٩ – ١٥٢، وابن البيطار: حلية البشر، سبق ذكره، ج٣ ص ص ١٤٠٥ – ١٤٠٧.

(٢) ظافر الأزهري: اليواقيت، ص١٠٠.

(٣) مسند الإمام أحمد: هو أحد كتب السنة الصحاح.

(٤) المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الحادي عشر، الطبعة الأولى، مطبوعات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤ ص٧٥.

(٥) مختصر خليل: هو أشهر كتب فقه المالكية ابتداءً من القرن التاسع الهجري حتى القرون المتتابعة.

حاجي خليفه: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، عليه نيول، القاهرة، ١٩٩٢م، جـ٢ ص ١٦٢٨.

(٦) محمد ظافر: اليوقيت الثمينة، ص ١٠٣.

وبعد فإن ما سبق من أمثلة جهودًا للمغاربة في الحلقات العلمية، والتدريس فيها في مختلف صنوف العلم والتعليم، وهنا نعرض لأشهر الجهود العلمية التي قام بأعبائها المغاربة في المدينة المنورة خلال حقبة البحث، والتي تتمثل في عدة مجموعات من العلوم وهي كما يلي:

أولاً: علوم القرآن الكريم:

وتتمثل في علمي القراءات والتفسير، وظهرت فيها جهود طيبة للمغاربة في المدينة المنورة.

ففي علم القراءات اهتم المغاربة بالقراءات وتحدثوا عن أهمها وأولوه رعاية جيدة فتحدثوا عن القراءات السبع وعن تحسين الأصوات في التلاوة وهو المعروف بالتجويد(١) وغير ذلك من موضوعات هذا العلم.

وأما في التفسير فقد ظهرت المصنفات المهمة للمغاربة في المدينة المنورة في اختصار بعض التفاسير مثل تفسير ابن عادل، وظهرت بعض المصنفات في بعض سور القرآن كسورة الإسراء وهي تعد بعض الموضوعات الموسمية(٢)، كما ظهرت بعض الحواشي والشروح على مصنفات الأقدمين(٣).

أما أشهر علماء المغاربة الذين كانوا في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ولهم باع طيب في علوم القرآن فمنهم الشيخ أبوعبدالله محمد حجيج التونسي وهو الإمام خاتمة المحققين كما يقول عنه صاحب شجرة النور: أخذ عن كبار علماء المغرب ثم رحل إلى الحج والزيارة،

---

(١) عبدالحي الكتاني: فهرس الفهارس سبق ذكره ج٢ ص٨٥ – ٨٧ وكارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، في العصر العثماني ترجمة محمود فهمي حجازي وآخر الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ق٩ ص ص ٥٠٥ – ٥٠٦.

(٢) مخلوف: شجرة النور ص ٣٢٥.

(٣) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص٨٧.

وفي الطريق مكث في مصر فأخذ عن الشيخ الخرشي[١] وغيره، وكانت له مؤلفات في التفسير منها اختصار لتفسير ابن عادل فضلاً عن بعض الحواشي الأخرى ثم عاد إلى بلاد المغرب بعد استقراره في المدينة المنورة وتوفي سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م[٢].

ومن علماء المغاربة أيضًا الذين ظهرت لهم جهود في المدينة خلال حقبة البحث الشيخ علي بن محمد سالم شطار النوري السفاقسي مولده سنة ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م، وهو تلميذ الشيخ محمد الأفراني[٣] درس في تونس، والقاهرة، ورحل إلى المدينة المنورة، ومنها يعود إلى سفاقس ومن مصنفاته في علوم القرآن «غيث النفع في القراءات السبع»، و«شرح مبلغ الطالب إلى معرفة المطالب» و«تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين» يتناول نطق الأصوات لقارئ القرآن، و«معين السائلين من فضل رب العالمين»[٤] وكانت وفاته في سفاقس

---

(١) الشيخ الخرشي: هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخرشي، انتهت إليه رئاسة الفقه المالكي، وتولى مشيخة الأزهر، وهو أول من ترجم له الجبرتي على الإطلاق مما جعل الباحثين يظنون أنه أول من تولى المشيخة المذكورة، من مؤلفاته «شرح كبير على مختصر خليل» وآخر «صغير»، وظل يفتي ويدرس حتى أخذ عنه غالب فقهاء المالكية في مصر والحجاز وبلاد المغرب، وتوفي شهر ذي الحجة سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٩م.
الجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص١١٣ - ١١٤، و/ محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣١٧.

(٢) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣١٩.

(٣) محمد الأفراني: هو الشيخ محمد بن محمد الصغير بن عبدالله الأفراني أو اليفرني، الفقيه، المحدث، العلامة، الأديب، المؤرخ أخذ عن أبي العباس الحلبي ومحمد بن عبدالقادر الفاسي، والشيخ محمد المصناوي، وغيرهم وله مؤلفات منها «نزهة الحادي» «وصفوة من انتشر»، وكانت وفاته بعد الأربعين ومائة وألف للهجرة.
المصدر السابق: ص٣٣٥، وكارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص٤٦٥- ٤٦٦.

(٤) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢ ص ص ٨٥ – ٨٧.

سنة ١١١٧هـ / ١٧٠٥م[١].

ومنهم الشيخ أبو عبدالله محمد زيتونة الشريف المنستيري المنشأ والدار، التونسي القرار، عالمها، وشاعرها، ومفتيها أخذ عن علماء تونس وحج مرتين، الأولى سنة ١١١٤هـ / ١٧٠٢م والثانية سنة ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م وجاور في الحرمين الشريفين والتقى العديد من العلماء مثل الشيخ عبدالله بن سالم البصري[٢] تلميذ الشيخ محمد البابلي[٣] في مكة، وفي المدينة الشيخ الزلفى ومن موضوعاته في علوم القرآن أنه شرح للطلبة ليلة المعراج لإحياء تلك الليلة، وأخذ في تفسير سورة الإسراء، عاد إلى وطنه تونس فتوفى بها في سنة ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م[٤].

---

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج٩ ص ص٥٠٥ - ٥٠٦.

(٢) الشيخ عبدالله بن سالم البصري: هو الشيخ عبدالله بن سالم البصري، من أعمدة علماء الحديث في مكة والمدينة، أخذ الحديث عن علاء الدين البابلي، المصري، أشهر علماء الحديث في الحجاز وله «الإمداد بعلو الإسناد» وكانت وفاته ١١٣٤هـ / ١٧٢١م.

إجازة من عبدالله بن سالم البصري إلى إسماعيل العجلوني، محفوظ بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٩٧، تيمور، ص٩٦، وإجازة أخرى منه إلى محمد بن حسن همسات المتوفى ١١٧٥هـ/١٧٦١م، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٩٣٣، مجامع طلعت.

(٣) الشيخ محمد البابلي: الشيخ محمد علاء الدين البابلي المصري، ولد في شبرا بابل، من الأعمال المصرية سنة ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م. ورحل إلى الأزهر وهو صغير، وأخذ العلم عن غالب رجاله، وكُفَّ صغيرًا، ورحل إلى مكة والمدينة فحج وزار، واستوطن مكة، وبقي فيها حتى توفي سنة ١٠٧٧هـ / ١١٦٦م، وتعد فهرسته من أهم الأثبات في القرن الحادي عشر الهجري؛ لأنه كان أهم وأبرز علماء الحديث في مكة المكرمة فكان واحد عصره ولا نظيره له.

المحبي: خلاصة الأثر، مبق ذكره، ج٤، ص١٧٤، وإسماعيل البغدادي: هدية العارفين، في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين في الذيل على كشف الظنون، مجلدان، القاهرة، ١٩٩٢م ج٢ ص٢٩٠.

(٤) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٢٥.

ومن المغاربة الذين اجتهدوا في العلوم خاصة علوم القرآن الشيخ أبوالحسن ابن عمر القلعي بن علي المغربي أوحد الفضلاء، وأعظم النبلاء؛ حضر على أشياخ وقته مثل البليدي[١] الملوي والشيخ أحمد الجوهري[٢] وغيرهم، وشرح بعض الرسائل في مصر التي وصلها سنة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م قبل أن يصل إلى مكة المكرمة ويستقر فيها، ومنها يرحل إلى المدينة للزيارة وللإفادة العلمية، ومن مصنفاته في علوم القرآن كتاب «الفوائد والصلات والعوايد وخواص الآيات والمجريات التي تلقاها من أفواه الأشياخ» وظل على حاله في التنقل بين مكة والمدينة حتى كانت وفاته في مكة سنة ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م[٣].

ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد أبو عبدالله بن الطالب بن سودة الفاسي التاودي المالكي، مولده في مدينة فاس سنة ١١٢٨هـ / ١٧١٥م، وأخذ علومه عن أبي عبدالله محمد بن عبدالسلام بناني الناصري[٤]، والشيخ أحمد بن

(١) أبو عبدالله محمد بن محمد الأندلسي الشهير بالبليدي شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق من المحدثين والمفسرين والفقهاء، له مؤلفات منها: «حاشية على شرح عبدالباقي الزرقاني» وغير ذلك، مولده سنة ١٠١٦هـ / ١٦٠٧م، ووفاته سنة ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م.
محمد بن مخلوف: شجر النور، ص٣٣٩.

(٢) الجوهري: هو الشيخ احمد بن حسن بن عبدالكريم بن محمد بن يوسف الجوهري، الفقيه، الشافعي، المحدث توفي سنة ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م.
إجازات الجوهري إلى تلاميذه، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٣٢٢، مصطلح حديث، ورقة ٢٢، والمرادي: سلك الدرر، جـ١ ص ص ٩٨ - ٩٩.

(٣) ظافر: اليواقيت الثمينة، ٨٧.

(٤) محمد بن عبدالسلام البناني: هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام البناني الفاسي الأندلسي، أخذ عن أعلام المغرب والمشرق، كان محدثًا من أشهر محدثي المغرب، ورحل إلى المشرق وحج وزار، وله مؤلفات: «شرح لامية الزقاق» و«شرح الاكتفاء للكلاعي» في «ستة مجلدات» و«الاختصار شرح الشهاب على الشفا» و«شرح الحزب الكبير للشاذلي» وغيرها، توفي سنة ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م عن سن عالية.
محمد مخلوف: شجرة النور، ص ٣٥٣.

عبدالعزيز السجلماسي[١]، ورحل إلى المدينة المنورة، وحينما ذهب إليها سنة ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م التقى مع العلماء مثل الشيخ محمد بن عبدالكريم السمان[٢]. والشيخ أبي الحسن السندي[٣] والشيخ عبدالله بن جعفر الهندي، وبرزت شخصيته العلمية في المدينة المنورة في علوم القرآن وخاصة في التفسير، ومن مصنفاته فيهم «حاشية على ابن جزي المفسر»، و«حاشية علي البيضاوي» لم تكتمل، و«منظومة فيما يختص بالنساء». وعاد إلى بلاده فتولى القضاء حتى كانت وفاته سنة ١٧٩٥م / ١٢١٠هـ[٤].

وأخيرًا برز من المغاربة في علوم القرآن في المدينة المنورة الشيخ حمدون ابن عبدالرحيم بن حمدون أبو المواهب الشهير بابن الحاج السلمي أصلاً، الفاسي، المفسر، المحدث، الصوفي، الفقيه، انتهت إليه الرياسة في هذه العلوم، ومن أهم مصنفاته في هذا الميدان «حاشية على تفسير أبي السعود»[٥]، ومتبوعه

(١) أحمد عبدالعزيز السلجلماسي: هو الشيخ أحمد بن عبدالعزيز الهلالي السلجلماسي أبوالعباس الفقيه، المالكي، الأديب، البارع، له تآليف منها: «الاستثناء في كلمة الشهادة أهو متصل أو منقطع» و«كتاب المراهم في أحكام إفساد الدراهم» و«رسالة في البيع» و«كتاب فيه فتاواه التي سئل عنها» وتوفي بعد سنة ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م.
ظافر: اليواقيت الثمينة، ص ص ٢٠ – ٢١.

(٢) محمد بن عبدالكريم السمان: هو الشيخ المدني، محدث المدينة، وفاضلها، وفقيهها: محمد ابن الشيخ عبدالكريم السمان، خطيب المسجد النبوي الشريف، توفي سنة ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م.
الجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص٤٨٠.

(٣) أبو الحسن السندي: هو الشيخ أبوالحسن السندي الأثري الكبير، أصله من بلاد السند، فقيه حنفي، سلفي محدث، توفي بعد سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م.
الجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص١٣٥.

(٤) ابن البيطار: حلية البشر، ج٣ ص١٤٠٨، والجبرتي: عجائب الآثار، ج٢ ص ص ١٤٩ – ١٥٢.

(٥) تفسير أبي السعود: هو تفسير ظهر في القرن العاشر للشيخ التركي أبي السعود المتوفى سنة ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م.

«الإمام البيضاوي»[١]، و«تفسيرًا لسورة الفرقان» إلى غير ذلك، كان مولده في فاس سنة ١١٧٤هـ / ١٧٦٠م، ووفاته عشية الاثنين سابع ربيع الثاني سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م[٢].

ثانيًا: علوم السنة

وتتمثل في علمي المصطلح والحديث وقد برز دور المغاربة في هذا الميدان بصورة واضحة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي. فمصطلح الحديث هو: علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن من صحة، وحسن، وضعف، وعلو، ونزول، وكيفية التحمل والأداء، وصفات الرجال[٣]، وغايته معرفة الصحيح ومراتبه من غيره[٤]، وعلى هذا دارت تعريفات العلماء واصطلح على تعريف الحديث والمصطلح بالسنة[٥] لأنها ما صح عن رسول الله ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، والحديث هو الأصل الثاني

بروكمان: تاريخ الأدب العربي، ق ٩ ص ٣٦٢.

(١) البيضاوي: هو الشيخ عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي المغربي، يعد من أهم المفسرين ولد في البيضا في بلاد فاس توفي سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م.
الذهبي، محمد بن عثمان أبو عبد الله سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة التاسعة، مطبعة الرسالة، بيروت لبنان ١٤١٣هـ، جـ٢٠ ص ١٨٢.

(٢) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص١٠٧.

(٣) طاشكبري زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في العلوم، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان (د. ت)، ج٢ ص٣٤١، وحاجي خليفة: كشف الظنون، سبق ذكره، ج١ ص٦٣٥، والقاسمي، محمد جمال الدين ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ص ص ٥ – ٧.

(٤) احمد عمر هاشم: قواعد أصول الحديث، القاهرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص٥.

(٥) عبدالغني عبدالخالق: حجية السنة، من سلسلة قضايا الفكر الإسلامي بواشنطن، الطبعة الأولى، دار القرآن، شتوتجارت ألمانيا الغربية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ص ٥١، ٥٣-٥٤، ٦٣.

من أجل ذلك وجب العمل به واتباعه[١]، من ثَمَّ قام العلماء بالاهتمام به ومحاولة جمعه والحفاظ عليه.

وفي المدينة المنورة حافظ المغاربة على هذا العلم حفاظًا كبيرًا فكان أكثر العلوم اهتمامًا من جانب المغاربة فيها، فاهتموا بالمصطلح وموضوعاته من ناحية، ومن ناحية أخرى ظهر اهتمامهم بجمع وشرح كتب الحديث الكبرى والمعروفة عند أهل السنة مثل البخاري ومسلم، وغيرها.

ولما كان المغاربة جميعًا - إلا القليل - ينتمون إلى المذهب المالكي كان الاهتمام بالسند في فقه المالكية إلى الإمام مالك[٢]، وكان الموطأ من أهم كتب الحديث التي اهتم بها المغاربة في المدينة المنورة خلال فترة الدراسة[٣].

كذلك كان الاهتمام واضحًا بكتاب «الأربعون حديثًا النووية»[٤]، «والشفا في حقوق المصطفى»[٥]، وذلك بالإضافة إلى كتب الصحيح الكبرى مثل كتاب: البخاري «الجامع الصحيح»[٦] و«جامع الإمام الترمذي»[٧] بتمامة، إلى غير تلك المصنفات المهمة.

وبالإضافة إلى هذه المصنفات في علم الحديث فقد اشتهر المغاربة بالجهود العلمية في ميدان كبير هو ميدان الإجازة العلمية، وهو ما ينبغي أن نفرد له هذه الصفحات:

---

(١) محمد الشحري: الحركة العلمية في واسط في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة أجيزت من قسم التاريخ بكلية اللغة العربية، القاهرة ١٩٩٧م، ص٩٨.

(٢) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣١٩.

(٣) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٣٧ و الجبرتي، عجائب الآثار، ج١ ص٣٨٤، ج٢ ص١٤٩، ابن البيطار: حلية البشر، ج٣ ص١٤٠٥.

(٤) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣١٩.

(٥) المصدر السابق: ص٣٣٧.

(٦) الجبرتي: عجائب الآثار، ج٣ ص١٤٥.

(٧) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص١٧٧.

الإجازة:

الأصل في الإجازة أنها كانت في الحديث، وكانت تعنى الإذن بالرواية، والإجازة نشأت تبعًا للرواية والنقل منذ عهد رسول الله ﷺ، غير أنها كانت شفهية لنهي النبي ﷺ [1] عن تدوينها، وظل هذا الأمر حتى أمر بكتابتها أمير المؤمنين عمر ابن عبدالعزيز[2]، ومنذ عهد الخليفة الراشد فقد اهتم العلماء بالتدوين وإن ظلت الإجازة الشفهية أفضل من المكتوبة حيث ذهب إلى ذلك الكثير من علماء الأمة في وقتها حيث رأوا أنها تحفظ من عدم الخلط والخطأ[3].

وعن طريق الإجازة أمكن نقل التراث الإسلامي من بلاد المغرب إلى المدينة المنورة عن طريق كبار العلماء المغاربة الذين وفدوا إلى الحجاز، فأدوا فريضة الحج، واستقروا بعدها في المدينة المنورة[4]، فأجازوا المغاربة والمشارقة من المجاورين بوجه عام، ثم انطلقوا لنقل علومهم وإجازة أبناء الحجاز وأبناء

---

(١) محمد علي فهيم: دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص٤٥٢.

(٢) عمر بن عبدالعزيز: الإمام والخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم القرشي، أبوحفص، نشأ بالمدنية، وتولى إمارتها سبع سنين قبل أن يتولى الخلافة خلفًا لسليمان بن عبدالملك سنة ٩٩هـ / ٧١٨م، وظل بها حتى توفى سنة ١٠١هـ / ٧٢٠م.
ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن أبي بكر ٦٨١هـ / ١٢٨٢م وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، ٨ أجزاء دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ج٢ ص١٢٨.
والدياربكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، جزاءان، القاهرة، ١٢٨٣هـ، ج٢ ص٣١٥.

(٣) ابن كثير ٧٨٤هـ/١٣٨٢م: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر، القاهرة، ص ص ١١٩ – ١٢٣، والسيوطي: تدريب الراوي، ص١٤١.

(٤) إجازة من الشيخ علي النووي إلى الشيخ عبدالحفيظ بن محمد الطيب مؤرخة في ١٩ صفر ١١١١هـ/١٦٩٩م، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٤٩٠، مجاميع، ورقة ١٠١ – ١٠٥.

المدينة على نحو خاص[1].

ولاشك أن الإجازة التي قدمها المغاربة لأهالي المدينة تنوعت بين عامة وخاصة في علم واحد أو جزء من علم أو شرح كتاب واحد أو فصل منه أو أقل من ذلك بقدرة متناهية، تؤكد إخلاص العلماء المغاربة في تأدية دور حضاري لخدمة المسلمين والمتعلمين في المدينة المنورة[2] خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

وتنوعت الإجازة إلى: الإجازة بالمراسلة والإجازة بالتلقي، فأما الأولى عن طريق المراسلة فقد حمل الشيخ أبوسالم العياشي[3] إجازة من أحد مشايخ المغاربة وهو ذاهب إلى المدينة وأعطاها للشيخ المكي الشيخ حسن العجيمي[4] المتوفى سنة ١١١٣هـ / ١٧٠١م[5].

---

(١) إجازة من عبدالله بن سالم البصري إلى أبي الإرشاد عز الدين عبدالوهاب بن عبدالله، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٧٤، مجاميع تيمور، ورقة ٤١، ويتضح فيها مؤلفات الشيخ الثعالبي على وجه خاص.

(٢) صالح الفلاني: قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٥ مصطلح حديث ص ص ٧ - ١١.

(٣) أبوسالم العياشي: أبوعبدالله محمد بن محمد بن سالم العياشي، الرحالة، المحدث، حج وزار، وعمل رحلة كبيرة سماها «مساء الموائد» طبقت على الحجر، وقد ذكر لنفسه فيها أكثر من خمسين شيخًا وتوفي ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م وسيأتي المزيد عنه.

الجبرتي: عجائب الآثار، جـ١ ص ١١٥.

(٤) حسن العجيمي: هو الشيخ حسن العجيمي المكي الصوفي، المتوفى سنة ١١١٣هـ / ١٧٠١م، له مؤلفات أهمها: «خبايا الزوايا فيما للرجال من البقايا»، و «إهداء اللطائف من أخبار مكة والطائف».

بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص ص ٧٩ - ٨٠.

(٥) حسن العجيمي: خبايا الزوايا فيما للرجال من البقايا، مخطوط بدار كتب المصرية، تحت رقم / ٢٤١٠ تاريخ ورقة ٨٢.

وكان هذا النوع وهو التلقي الأساس المشهور في الأخذ والتلقـي والإفـادة، وكانت الإجازات التي سنذكرها هنا في الصفحات التالية من هذا النوع[١]، ومنهـا أيضًا سوف يظهر أن المغاربة أعطوها للمغاربة والمصريين والمدنيين والمكيـين وغيرهم في رحاب المدينة المنورة كما يلي:

إجازة في الفقه أعطيت من أحمد محمد المزطـاري (الموسـتاري) المغربـي المكناسي الشاذلي المالكي لأحد تلامذته كما ذكرت الوثيقة في الفقه والتصوف[٢]، كما كانت هناك إجازة في الفقه أعطاها الشيخ أبوالعباس الهشـتوكي[٣] المغربـي إلى أحمد بن حمدان التلمساني، وكذلك قدم أيضًا المغاربة الإجازة في القـراءات والحديث في أوائل الكتب العشرة ومعظم الكتب الحديثية[٤]، وذلك في إجازة الشيخ محمد بن عبدالرحمن الفاسي المالكي[٥] لتلاميذه[٦].

وكان بعض العلماء المغاربة يقدمها لأكثر من تلميذ وذلك كالتي قدمها الشـيخ

---

(١) ابن البيطار: حلية البشر، سبق ذكره، ج١ ص ص ١٩٨ – ٢٠٠، والجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص١٢٠، وبروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص٤٣، ومحمد بن مخلـوف: شـجرة النور، ص ص٣١١ – ٣١٢.

(٢) إجازة من أحمد المزطاري إلى أحد تلاميذه، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقـم ٣١٢، ورقة ٢٠.

(٣) أبوالعباس الهشتوكي: هو الشيخ أحمد أبوالعبـاس الهشـتوكي المغربـي صـاحب الرحلـة المشهورة.

(٤) دار الكتب: سند الهشتوكي، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٩م، مصـطلح حـديث، ورقات ١ – ١٦.

(٥) الشيخ محمد الفاسي: هو الشيخ محمد بن عبدالرحمن الفاسي بن عبدالقادر الفهري المغربي، وفد إلى المدينة المنورة وتوفي في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.
إجازة من محمد بن عبدالرحمن الفاسي المالكي إلى أبي عبدالله محمد التلمسـاني، مخطـوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٨١، مصطلح حديث، ورقة ٢٥ ضمن المجموع.

(٦) السابق.

ابن الطيب الفاسي المتوفى سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م للشيخ أحمد بن إسماعيل العجلوني وشقيقه أبي الهدى العجلوني، وذلك في إجازته لهما في علم الحديث خاصة حديث الرحمة على شرطه المعتبر عند أهل الحديث[1].

وبالإضافة إلى ذلك كانت الإجازة في المدينة من المغاربة في العلوم العربية والعقلية فلم يغفل المغاربة عن هذه العلوم المعروفة بعلوم الوسائل، ويظهر ذلك جليًا في بعض الإجازات والأثبات، ومنها على سبيل المثال إجازة الشيخ علي بن محمد العربي السقاط[2] المغربي نزيل المدينة المنورة إلى الشيخ عبدالله محمد المدني يقول: وأجزته بما تجوز روايته من معقول ومنقول وفروع وأصول ومن حديث الرسول، وما احتوت عليه فهرسته من علوم العقل والمنطق والعربية، بشرطها المعتبر عند أهل النظر[3]، وكذلك إجازته كما ظهر في ثبته لتلاميذه في علوم اللغة وفي القاموس المحيط وغيرهم[4] من هذه المصنفات التي تعطي لوجود المغاربة في المدينة المنورة أهمية كبيرة.

وبالإضافة إلى العلوم الإسلامية والعربية فقد قدم المغاربة في المدينة المنورة إجازة في العلوم العقلية وعلى سبيل المثال ما قدمه الشيخ محمد البليدي ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م حيث أعطى الإجازة لتلميذه في كتاب شرح التهذيب في

---

(١) دار الكتب: إجازة من أبي عبدالله محمد بن الطيب الفاسي إلى ولدي إسماعيل العجلوني، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٩٧ تيمور، ورقة ٩.

(٢) علي السقاط: الشيخ نور الدين أبوالحسن علي بن محمد العربي الفاسي المصري السقاط، الإمام المحدث الراوية ذو الأسانيد العالية، أخذ عنه غالب علماء الحديث في مصر والحجاز مثل: النور الأجهوري، والشيخ محمد الزرقاني، ومحمد القسنطيني، وابن زكري، وغيرهم، وكانت وفاته سنة ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م.
محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٤٠.

(٣) دار الكتب: إجازة من الشيخ علي السقاط إلى الشيخ أبي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر الأمير، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٨٤٢ الزكية، ورقة ١١.

(٤) علي السقاط: ثبت السقاط، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٨٤٢ الزكية، ورقة ٤٣.

المنطق[١].

وثمة عادات قد سرت عند إعطاء الإجازة من العلماء المغاربة ألا وهي تبادل الإجازات على سبيل المجاملة، ويطلب الإجازة فيحصل عليها ثم يعطى لمجيزه إجازة، ومن أهم الأمثلة على ذلك إجازة الشيخ محمد التافلاتي المغربي[٢] نزيل القدس، حين نزل إلى المدينة أعطى الإجازة إلى الشيخ إسماعيل بن أحمد المنيني في جميع الكتب الستة فيقول: حين طلب مني المذكور الإجازة فأجزته وأجازني»، ومن ناحية[٣] أخرى نجد أن أحد المغاربة هو الشيخ صالح المغربي التاجوري حين حصل على الإجازة من أحد المصريين أثناء استقراره في مصر فترة قبل أن يرحل إلى الحجاز في مكة والمدينة فيقول أستاذه في الإجازة له: استجازني وأجزته[٤].

كما أن بعض المغاربة حين يعطي الإجازة كان يشترط شرطًا أخلاقيًا ودينيًا هو: «وأرجو ألا ينساني من صالح الدعاء»[٥]، يضاف إلى ذلك شرط آخر لكنه

---

(١) إجازة من الشيخ محمد البليدي المغربي إلى أحد تلاميذه مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٤٤ مصطلح تيمور.

(٢) الشيخ محمد التافلاتي: هو الشيخ السلفي محمد بن محمد التافلاتي المغربي وفد إلى القدس وهو صغير، فأسره النصارى في مالطة ثم أطلقوه بعد مناقشات، فاستقر في القدس وظل بها وتردد على الحرمين، وعاش حياته في القدس حتى توفي سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م.
المرادي: سلك الدرر، ج٤ ص١١٨ - ١٢١.

(٣) إجازة التافلاتي إلى المنيني، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٦٤، مصطلح تيمور.

(٤) إجازة الشيخ صالح التاجوري، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٥٠١، مصطلح حديث، ورقة رقم ٢.

(٥) إجازة من أحمد بن عبدالفتاح الملوي إلى أحمد أحمد الجوهري الخالدي، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٣٦٧، مصطلح حديث، مجموع ص٧٢.

علمي يقول الشيخ البليدي[١] عن تلميذه حينما أجازه بجميع ما قرأه من موطأ مالك وجميع رسالة أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل مع شرح الشيخ الخرشي، وجوامع العلوم... ثم يقول: وأشرط عليه التحري جدًا في النقل، ولا يجعل العلم متبحرًا، وأشرط عليه أيضًا ألا يتعاطى إفتاءً بوجه من الوجوه[٢].

ويلحق بالإجازة في العلوم طريقة الصوفية في العهد حيث تشابهت إلى حد كبير حيث كان الشيخ يأخذ الإجازة في كتب الحديث والفقه وغيرها بالإضافة إلى مصنفات الصوفية، ففي إجازة الشيخ محمد بن عبدالله السجلماسي إلى الحفناوي أجازه بما في سنده المشتمل على الحديث المسلسل بالأولية، وأسانيد الكتب الستة، وحديث من كل منها، وأن يروي عني ما تصح له وعنه روايته وقراءة دلائل الخيرات[٣].

كما أن الشيخ إبراهيم البري حينما يحصل على الإجازة يقول عنه أستاذه: سألني أن أجيز ما يُذكر بعد من حديث الرحمن المسلسل، والضيافة، والمصافحة، والمشابكة، وتلقين الذكر[٤]، كذلك فإن الشيخ أحمد النخلي المكي يحصل من عالم المدينة الشيخ عبدالرحمن الإدريسي المغربي الإجازة في التصوف[٥].

---

(١) البليدي: هو أبو عبدالله محمد بن محمد الأندلسي الشهير بالبليدي شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق في عصره، ولد في سنة ١٠١٦هـ / ١٦٠٧م، وكان عمدة في الحديث، ودرس كتب الصحيح منها صحيح البخاري، ومسلم، والموطأ، والشفا، وتوفي في رمضان سنة ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م.

(٢) إجازة الشيخ البليدي، ورقة ١٥.

(٣) إجازة الشيخ محمد بن عبدالله السجلماسي إلى الشيخ محمد الحفناوي، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٥٨، الزكية، ورقة ١٥ - ١٧.

(٤) إجازة إبراهيم البري، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٣٧، مصطلح طلعت، ص٢٧.

(٥) الحضراوي: نزهة الفكر، فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر و الثالث عشر (قطعه منه) قسمان حققه محمد المصري، منشورات إحياء التراث العربي، وزارة الثقافة، سورية ١٩٩٦، ج١ ص١٥١.

ومن هنا يتضح الدور الرائد الذي قام به المحدثون المغاربة في المدينة المنورة خلال الحقبة التاريخية لهذا البحث، واشتهر عدد كبير من المحدثين المغاربة في المدينة المنورة قدّموا جهودًا بارزة في ميدان الحديث والمصطلح واجتهدوا في حفظ السند عن طريق الإجازة العلمية.

أما عن أشهر محدثي المغرب الذين زاروا المدينة المنورة أبو عبدالله بن حجيج التونسي المتوفى سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م، وله شرح على «الأربعين النووية»، و«الشمائل الترمذية»، وغيرها[١]، ومنهم الشيخ أبوالحسن علي بن أحمد الحريشي الإمام المحدث العمدة أخذ علومه عن كبار علماء المغاربة مثل الشيخ عبدالقادر الفاسي، وابنه محمد وأبو سالم العياشي، واليوسي، ثم حضر إلى مصر فأخذ عن الشيخ الخرشي، والشيخ الزرقاني[٢]، وذهب إلى المدنية المنورة بعد الحج فأخذ عنه الشيخ جسوس[٣]، والشيخ عمر الفاسي[٤]، والشيخ أحمد

---

(١) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣١٩.

(٢) الشيخ الزرقاني: هو الإمام، الفاضل الحجة عبدالباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد بن علوان الزرقاني، المالكي الوفائي مولده سنة ١٠٢٠هـ / ١٦١١م بمصر، ولازم النور الشبراملسي والشمس البابلي، وترك مؤلفات وتوفي سنة ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م.
الجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص١١٦.

(٣) الشيخ جسوس: هو الشيخ أبوعبدالله محمد بن قاسم جسوس الفقيه المالكي، مولده سنة ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م له مؤلفات مهمة منها: «شرح المختصر» في تسعة أسفار، وشرحان على الحكم العطائية وغيرهما. توفي سنة ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م.
محمد مخلوف: شجرة النور، ص ٣٥٥.

(٤) عمر الفاسي: هو أبو حفص عمر بن عبدالله بن يوسف العربي، الفاسي، ذهب إلى المشرق مصر والحرمين الشريفين، فحج وزار، ثم كانت وفاته سنة ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م وهو ابن ثلاث وستين سنة.
المصدر السابق: ص ص ٣٥٦ – ٣٥٧.

المكودي[١]، ومن أهم مصنفاته في الحديث «شرح الموطأ» و«شرح كتاب الشفا في حقوق المصطفىﷺ»[٢] وله فهرست، وغير ذلك توفي في المدينة المنورة سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م[٣].

ومن أشهر المغاربة الذين قاموا بعناء تدريس الحديث الشيخ علي الفاسي السقاط، وهو الشيخ علي نورالدين أبو الحسن بن محمد العربي الفاسي الشهير بالسقاط، الإمام، المحدث، اشتهر بعلم الحديث، وروى الموطأ من طريق الشيخ محمد الزرقاني[٤]، بسند محمد بناني[٥]، عن الشيخ محمد بن عبدالقادر الفاسي[٦] المغربي وروى النجاري من عدة طرق أيضًا، كما روى سنن أبي داود، والنسائي، والمواهب اللدنية عن الشيخ محمد الزرقاني، وعن الطبري، كما أخذ غالب مروياته الحديثية عن الشيخ علي بن عبدالله التطواني وسمع عن النخلي،

(١) الشيخ المكودي: هو أبوالعباس أحمد المكودي، الفاسي، العلامة، الأفضل، تولى الصبيا، والتدريس، رحل إلى الحجاز، وعاد إلى بلاده وتوفي سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م.
مخلوف: شجرة النور، سبق ذكره، ص٣٤٦.

(٢) الشفا: مؤلفه القاضي عياض الأندلسي. الباحث

(٣) المصدر السابق: ص٣٣٧.

(٤) الشيخ محمد الزرقاني: هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن الشيخ عبدالباقي الزرقاني، أخذ عن والده، والنور الأجهوري، والخرشي، ومحمد زيتونة، وعلي بن خليفة، وغيرهم، وكانت وفاته سنة ١١٢٢هـ / ١٧١٠م.
الجبرتي: عجائب الآثار، جـ١ ص١١٦.

(٥) محمد بناني: هو الشيخ محمد بن عبدالسلام بناني، الفاسي الفقيه من علماء فارس، مولده ووفاته بها من مؤلفاته: «شرح لامية الزقاق وشرح الشهاب على الشفا، وغيرها» وكانت وفاته سنة ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م بفاس.
مخلوف: شجرة للنور، ص ٣٥٣.

(٦) الشيخ محمد بن عبدالقادر الفاسي: محمد بن عبدالقادر بن العرب أبو حريص الفاسي العلامة، مولده سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٦م ووفاته سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م.
السابق: ص٣٥٥.

والبصري، وكان سماعه على البصري النجاري كاملاً ومسلمًا بفوت وجميع الموطأ، وذلك خلف المقام حلقات الفقه المالكي، وظل يدرس بالمدينة، ويفتي حتى عاد إلى مصر، وتوفي بها في سنة ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م[١].

ومن المحدثين المغاربة في المدينة المنورة الشيخ علي التونسي نزيل مصر وشيخ رواق المغاربة بالجامع الأزهر قدم من بلدته إلى مصر، ودخل الجامع الأزهر، واشتغل بالعلم ثم رحل إلى الحرمين، فحج، وزار المدينة، وجاور فيها، ثم عاد إلى مصر، وتوفي سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م، ولم تذكر له مصنفات في الحديث على الرغم من وصفه بالمحدث في المصادر المتنوعة[٢].

ومن أشهر المحدثين المغاربة الذين رحلوا إلى المدينة المنورة الشيخ محمد ابن الطيب التافلاتي المغربي مفتي القدس الشريف الفائق على أقرانه، رحل من بيت المقدس إلى الحجاز، وبعد الحج زار المدينة المنورة فأفتى ودرس وكانت له حلقة علم؛ وتوفي في بيت المقدس سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٧م[٣].

ومنهم أيضًا أحمد بن محمد بن عبدالله الإدريسي، الحسني، المالكي، المغربي، المدني، العالم، المحدث، قال عنه الشيخ أحمد النخلي المكي: «قرأت عليه قطعة من أول صحيح البخاري، وأجازني بجميع مقروآته ومروياته، ومسموعاته، وغيرها من المسانيد والمعاجم، والأجزاء، وجميع ماله، وله فيه رواية من العلوم العقلية، والنقلية»[٤]، ظل في المدينة ولاقى الشيخ عبدالملك بن محمد

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، سبق ذكره، ج١ ص ص ٣٨٣ – ٣٨٤. مخلوف: شجرة النور، ص٣٤٠.

(٢) كارل بروكمان: تاريخ الأدب العربي، ق ٩ ص ٥٠٥.

(٣) المرادي: سلك الدرر، ج٤ ص ص ١١٨ – ١٢١.

(٤) أحمد النخلي: بغية الطالبين لبيان مشايخ المحققين، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٣٢ مصطلح، ورقة ١٢ – ١٣.

المغربي[1] الأشعري والعلامة محمد بن سودة المغربي، وتوفى في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي بالمدينة[2].

ومن المحدثين المغاربة في المدينة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي الشيخ محمد بن محمد بن عبدالله المغربي الزواوي الأصل، المدني، المالكي، انتفع به أهل المدينة العام منهم والخاص، ومولده بها، وصار علم المدينة في الحديث كما يقول الشيخ البيطار: «وصار عَلَمُ المدينة ومنارها وشمس تلك الأقطار ونهارها» أخذ الحديث عن السيد شاكر العقاد المكي، فأجازه بجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه الأمجاد وكانت وفاته سنة ١٢٠١هـ / ١٧٩٦م ودفن بالبقيع[3].

ومن المحدثين المغاربة في المدينة المنورة الشيخ أبوبكر بن التاودي بن سودة المري نشأ في حجر أبيه؛ فقرأ القرآن، وحفظ المتون العلمية المتداولة بحسب العناية الوقتية، وقرأ على أخيه أبي العباس، ثم لزم مجلس أبيه في الوسائل، والمقاصد حتى صار صدره مملوءًا بالفوائد، وحج مع أبيه، ولقي بالمشرق جماعة من العلماء والفضلاء، واقتبس منهم العلوم، وأجازهم، وأجازوه إجازة عامة مطلقة تامة وكان له فهم فائق في همة عالية ومروءة ومكارم وأخلاق واعية، وصل المدينة المنورة وظل بها، وتوفي فيها سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م[4].

ومنهم أيضًا الشيخ أبو عبدالله محمد بن الطالب التاودي المتوفى

---

(١) الشيخ عبدالملك بن محمد المغربي: هو الشيخ عبدالملك بن محمد المغربي من علماء بلاد المغرب توفي في نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

ظافر الأزهري: اليواقيت الثمينة، ص١٧٧.

(٢) ظافر الأزهري: المصدر السابق. ص٢٥.

(٣) ابن البيطار: حلية البشر، ج٣ ص١٢٤٠.

(٤) ظافر الأزهري: اليواقيت الثمينة، ص٨٢.

سنة ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م وممن قرأ على الشيخ: أحمد بن عبدالعزيز السجلماسي وأحمد بن مبارك السجلماسي[١] الموطأ، وكان في أكثر الأوقات هو القارئ لهما، وأذن له في إقرار الصحيح في حياته فألقى دروسًا بين يديه، وكان الأستاذ أحمد ابن مبارك يسر به ويوده ويقدمه على سائر تلاميذه، كما أخذ عن محمد بن قاسم ابن جسوس، لازمة «الشمائل» وكتاب «الصحيح» من غير فوت منه، كما قرأ على القاضي يعيش بن الزغاوي الشاوي طرفًا من الصحيح في أطراف المدينة، ومن مصنفاته شرحان على «الأربعين النووية»[٢].

ومن المحدثين المغاربة في المدينة الشيخ عبدالقادر بن أحمد بن العربي بن شقرون الفاسي، كان نحويًا فقيهًا لغويًا محدثًا تولى القضاء في سجلماسة مرة، ومرة أخرى في فاس، أخذ عن الشيخ أبي العباس الهلالي، وغيره، وله من المؤلفات شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية، أخذ عنه بالمدينة المنورة الشيخ حسين بن عبدالشكور الصديقي قاضي القضاة في الطائف، توفي سنة ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م[٣].

ومن المغاربة في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي الشيخ المحدث عبدالملك بن محمد المغربي قال عنه صاحب «الإمداد بمعرفة علو الإسناد»: أجاز سيدي الوالد بمروياته ومسموعاته عن شيخه محمد بن سعيد المراكشي عن الشريف أبي محمد عبدالله بن طاهر الحسني

---

(١) أحمد بن مبارك السجلماسي: هو الشيخ أحمد بن مبارك ابن محمد بن علي السجلماسي البكري الصديقي كانت وفاته سنة ١١٥٥هـ / ١٧٤٢م وله مؤلفات.
محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٥٢.

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار، سبق ذكره، ج٢ ص ص١٤٩ – ١٥٢، وابن البيطار: حلية البشر، ج٣ ص ص ١٤٠٥ – ١٤٠٧.

(٣) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص١٥٨.

عن أبي عبدالله محمد بن قاسم القصار[١]، وقال النخلي في بغية الطالبين: «العالم العامل الحبر الكامل وحيد دهره وحافظ عصره شيخ المحققين، وسند المدققين قرأ في مكة جامع الإمام الترمذي»، وسمعت بعضه، وأجازه سائره[٢] قلت، وقد وقفت له على رسالة سماها: «إرشاد المريد السالك» توفي في القرن ١٢هـ / ١٨م[٣].

ومن المحدثين المغاربة في المدينة المنورة أيضًا الشيخ حمدون السلمي الفاسي المتوفى سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م، ومن مصنفاته في الحديث «نظم مقدمة ابن حجر» في الحديث[٤]، وشرحها له في سفر سماه: «نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري» إلى غير ذلك[٥].

ثالثًا: التشريع

والتشريع ينقسم إلى الفقه وأصوله، فأما الفقه فهو علم باحث بأحكام التكاليف الشرعية العملية كالعبادات والمعاملات والعادات ونحوها، وأما مبادؤه فهي مسائل أصول الفقه، وله استمداد من سائر العلوم الشرعية والعربية، ومن ثم فإنه يتناول استخراج الأحكام لما يظهر للمسلمين من مشاكل في أمر دينهم ودنياهم ومن يقوم به يسمى فقيهًا.

وأما فائدة الفقه وأصوله فهي العمل به على الوجه المشروع وتحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعية بناءً على أن أقوى الأدلة القرآن والسنة وكل ما هو مجمع عليه، وما يجوز الأخذ فيه بمذهب كل مجتهد.

---

(١) عبدالله بن سالم البصري: الإمداد بمعرفة علو الإسناد، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ص ٢٢.

(٢) النخلي: بغية الطالبين ورقة ١٨ – ٢٠.

(٣) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص ١٧٧.

(٤) كتاب لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢م / ١٤٤٨م.

(٥) محمد الأزهري: اليواقيت الثمينة، ص١٠٧.

ومن المتعارف عليه أن مذاهب أهل السنة المشتهرة أربعة هي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، ولما غلب التسامح الفقهي على المسلمين في كافة الأقطار الإسلامية - تقريبًا - اتبع كل مسلم المذهب الذي يقبله ويوافق تدينه.

واختلف المغاربة عن غيرهم في ارتباطهم بمذهب فقهي واحد، هو مذهب المالكية دون سواه، واستطاع المغاربة أن يبرعوا ويؤلفوا ويصنفوا فيه مصنفات رائعة، ويكفي أن أشهر كتب الفقه المالكي بعد المدونة؛ كان كتاب «مختصر خليل» في الفقه المالكي ومن بعده لم يزد فقهاء المالكية في بلاد المغرب والكثير من بلاد المشرق على شرح الكتاب أو تطويله أو إقامة حاشية عليه، وهو ما يعد جهدًا بارزًا يحسب للمغاربة، وبالذات الذين رحلوا إلى المدينة المنورة واستقروا فيها مجاورين وقاموا بدور مهم في ازدهار الفقه المالكي في المدينة المنورة.

واشتهر من بلاد المغرب مجموعة كبيرة بارزة من فقهاء المذهب المالكي في المدينة المنورة، ومن أهم هؤلاء العلماء الشيخ أبو عبدالله محمد الحجيج التونسي المتوفى سنة ١١٠٨هـ /١٦٩٦م، الذي وفد إلى مصر من تونس فأخذ كتاب المختصر عن الشيخ محمد الخرشي وأخذ منه الإجازة بسنده للإمام مالك، وترك مصنفات مهمة منها حاشيتين على مختصر خليل[(١)].

ومنهم كذلك الشيخ حسن بن مسعود اليوسي عالم المغرب الإمام نور الدين قدم مكة حاجًا، ثم زار المدينة والتقى بعلمائها وله في الفقه المالكي مؤلفات عديدة مشهورة عاد إلى بلاده وتوفي بالمغرب سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩م[(٢)].

ومن فقهاء المغاربة في المدينة المنورة الشيخ أبو الحسن نورالدين علي الحريشي المتوفى سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م ومن مصنفاته «شرح مختصر

---

(١) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣١٩.

(٢) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص٣٦.

خليل»، وظل يفتي ويدرس حتى كانت وفاته في المدينة المنورة ودفن بالبقيع[١].

ومن فقهاء المغرب الذين استقروا في المدينة المنورة أبو عبدالله محمد بن عبدالله المغربي، الفاسي، المالكي، نزيل المدينة المنورة الشيخ الفاضل العالم الأوحد المفنن العابد الزاهد الناسك، قدم المدينة المنورة سنة ١١٢٥هـ / وتوطنها، وأخذ عن أئمة منهم الشيخ محمد بن عبدالرحمن ابن شيخ الشيوخ عبدالقادر الفاسي، والشيخ عبدالله بن سالم البصري المكي لما قدم المدينة وقرأ في الروضة المطهرة مسند الإمام أحمد، وكان هو المعيد له وأتمه في ست وخمسين مجلسًا، كما أخذ عن العلامة محمد أبي طاهر بن البرهان إبراهيم الكوراني[٢]، وعن الشيخ إبراهيم بن محمد الفيلالي، وعن غيرهم، ودرس في الحرمين الشريفين، وانتفعت به الطلبة وكان ذا قدم راسخ، وكان آية باهرة في التواضع حتى أنه كان يحمل حزمة السعف من بستانه إلى داره على رأسه، وكان من أفقه علماء المغاربة، وظل يفتي ويدرس حتى كانت وفاته سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٨م ودفن بالبقيع[٣].

ومنهم أيضًا الشيخ الطاهر بن عبدالسلام بن الطيب القادري الحسني، وكان مولده سنة ١٠٩٥هـ / ١٦٨٣م تفقه على أبيه وتلميذه أبي عبدالله محمد المسناوي وغيرهما، وحج وزار مدينة رسول الله ﷺ تولى وظيفة في أوقاف المدينة المنورة، وكان فقيهًا عالمًا من أبرز فقهاء المدينة المنورة إلى أن توفي

---

(١) مخلوف: شجرة النور، ص٣٣٧.

(٢) الشيخ إبراهيم الكوراني: برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني الكردي المدني ولد بشهران سنة ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م، ارتحل إلى بغداد، ثم دمشق، ثم مصر، ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، واستقر في المدينة و توفي بها سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٩م.
الجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص١١٧.

(٣) المرادي: سلك الدرر، ج٤ ص٧٥.

بها شهيدًا سنة ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م[١].

ومن فقهاء المغاربة في المدينة المنورة الشيخ أبوعلي الحسن بن رحال المعداني، كان من فقهاء المالكية الكبار في المدينة المنورة أخذ عن الشيخ حسن اليوسي وغيره في المدينة المنورة، وأخذ عنه الشيخ التادلي كتاب المختصر (مختصر خليل) وقال عنه: قرأت عليه مختصر خليل وقيدت عنه تقاييد جليلة لا يكاد يعثر عليها إلا بمطالعة المطولات، تفرد رحمه الله في وقته بالرجوع إليه في مسائل الفقه، واستحضار نصوصه، وحفظ فروعه وكثرة مطالعته واعتنائه.

ومن مصنفاته المهمة في هذا الباب «شرح حافل على نصوص المذهب»، وله «حاشية على شرح السيد الشيخ محمد ميارة[٢] على التحفة» وله «اختصار شرح الشيخ الأجهوري[٣] على مختصر خليل» و «ويتيمة العقدين في منافع اليدين» ومؤلفات أخرى يذكرها البحث في العلوم العربية وكانت وفاته سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م.

ومن فقهاء المغاربة أيضًا الشيخ الحسن بن علي أبو غناتي الحسني الفقيه كان مفتيًا متعاطيًا الشهادة، وله دراية واسعة بتدريس مختصر خليل وغيره، ومشاركه حسنة في الأصول والبيان والنحو والمنطق والتوقيت، وله أخلاق مع

---

(١) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص١٢٩.

(٢) الشيخ محمد ميارة: هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد، وقيل: ابن أحمد بن محمد وقيل: ابن أحمد بن محمد بن أحمد ميارة المعروف بميارة الصغير، أخذ عن عبدالقادر الفاسي وأخذ عنه بردلة، وجسوس، ومحمد بن زكري، توفي سنة ١١٤٤هـ / ١٧٣١م.
مخلوف: شجرة النور، ص٣٣٥.

(٣) الشيخ الأجهوري: هو الشيخ نورالدين أبوالإرشاد علي بن زين العابدين بن محمد بن عبدالرحمن الأجهوري، شيخ المالكية بمصر في عصره أخذ عن كبار المالكية مولده سنة ٩٦٧هـ / ١٥٦٨م ووفاته بمصر في جمادى الأولى سنة ١٠٦٦هـ / ١٦٥٥م.
المصدر السابق: ص ص ٣٠٣ – ٣٠٤.

كمال مروءة وصيانة، أخذ عن العباس بن مبارك وأبي العباس الوجار وغيرهما، وتوفي بالمدينة سنة ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م.

ومن فقهاء المغاربة في المدينة المنورة عبدالله بن إبراهيم البري الخطيب، مولده بالمدينة سنة ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م ونشأ بها، وجد في طلب العلم، وأخذ عن جلة العلماء منهم: والده، ويوسف أفندي الشرواني، والشيخ عبدالله بن سالم البصري، وأبو الطاهر الكوراني، والشيخ أبوالطيب السندي وغيرهم. ونسخ كتبًا كثيرة بخطه واشتغل بكتب الفقه واللغة، ومن مؤلفاته: «حاشية على شرح شيخه على الدر المختار» و«الفتاوي الغياثية» وكان لا يطلق الخطيب في وقته إلا عليه يفتي ويؤلف ويدرس حتى توفي سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦١م(١).

ومن فقهاء المغرب في المدينة المنورة الشيخ أحمد بن عبدالعزيز بن رشيد بن محمد الهلالي السجلماسي أبوالعباس من ذرية إسحاق بن هلال فقيه مالكي من أعيان العلماء، له نظم، اشتهر بالفقه بالإضافة إلى الحديث، ومن مصنفاته الفقهية «شرح على خطبة خليل»، و «نور البصر في شرح المختصر لخليل»(٢).

ومن علماء الفقه المالكي المغاربة في المدينة المنورة الشيخ خليل المغربي، وهو خليل بن محمد المغربي أبو المرشد، فقيه، مالكي، تونسي الأصل رحل إلى مصر، ومن مؤلفاته الفقهية: «شرح المقولات العشر» سماه: «بغية الإرادات في شرح المقولات» وتوفي عائدًا من الحج والزيارة في منزلة أكرى، وكانت وفاته سنة ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م(٣).

---

(١) المرادي: سلك الدرر، ج٣ ص٨٥، ومجهول: تراجم أعيان المدينة، سبق ذكره، ص٣٨.

(٢) مخلوف: شجرة النور، ص٣٥٥، والزركلي: الأعلام، ج١ ص١٥١.

(٣) المرادي: سلك الدرر، ج٢ ص١٠١، والجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص ٢٦٢، وظافر: اليواقيت الثمينة، ص١٤٧.

ومن علماء الفقه المغاربة في المدينة المنورة أيضًا أبو عبدالله محمد بن قاسم جسوس الفقيه العلامة المحقق الفهامة المحدث، أخذ عن أعلام منهم عمه عبدالسلام جسوس، وأبو عبدالله المسناوي[1]، وأبو عبدالله محمد بن عبدالقادر الفاسي، وولده الطيب الفاسي، والعربي بردلة[2]، وابن زكرى المغربي[3]، وأبو عبدالله القسنطيني، وأبو عبدالله بن عبدالسلام البناني، وأبو الحسن الحريشي؛ ومحمد ميارة الصغير، وأخذ عنه الشيخ التاودي، والشيخ الحايك[4]، وغيرهما، له تآليف منها «شرح المختصر» في تسعة أسفار، و«الرسالة» في أربعة أسفار وفقيه الشيخ عبدالقادر الفاسي، كان مولده سنة ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م، ظل على حاله حتى توفي بالمدينة المنورة سنة ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م[5].

---

(١) أبو عبدالله المسناوي: هو الشيخ أبوعبدالله محمد الشهير بابن أحمد بن محمد الملقب بابن محمد بن أبي بكر الدلائي مولده سنة ١٠٧٢هـ / ١٦٦١م، ووفاته سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م.
مخلوف: شجرة النور، ص٣٣٣.

(٢) العربي بردلة: هو أبو عبدالله محمد العربي بن أحمد بردلة الفاسي، إمام فاس، وفقيهها أخذ عن كبار العلماء في عصره، وتوفي سنة ١١٣٣هـ / ١٧٢٠م.
المصدر السابق: ص٣٣٢ - ٣٣٣.

(٣) ابن زكرى المغربي: أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن زكريا الإمام، أخذ عن عبدالقادر الفاسي وجسوس وغيرهما، وله مؤلفات كثيرة في الفقه، والحديث، وغير ذلك، وكانت وفاته سنة ١١٤٤هـ / ١٧٣١م.
المصدر السابق: ص٣٣٥.

(٤) الشيخ الحايك: هو الشيخ أبو زيد عبدالرحمن الحايك التطاوني، العلامة، أخذ عن الشيخ التاودي، والبناني، وجسوس، وأخذ عن الرهوني والمأمون إجلال الحسني قاضي تطوان له فتاوى وتوفي بعد سنة ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م.
السابق: ص٣٧٥.

(٥) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج١ ص٣٣، ومحمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٥٥ والزركلي: الأعلام، ج٧ ص٨.

ومن فقهاء المغاربة في المدينة المنورة أيضًا الشيخ نور الدين السَّقاط المتوفى سنة ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م، أخذ الفقه عن الشيخ محمد الزرقاني، والشيخ محمد الأمير[1]، وعلى الشيخ محمد القسنطيني رسالة ابن أبي زيد برواق المغاربة بالقاهرة، رحل إلى الحجاز فحج وزار المدينة المنورة، ثم عاد بعد المجاورة إلى مصر، وتوفي أواخر جمادى الأولى سنة ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م، ودفن بالزاوية بالقرب من الفحامين[2].

ومن هؤلاء المغاربة الذين عملوا بالفقه في المدينة المنورة الشيخ عبدالله بن محمد بن الحسن الجشتيمي فقيه مغربي، سوسي، كان يعمل في النسخ، وصنف كتبًا كثيرة، رحل إلى الحجاز، وهناك صنف «مناسك الحج» و«مختصر نسيم الرياض للخفاجي» في مجلدين، وكان يدرس كثيرًا وتوفي في الحجاز سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م[3].

ومنهم أيضًا الشيخ عبدالرحمن بن جاد الله البناني المغربي أحد فقهاء المالكية أصولي قدم مصر، وجاور بالأزهر، ثم رحل إلى الحجاز فجاور بالمدينة وصنف حاشية على شرح المحلي في الأصول، وكانت وفاته سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م[4].

---

(١) الشيخ محمد الأمير: هو الشيخ محمد الأمير المالكي السنباوي الأزهري، محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر بن عبدالعزيز، أخذ عن كبار العلماء في الأزهر، توفي في ذي القعدة سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م وله مؤلفات مهمة في الفقه المالكي.
مخلوف: شجرة النور، ص٣٦٣.

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص ص ٣٨٣ - ٣٨٤. والمرادي: سلك الدرر، ج٣ ص٢٢٩، ومخلوف: شجرة النور، ص٣٤٠ والزركلي: الأعلام، ج٥ ص١٦.

(٣) الزركلي: الأعلام، ج٤ ص١٣٠.

(٤) ظافر: اليواقيت الثمينة، ص١٤٧، الزركلي: الأعلام، ج٣ ص٣٠٢.

ومنهم محمد بن محمد المغربي المتوفى سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م، أحد الفقهاء البارزين في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، ولم يذكر المؤرخون له مصنفات[1] على الرغم من تأكيدهم على جهوده الفقهية[2]، فقال صاحب تراجم أعيان المدينة: «وقرأ أوائل كتب الفقه بعد حفظها غيبًا وهو ابن اثنتى عشرة سنة[3]»وهو ما يؤكد اشتغاله بهذا العلم.

ومن الفقهاء المغاربة في المدينة المنورة الشيخ نور الدين أبو الحسن علي اللومي الصفاقسي الإمام المتفنن، أخذ عن الشيخ عبدالله السوسي، ورحل إلى مصر، وأخذ عن الشيخ البليدي، والملوي، والصعيدي[4]، وأحمد الدمنهوري[5]، والشيخ العمروسي شارح «مختصر خليل»، ورحل إلى الحجاز، وحج وزار ودرس بالمسجد النبوي الشريف «مختصر خليل» وأخذ عنه الشيخ مقديش[6]،

---

(١) مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٦٥.

(٢) ابن البيطار: حلية البشر، ج٣ ص ١٢٤٠.

(٣) مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٦٥.

(٤) الشيخ الصعيدي: هو علي بن أحمد الصعيدي شيخ مشايخ الإسلام، مولده ببني عدي سنة ١١١٢هـ / ١٧٠٠م، رحل إلى الأزهر، وأخذ عن كبار علمائه وكان أحد الفقهاء المالكية، وأخذ موقفًا من المطاوعة إحدى فرق الصوفية، وله مؤلفات عديدة، وتوفي سنة ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م.
محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٤١ – ٣٤٢.

(٥) الشيخ أحمد الدمنهوري: هو أحمد بن عبد المنعم بن صيام الدمنهوري. كان أحد العلماء البارزين تولى مشيخة الأزهر، كان من أصحاب الثقافة الموسوعية فكان علمه بعيدًا عن المذهبيات والتعصب وله في علم الحساب والطب وغيرها.
الجبرتي: عجائب الآثار، جـ٣ ص ١٧٠.

(٦) الشيخ مقديش: هو الإمام الشيخ أبو الثناء محمود مقديش، الفقيه، المتكلم، الورع، قرأ المختصر على الشيخ أحمد الصادق الطرابلسي، وغيره يعد من كبار العلماء، له مؤلفات كثيرة توفي سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م.
السابق: ص٣٦٦.

وهو عمدته، والشيخ الطيب الشرقي[١]، والشيخ محمود الزواوي، ومحمد المصمودي، وعاد إلى وطنه وتوفي سنة ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م[٢].

ومن المغاربة في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي كذلك الشيخ عبدالملك بن محمد المغربي توفي في نهاية هذا القرن، ومن مصنفاته الفقهية رسالة أسماها: «إرشاد المريد السالك إلى مَنْ يُقتدى به في المسجد المحمدي على مذهب الإمام مالك» قرظها الخرشي، والزرقاني والشبراخيتي وغيرهم[٣].

ومن المغاربة في المدينة المنورة الذين اشتهروا بالفقه المالكي الشيخ العربي ابن أحمد بن محمد التاودي بن سودة المري الفاسي أبو حامد فقيه المالكية، له مشاركة في الأدب، الفاسي الأصل من مصنفاته الفقهية: «فتح الملك الجليل في حلِّ مفصل فرائض خليل» وشرح على الموطأ لم يكمله، كانت وفاته بعد عودته من الحجاز في فاس سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م[٤].

---

(١) الطيب الشرقي: هو الشيخ أبو عبدالله محمد الطيب بن محمد محمد بن الولي عبدالكافي فقيه أريب، نبيه، مولده في بلاد المغرب توفي سنة ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م.
السابق: ص٣٧٠.

(٢) السابق: ص ٣٦٤.

(٣) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص١٧٧.

(٤) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج١ ص١٢٣، ومخلوف: شجرة النور، ٣٧٧، والزركلي: الأعلام، ج٤ ص٢٢٣.

الفصل الخامس

العلوم غير الشرعية

أولاً : العلوم العربية

ثانيًا : العلوم العقلية

ثالثًا : العلوم الطبيعية

رابعًا : العلوم الاجتماعية

والعربية في عرف حملة الشريعة: ما حفظ من كلام العرب الخلص، وما نقل عنهم من الألفاظ الدالة على المعاني، أما تقسيمها على أنها أصوات يستكلم بها فذلك غير مراد؛ لأن المراد هنا تعريف اللغة العربية لا مطلق اللغة، والهدف من دراسة علوم العربية خدمة القرآن الكريم، والسنة الشريفة؛ لذا فهي من علوم الوسائل وليست من علوم الغايات وهي التي توصل إلى معرفة علوم الشريعة من فقه، وتفسير، وحديث، وأصول الدين(١).

وتنقسم العلوم العربية إلى علوم القواعد، وعلوم الذوق كما سيتضح من العرض التالي:

(أ) علوم القواعد:

وتتمثل في اللغة والنحو والصرف، أما النوع الآخر فيتمثل: في الأدب والعروض والبلاغة، وسوف نعرض هنا لهذه الفروع حسبما قام بها المغاربة في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

وقام المغاربة في الميدان الأول بدراسة القواعد النحوية(٢)، والاختلافات التي دارت في بعض مسائلها المهمة(٣)، ومنها على سبيل المثال مسوغات الابتداء بالنكرة(٤)، وهو ما يؤكد تمكن المغاربة من فنونهم العلمية في هذا الميدان، واهتموا بمؤلفات المصريين وغيرهم حول الاشتقاق، والتداخل، والفصيح، والضعيف(٥) وغير ذلك مما سوف نعرض له بالتفصيل عند الحديث عن أشهر

---

(١) عبدالرءوف المناوي: شرح القاموس، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٣١، لغة تيمور ورقات ١ – ٢.

(٢) محمد مخلوف: شجرة النور، ص ٣٢٣.

(٣) الزركلي: الأعلام، ج١ ص٢٤٠.

(٤) المرادي: سلك الدرر، ج٤ ص١٦.

(٥) البغدادي: هدية العارفين، ج٢ ص٣٣.

العلماء ومصنفاتهم.

وبرع عدد كبير من علماء اللغة والنحو والصرف المغاربة الذين عاشوا في المدينة المنورة، أو جاوروا فيها، وقدموا إسهامات مهمة في هذا الشأن كانت لهم بها في المدينة المنورة الغلبة على من سواهم سوى المصريين.

ومن أشهر علماء المغاربة الذين زاروا المدينة المنورة الشيخ الفوراتي المتوفى سنة ١١١٠هـ / ١٦٨٩م، ومن مصنفاته «كتاب في النحو»[١].

وكذلك فإن من علماء اللغة المغاربة الذين رحلوا إلى الحجاز وزاروا المدينة المنورة الشيخ أحمد الهشتوكي المتوفى سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م، من مصنفاته في النحو واللغة كتابان أسماهم «التحفة» مبسوط ومختصر، وله أيضًا «كتاب الدرة النفيسة السنية في بعض المسائل النحوية» ذكر فيه بعض من اجتمع في طريقه وأسئلة سئل عنها[٢].

ومن النحاة المغاربة الذين عاشوا في المدينة المنورة الشيخ محمد بن محمد السوداني، أبو عبدالله فقيه نحوي، له اشتغال بعلم الحروف، والأوفاق، زار بلادًا كثيرة، ورحل إلى الحجاز للحج، وألف كتبًا كثيرة في مجالات شتى ومن كتبه في النحو واللغة «بلوغ الأرب من كلام العرب» كانت وفاته في القاهرة سنة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م[٣].

ومن علماء المغرب الذين اشتهروا بعلم النحو أيضًا الشيخ محمد بن إبراهيم البري المدني أبو طاهر، نحوي حنفي، ولد بقلم وتوفي في المدينة المنورة، وأصله من تونس في بلاد المغرب، وصنف رسائل في النحو منها «مسوغات

---

(١) مخلوف: شجرة النور، سبق ذكره، ص٣٢٣، والزركلي: الأعلام، ج٤ ص٢٧.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج١ ص٢٤٠.

(٣) مخلوف: شجرة النور، ص٣٣٧، والزركلي: الأعلام، ج٧ ص٦٧.

الابتداء بالنكرة» توفي سنة ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤م ودفن بالبقيع[1].

ومن أبرز علماء النحو واللغة المغاربة في المدينة المنورة بل وفي العالم الإسلامي الشيخ محمد بن الطيب المغربي بن محمد بن محمد بن موسى الشرفي الفاسي المالكي الشهير بابن الطيب نزيل المدينة المنورة الشيخ الإمام المسند اللغوي أبوعبدالله شمس الدين ولد بفاس سنة ١١١٠هـ / ١٦٩٨م، ونشأ بها وأخذ عن جملة من العلماء منهم: والده، والشيخ محمد بن المسناوي، ومحمد بن عبدالقادر الفاسي، ومحمد بن عبدالرحمن بن عبدالقادر الفاسي، وأحمد بن علي الوجاري، ثم رحل إلى القاهرة، ودرس بالأزهر، ثم رحل إلى المدينة المنورة وبها أخذ عن الشيخ محمد أبو الطاهر بن إبراهيم الكوراني، واستجاز له والده من أبي الأسرار حسن بن علي العجيمي، والسيد عمر الباعلوى وغيرهم، عمن ينوف على مائة وثمانين شيخاً، وبرع وفضل وصار إمام أهل اللغة والعربية في وقته محققًا فاضلاً متضلعًا في كثير من العلوم، ودرس بالحرم الشريف النبوي، وانتفعت به الطلبة ورحل للروم من الطريق الشامي، ورجع منها على الطريق المصري، وأخذ عنه في الشام ومصر خلق كثير وحصل بينه وبينهم مباحث في فنون من العلم، وكانت مؤلفاته أشهر مؤلفات القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، ولا يضارعها إلا مصنفات الشيخ مرتضى الزبيدي[2] في مصر، ومن أهم تلك المؤلفات «حاشية على القاموس» و«شرح نظم فصيح ثعلب» في

---

(١) المرادي: سلك الدرر، سبق ذكره، ج٤ ص١٦. الأنصاري: تحفة المحبين، ص ص ٩١ – ٩٤. الزركلي: الأعلام، ج٥ ص٣٠٤.

(٢) الشيخ مرتضى الزبيدي: هو الشيخ أبو الفيض محمد بن مرتضى الزبيدي اليمني الهندي العالم اللغوي توفي في مصر سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م.

الجبرتي: عجائب الآثار، ج٢ ص١٠٣ – ١٠٤، وعبدالله درويش: المعاجم العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ص ١٠٧ – ١٠٨.

مجلدين و«شرح على كفاية المتحفظ» و«شرح كافية ابن الحاجب» و«شرح شواهد الكشاف»[١] و«حاشية على المطول» بالإضافة إلى مصنفات في فنون شتى، وسنتعرض لها في مكانها، توفي الشيخ محمد الطيب المغربي المتوفى سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م ودفن بالبقيع[٢].

ومن المغاربة الذين رحلوا إلى المدينة المنورة وعاش فيها: الخطيب عبدالله ابن إبراهيم البري المتوفى سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦١م، ومن مؤلفاته: «حاشية على شرح التسهيل وشرح كتاب النحو[٣] لابن عقيل»[٤].

ومن المغاربة - في المدينة المنورة - الذين قاموا بأمر علوم اللغة أيضًا الشيخ أحمد بن عبدالعزيز بن رشيد بن محمد الهلالي السجلماسي أبوالعباس من ذرية أبي إسحاق بن هلال، فقيه مالكي من أعيان العلماء، له نظم وعلم بالحديث، اشتهر بالورع والزهد، مولده في سجلماسة، وتوفي بمدغرة في تافيلالت حج مرتين، وأخذ عن علماء الحجاز ومصر، وألف كتابًا عن رحلته من كتبه: «إضاءة

---

(١) الكشاف: كتاب في التفسير للزمخشري، وهو مطبوع في مكتبة مصر لصاحبها عبدالحميد جودة السحار بتحقيق يوسف الحمادي.

(٢) المرادي: سلك الدرر، ج٤ ص٩١، والجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص٢٩٨، وإسماعيل بغدادي: هدية العارفين، ج٢ ص٣٣١.

(٣) المرادي: سلك الدرر، ج٣ ص٨٥، ومجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٣٨.

(٤) ابن عقيل: عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمود بن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين القرشي المصري المولد، النحوي، الشافعي، مولده سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م ووفاته ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م.

ابن العماد: الحنبلي أبوالفلاح بن عبدالحي شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، القاهرة، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٢م، ج٦ ص٢١٤، والشوكاني: البدر الطالع ممن جاء بعد القرن السابع جزءان، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ج١ ص٣٨٦، والبغدادي: هدية العارفين، ج١ ص٤٦٧.

الأدموس ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس» طبع و«منح القدوس في شرح خطبة القاموس» وله مؤلفات أخرى تأتي في بابها حتى توفي سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦١م[١].

ومن المغاربة الذين قاموا بنشر علوم اللغة في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي الشيخ العربي التاودي المتوفى سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م ومن مصنفاته في هذا الميدان «حاشية على شرح المكودي[٢] في النحو» وهو شرح الألفية[٣] لابن هشام.

(ب) علوم الذوق:

ونعني بها البلاغة والعروض والأدب وينبغي أن نعطي لهذه العلوم تعريفًا موجزًا، ثم نعرض لأبرز الجهود وأهم المصنفات في هذا الميدان الواسع.

فأما البلاغة فهي: «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته»[٤]، والهدف منها: فهم إعجاز القرآن ومحاولة الوصول إلى فهم إعجازه[٥]، والعروض والقوافي علم دارت عليه التعريفات كلها حول تعريف الشيخ زكريا الأنصاري

---

(١) مخلوف: شجرة النور، سبق ذكره، ص٣٥٥، والزركلي: الأعلام، سبق ذكره، ج١ ص١٥١.

(٢) المكودي: هو أبوالعباس أحمد المكودي من بيت المكودي بفاس الشهير بالعلم والفضل أخذ عن علماء فاس مثل الشيخ أحمد بن مبارك وغيره، وتصدر للتدريس والإفتاء وأخذ عنه مقديش، ومحمد بيرم شيخ الإسلام وتوفي سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م.
مخلوف: شجرة النور، ص٣٤٦.

(٣) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج١ ص١٢٣، ومخلوف: شجرة النور، ص٣٧٧ والزركلي: الأعلام، ج٤ ص٢٢٣.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني: كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق العلامة محمود شاكر، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ص ٥ – ٧.

(٥) حمزة الدمرداش: نشأة الفنون البلاغية، مطبعة لطفي، القاهرة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص٧.

المتوفى سنة ٩٢٦هـ / ١٥١٩م[1] بأنه: «علم بأصول يعرف به صحيح أوزن الشعر وفاسدها»[2]، والهدف من هذا العلم هو: معرفة كيفية الاحتراز عن الخطأ في القافية، والتعرف على الفرق بين الأوزان الصحيحة، والفاسدة في النظم[3].

وأما الأدب فلا موضع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، والحكم عليه بالإجادة في المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناهجهم[4].

ولقد شارك المغاربة في البلاغة والعروض والأدب مشاركة لا بأس بها، فأما العروض والبلاغة فقد كانت هناك بعض المؤلفات وشروح على مؤلفات السابقين إلا أنها كانت قليلة بالفعل، بخلاف الأدب الذي ظهر لهم فيه في المدينة، ونعطي بعض النماذج التي توضح أنهم كانوا فيه على درجة لا بأس بها، فتحدثوا عن الأغراض الشعرية التي تخص المدينة المنورة، والمقصود بها المدائح النبوية ومن الأمثلة على ذلك: قول أحمد المدني المغربي:

بشراك يا عين هذا منتهى الأمل

وذا الجود الذي بالمحرمات حلي[5].

---

(١) زكريا الأنصاري: هو الشيخ زين الدين الأنصاري السنيكي من الشرقية، مولده سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م ووفاته سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م يعد من أهم علماء مصر في العصر المملوكي ومطلع العصر العثماني، وتولى قاضي القضاة في دولة المماليك.
محمد فهيم: دور مصر في الحياة العلمية.

(٢) ابن الأكفاني: إرشاد القاصد، إلى أسنى المقاصد مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٦ مكتبات، ورقة ٧١.

(٣) طاشكبرى زادة: مفتاح السعادة، ج٢ ص ص ٢١٤ - ٢١٩.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق علي عبدالواحد وافي، ٣ مجلدات، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ج٣ ص١٣٧٧.

(٥) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص٢٤.

ومن الأغراض في شعر المغاربة في المدينة المنورة كذلك: المواعظ والحكم ومن ذلك يقول الشيخ عبدالقادر شقرون في هذا الغرض:

ولا تخف أبدًا من سوء عاقبة فليس يعلم من بالسوء قد قصدك
فاشكر صنيع الذي أولاك مكرمة تنل رضاه وتبلغ بالرضا رشدك[١]

ومنها كذلك قول ابن الطيب المغربي:

واجعل بضاعتك التقى مع من أسرّ ومن جهر
فإذا اتقيت الله فز ت بكل كنز مدخر[٢]

أما أشهر المنظومات فكانت في العلوم المختلفة ومن أهمها في علوم الشريعة مثل أرجوزة ابن عدون المتوفى سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م في بضعة آلاف بيت[٣].

كذلك قام المغاربة في المدينة بالتأليف المنظوم في الفقه ومن أهم تلك المنظومات منظومة الشيخ الفوراني في مناسك الحج[٤] كذلك قام الهشتوكي المتوفى سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م بعمل منظومة في تحريم الدخان أسماها «اللؤلؤ والمرجان» في تحريم الدخان[٥].

ومن المنظومات كذلك منظومات في علم التصوف ومنها: منظومة الشيخ الدرعي المتوفي سنة ١١٢٢هـ / ١٧١٠م في التوسل[٦]، كذلك قام الشيخ حمدون السلمي في نظم كتاب الحكم لابن عطاء السكندري[٧]، ومن المنظومات في

---

(١) المصدر السابق: ص١٥٨.
(٢) المرادي: سلك الدرر، ج٤ ص ص ١٠٧ – ١٠٨.
(٣) الزركلي: الأعلام، ج٨ ص ص ٢٤١ – ٢٤٢.
(٤) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٢٣.
(٥) الزركلي: الأعلام، ج١ ص٢٤٠.
(٦) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص ص ٥٣٨ – ٥٣٩.
(٧) محمد ظافر الأزهري: اليواقيت الثمينة، ص١٠٧.

المنطق أرجوزه لحمدون السلمي.

أما التاريخ فكان أكثر العلوم التي نالت اهتمام المغاربة، وانشأوا الأراجيز والمنظومات، ولعل من أهمها للدلائي المتوفى سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٨م الذي ألف «درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان» في أنساب الأشراف[١]، ومنها أيضًا رحلة الشيخ المنالي المتوفى سنة ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م الذي صنفها بهذه الطريقة وهي رحلة إلى الحج[٢]، وأخيرًا كانت منظومة الشيخ الهلالي في وفيات جماعة من الأعيان[٣].

وهو ما يؤكد على أن قريحتهم كانت سيالة ليس في الشعر المسترسل حسب وإنما في هذه الأراجيز أيضًا.

وأما العروض والبلاغة فقد ظهرت بعض المصنفات فيهما وأما أهم المصنفات العروضية كتاب «كشف الرموز في شرح القصيدة الخزرجية»[٤]. كذلك ألف الشيخ المنالي كتابًا في العروض[٥]، كما قام الشيخ علي التونسي المتوفى سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م بتأليف رسالة في العروض هي شرح على رسالة راغب باشا الوزير، وغير ذلك من المصنفات[٦].

وأما البلاغة فلم يظهر من المصنفات المغربية سوى كتاب تقريرات على «مختصر السعد» في البلاغة للشيخ أبو عبدالله محمد التونسي المتوفى سنة ١١٠٨هـ /١٦٩٦م[٧]. ويرجع الإقلال من التصنيف في هذه المجالات - فيما

(١) الزركلي: الأعلام، ج٧ ص٦٦.
(٢) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٥٣.
(٣) المصدر السابق: ص٣٥٥.
(٤) الزركلي: الأعلام، ج١ ص٢٤٠.
(٥) السابق: ج٤ ص١٤٩.
(٦) الكتاني: فهرس الفهارس، جـ٢ ص ص ٨٥ - ٨٧.
(٧) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣١٩.

يرى الباحث - على الرغم من وجودها في بلاد المغرب أن الذين يرحلون إلى الحجاز كانوا من علماء العلوم الإسلامية دون العلوم الأخرى.

وعن أشهر المغاربة في المدينة المنورة الذين برعوا في الأدب وفروعه الشيخ عبدالعزى الفوراتي المتوفى سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م[١]، ومنهم أيضًا محمد الحجيج التونسي المتوفى سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م، ومن أهم مصنفاته كانت في البلاغة تقريرات على مختصر السعد[٢]، ومن علماء هذا الميدان المغاربة في المدينة المنورة الشيخ محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الرافعي الأندلسي التطواني متأدب له "ديوان شعر" وبعض مصنفات أخرى، وكانت وفاته بعد سنة ١١٠٩هـ / ١٦٩٨م[٣].

ومن هؤلاء المغاربة الذين اشتهروا بالأدب الشيخ أبوالعباس الدرعي المتوفي سنة ١١٢٢هـ / ١٧١٠م وله منظومة أدبية في التوسل[٤].

ومن الأدباء المغاربة في المدينة المنورة الأديب عبدالله بن عبدالسلام بن أحمد ابن علي بن أحمد جسوس الفاسي الفصيح البارع قال عنه صاحب السلوة: «كانت له سجية في الشعر جيدة وأدب وفصاحة وبلاغة ومشاركة في عدة فنون ومن شعره.

صاحب ذوي الفضل تسعد من كرامتهم ... أخدمهمُ صادقًا وأصدقهم خبرًا
كم صحبة ألحقت من شؤمها ضررًا ... وصحبة طوقت من يمنها دررًا
وشاهد كلب أهل الكهف مع صنعة ... من أجل صحبتهم في الوحي قدا ذكرا

---

(١) السابق: ص ٣٢٣، والزركلي: الأعلام، ج٤ ص٢٧.

(٢) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣١٩.

(٣) الزركلي: الأعلام، ج٦ ص٢٩٥.

(٤) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص٥٣٨.

وتوفي الشاعر سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م[١].

ومن هؤلاء الشعراء - كذلك - الشيخ أحمد الهشتوكي المتوفى سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م، وله «كشف الرموز في شرح القصيدة الخزرجية» في العروض[٢].

ومنهم كذلك الشيخ محمد الدلائي المتوفى سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٩م، ومن مصنفاته في هذا المجال «درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان» أرجوزة في أنساب أشراف المغرب[٣].

ومن الشعراء البارزين الذين عاشوا أغلب حياتهم في المدينة المنورة الشيخ محمد الدقاق أبو عبدالله شمس الدين، قدم من بلدته فاس، وأخذ بها عن العلامة عبدالرحمن ابن شيخ الشيوخ عبدالقادر الفاسي وغيره، وصار له الفضل التام مع السلوك لطريق السادة الصوفية أهل النقض والإبرام، ودرس بالحرم الشريف النبوي، وانتفع به خلق كثيرون، وكان هماماً فاضلاً عليه السكينة والوقار، ملازمًا للدروس بالحرم الشريف لا يشتغل بغيرها، توفي في المدينة المنورة ودفن بالبقيع - رحمه الله تعالى - ومن شعره[٤]:

أنا المحب لكم طول المدا أبدًا   أنا الوفي لكم بالعهد والذمم
أنا الذي غمرت قلبي محبتكم   سحّت سحائبها بوابل الديم
أنا الذي بعيون الود أرجوكم   وبعت روحي لكم راضٍ بلا قسم
أنا الذي بوفاء العهد متسم   والصدق من سيرتي والصبر من شيمي[٥]

---

(١) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج١ ص٢٤٠.

(٣) إسماعيل بغدادي: هدية العارفين، ج٢ ص٣٢٠، والزركلي: الأعلام، ج٧ ص٦٦.

(٤) مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٧٧.

(٥) المرادي: سلك الدرر، ج٤ ص ص ١٣٥ - ١٣٦.

ومن الشعراء المغاربة في المدينة المنورة الشيخ الحسن المعداني الفقيه، وكانت غالب أشعاره في القضايا العلمية وخاصة الموضوعات الفقهية، ونعطي هنا مثالاً لبعض مؤلفاته الأدبية وهي أرجوزة في الشهادة:

شهادة قد منعت من شاهد لمن ترى خذ وصفه واعتمد
أصوله وفروعه مع زوجهم بلا تقيد لدى من قد منهم
وزوجة ووالد لزوجه أو ولد له فخذ وانتبه

وقد سبق أن تحدثنا في الفقه[1].

ومن الشعراء المغاربة في المدينة المنورة الشيخ محمد الطيب المغربي المتوفى سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م ومن أشعاره في الوعظ والإرشاد قوله:

واجعل بضاعتك التقى مع من أسر ومن جهر
فإذا اتقيت الله فز ت بكل كنز مدخر[2]

ومنهم الشيخ الهلالي المتوفى سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦١م وله منظومة في وفيات جماعة من الأعلام[3].

ومن الأدباء والشعراء كذلك الشيخ الجشتيمي المتوفى سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م وله مصنف مهم في النثر الأدبي هو "مختصر نسيم الرياض" للخفاجي اختصره في مجلدين وكان يدرسه كثيرًا وهو في الحجاز[4].

كذلك من شعراء المغرب في المدينة الشيخ عبدالقادر بن أحمد العربي بن شقرون المتوفى سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٣م.

---

(١) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص ١٠٢ - ١٠٣.
(٢) المرادي: سلك الدرر، ج٤ ص ١٠٧ - ١٠٨.
(٣) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٥٥، والزركلي: الأعلام، ج١ ص١٥١.
(٤) السابق: ج٤ ص١٣٠.

ومن شعره في المواعظ:

ولا تخف أبدًا من سوء عاقبة فليس يفلح من بالسوء قد قصدك

واشكر صنيع الذي أولاك مكرمة تنل رضاه وتبلغ بالرضى رشدك[١]

ومنهم ابن عدّون المتوفى بعد سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م وله أرجوزه في الشريعة والحقيقة وأسرارها بضعة آلاف بيت في التصوف[٢]، ومن المغاربة الذين اشتغلوا بالتأليف في الأراجيز الشيخ حمدون السلمي ابن الحاج المتوفى سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م، وله منظومة في السير على نهج البردة، اشتملت على أربعة آلاف بيت وشرحها في خمسة أسفار وأرجوزة في المنطق، وأخرى في علم الكلام ومقصورة في علمي العروض والقوافي، ونظم الحكم لابن عطاء الله، ونظم مقدمة ابن حجر وشرحها كذلك حاشية على مختصر السعد في البلاغة، فكان من أبرز علماء العربية المغاربة في المدينة المنورة[٣].

وأخيرًا كان من شعراء المغاربة في المدينة المنورة الشيخ أحمد بن عبدالقادر المدني الأديب الماهر أحد خطباء المسجد النبوي الشريف مفتي الإمام مالك بها، وهو من بيت مشهود له بالعلم والتقدم في مذهب مالك، وله أشعار كثيرة منها قوله في مطلع قصيدة نبوية:

بشراك يا عين هذا منتهى الأمل وذا الجود الذي بالمحرمات حلي[٤]

(١) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص١٥٨.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج٨ ص٢٤١ – ٢٤٢.

(٣) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص١٠٧ والزركلي: الأعلام، ج٢ ص٢٧٥.

(٤) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص٢٤.

ثانيًا: العلوم العقلية:

وتتمثل في علم الكلام والمنطق والفلسفة، فأما علم الكلام فهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقاد على مذاهب السلف وأهل السنة[١]، كما يشتمل على بيان الآراء والمعتقدات التي صرح بها صاحب الشرع وإثباتها بالأدلة العقلية، وهو علم يبحث فيما يجب به الإيمان وفيما لا يضر الإيمان[٢].

وأما علم المنطق فهو علم يتعلم منه ضروب الانتقالات من أمور حاصلة في ذهن الإنسان إلى أمور متحصلة فيه من حيث اكتساب المجهولات التصويرية والتصديقية، فيعرف به الصحيح من الفاسد في حدود المعرفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات[٣].

وأما الفلسفة فهي كلمة يونانية الأصل معناها: الحكمة وكلمة (فيلسوف) معناها: محب الحكمة[٤].

ويعتبر علم الكلام هو البديل الطبيعي للعلوم العقلية اليونانية بعد أن اصطبغت

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٤٥٨.

(٢) ابن الأكفاني: إرشاد القاصد، ورقة ٣٧، ود/ عبدالمعز فضل: الحركة العلمية في محافظة قنا، في عصر المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة أجيزت في كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر، ١٩٩٧م، ص٢٥٤، وأحمد الدمنهوري شيخ الأزهر: المنح الوفية في شرح الرياض الخليفية، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٣٥، علم الكلام، ورقات ١ - ٢ -٣.

(٣) ابن الأكفاني: إرشاد القاصد، ورقة ١٧، وطاشكبري زاده: مفتاح السعادة، ج١ ص٢٧٢، حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص١٨٦٢.

(٤) د/ عبدالمنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢١٢.

موضوعاتها بالأفكار الإسلامية، فانتقلت كثير من الموضوعات الفلسفية بفضل علماء الكلام المسلمين إلى علم الكلام، وتناقشت بين العلماء والمسلمين كموضوعات إسلامية صرفة[1]، وقد اجتهد المغاربة في العلوم الثلاثة في علم الكلام والمنطق والفلسفة، غير أن الاجتهاد الأمثل بطبيعة الحال كان في علم الكلام، أما المنطق والفلسفة فقد تأثر المغاربة بآراء كبار علماء العالم الإسلامي في مختلف العصور بتحريم التأليف فيهما مما جعل المصنفات فيها قليلة، وقد اشتهر من المغاربة بعض العلماء كان لهم دور كبير فيها، ومن أبرز علماء العلوم العقلية الشيخ الفوراتي المتوفى سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م وله منظومة في التوحيد، بالإضافة إلى بعض تقاليد[2].

ومنهم أيضًا الشيخ محمد التونسي المتوفى سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م، وله حاشية على السنوسية الوسطى، وأخرى على السنوسية الكبرى فضلاً عن تقريرات على الصغرى[3].

ومن المغاربة الذين كان لهم باع في علم الكلام والمذاهب الإسلامية الشيخ نور الدين علي السفاقسي المتوفى سنة ١١١٧هـ / ١٧٠٥م، ومن مصنفاته في هذا المجال "العقيدة النورية في معتقد السادة الأشعرية" و "شرح مبلغ الطالب إلى معرفة المطالب"، و "عقيدة في التوحيد" وهي أخرى غير الأولى[4].

ومن هؤلاء كذلك الشيخ علي الحريشي المتوفى سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م

---

(١) محمد علي فهيم: دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص ص ٣٩٤ – ٣٩٦.

(٢) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٢٣، والزركلي: الأعلام، ج٤ ص٢٧.

(٣) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣١٩.

(٤) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢ ص ص ٨٥ – ٨٧، وبروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص ص ٥٠٥ – ٥٠٦.

وله شرح عقيدة السفاقسي[١].

ومن المغاربة الذين برزت جهودهم في المدينة المنورة الشيخ الهشتوكي المتوفى سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م وقد اشتهر بعلم المنطق وله فيه بعض الشروح، وله أيضًا «الفتح القدوسي على مختصر السنوسي» منطق كذلك[٢]، ومنهم كذلك الشيخ محمد زيتونة المنستيري المتوفى سنة ١١٣٨هـ / ١٧٢٦م ومن مصنفاته في المنطق «شرح السلم في علم المنطق» ورسائل في مباحث متفرقة[٣].

ومن المغاربة الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي الشيخ عبدالمجيد المنالي المتوفى سنة ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م، ومن مصنفاته تقاييد في العقيدة والمنطق وتأليف في شرح الكلام المنسوب لشيخه السوسي[٤].

كذلك قام الشيخ الحسن بن علي البوغناني الحسني الفقيه العلامة، كانت مشاركاته كبيرة في الأصول والبيان والنحو وبرع في المنطق والتوقيت ولم تعرف له مؤلفات وكانت وفاته سنة ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م[٥].

كذلك قام الشيخ الهلالي المتوفى سنة ١١٧٥ هـ / ١٧٦١م بالتأليف في المنطق وله فيه مؤلفات منها "الزواهر الأفقية"[٦]، ومن المغاربة الذين اشتهروا

---

(١) المرادي: سلك الدرر، ج٣ ص٢٠٥، والكتاني: فهرس الفهارس، ج١ ص٢٥٣، ومجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٦٣.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج١ ص٢٤٠.

(٣) محمد مخلوف: شجرة النور، والزركلي: الأعلام، ج٦ ص١٣٢.

(٤) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص ص ١٧٥ – ١٧٦.

(٥) السابق: ص١٧٦.

(٦) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٥٥. والزركلي: الأعلام، ج١ ص١٥١.

بالتصنيف في علم المنطق الشيخ خليل المغربي المتوفى سنة ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م وله شرح المقولات العشر سماه «بغية الإرادات في شرح المقولات» وكانت وفاته حين عودته من الحج في منزلة أكرى[١].

ومن المغاربة في المدينة المنورة أيضًا الشيخ محمد جسوس المتوفى سنة ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م وله في علم الكلام: «شرح توحيد المرشد المعين لابن عاشر الأندلسي»[٢].

ومن المغاربة الذين زاروا المدينة المنورة الشيخ أبو الحسن القلعي المتوفى سنة ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م من مؤلفاته في هذا الميدان تقييدات وحواشٍ نافعة مثل: «حاشية على السلم للأخضري» و«حاشية على رسالة محمد أفندي الكرماني» في علم الكلام في غاية الدقة تدل على رسوخه في علم المنطق والجدل والمعقولات و«شرح على ديباجة شرح العقيدة المسماة بأم البراهين للإمام السنوسي» وله غيرها من هذه المؤلفات[٣].

وأخيرًا كان الشيخ أحمد التنبكتي المتوفى ق ١٢ هـ / ١٨م كان من المدرسين في الحرم النبوي له: "شرح نظم المقدمة السنوسية" في علم التوحيد للشيخ الونكري»[٤] ومن مصنفاته في هذه العلوم منظومة على شرح بدء الأمالي

---

(١) المرادي: سلك الدرر، ج٢ ص١٠١، والكتاني: فهرس الفهارس، ج١ ص٢٨٠، والجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص٢٦٢.

(٢) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٥٥، والزركلي: الأعلام، ج٧، ص٨، والكتاني: سلوة الأنفاس، ج ص ٣٣.

(٣) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص٨٧، محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٤٣.

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن محمود بن أبي بكر الشهير (بغيغ) لقب له، ولكل واحد من آبائه وأجداده الونكري نسبة إلى ونكر اسم قبيلة من قبائل السودان في بلاد تنبكت من بلاد التكرور ولم نعرف سنة وفاته.
النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص٣٦٦.

سماه: «نيل المعالي شرح عقيدة بدء الأمالي»[١].

ثالثًا: العلوم الطبيعية والتجريبية:

وتتمثل في الفلك، والرياضيات، والطب، والكيمياء، وغير ذلك، وسوف تظهر من المؤلفات التي تركها المغاربة في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي الجهود التي قدمها هؤلاء المغاربة في كل هذه العلوم، مع التنويه إلى أن بعض هذه العلوم لم يؤلف فيها كتاب واحد مثل: الكيمياء أو الأحياء أو الفيزياء، وربما يرجع ذلك إلى أن العلماء المغاربة الذين استقروا في المدينة خلال مرحلة البحث كانوا في الأساس من علماء الدين المتخصصين في العلوم الإسلامية والعربية والاجتماعية دون سواها، وما وجد من علوم غيرها مثل العلوم العقلية، والطبيعية، والتجريبية، فكانت من العلوم الإضافية والإضافات التي لم تكن العلوم الأساسية في مجال تخصصات الذين رحلوا إلى المدينة من المغاربة[٢].

أما أشهر العلماء المغاربة الذين زاروا المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي في العلوم الطبيعية والتجريبية، فمنهم الشيخ أبو عبدالله محمد الحجيج المتوفى سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م وله اختصار التذكرة في الطب[٣].

ومن هؤلاء أيضًا أحمد بن صالح بن إبراهيم بن عبدالمؤمن الشاوي أصلاً الدرعي، أبوالعباس الأكتاوي، أديب عالم بالطب، نشأ في زاوية أكتاوه بدرعا في المغرب الأقصى، وله أرجوزه في الطب، وأيضًا تنبيه السائل ببعض ما هو عنه

---

(١) السابق: ص ٣٦٧.

(٢) راجع محمد فهيم: دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، الفصل السادس.

(٣) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣١٩.

سائل، وله كذلك «شفاء الأكمه في عيون الفوائد والحكمة» توفى سنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م[١].

ومن العلماء المغاربة الذين اهتموا بالعلوم التجريبية أيضًا الشيخ عبدالمجيد حيث كانت له براعة وباع طويل في علم الطب، وإن لم يذكر له المؤرخون وعلماء الأنساب شيئًا من المصنفات[٢]، ومنهم كذلك الشيخ الطبيب محمد بن يحيى الهشتكوني المغربي من السوس ذكر له صاحب الأعلام كتابًا في الطب قال: "إنه في ست وثمانين ورقة"[٣].

ومن هؤلاء العلماء كذلك الشيخ الحسن بن علي البوغناني الحسني الفقيه، كان مفتيًا له دراية بالمذهب المالكي وقام بتدريس مختصر خليل، وكان معنيًا بالتصنيف في علم الميقات والفلك وتوفي سنة ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م[٤].

ومن العلماء المغاربة الذين كان لهم باع في هذا الميدان الشيخ أحمد بن علي ابن جميل الجعفري الجزولي السوسي من ولد جعفر الطيار، ولد بالسوس واشتغل بالعلم قليلاً على علماء بلدته ثم أتى إلى مصر سنة ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م، ثم حج وزار المدينة وقرأ كثيرًا من الرياضيات مع مشاركة محمد والسيد أبوبكر ولدي الشيخ التاودي بن سودة حين وردا مع أبيهما إلى الحج، والشيخ سالم القيرواني ثم رجع إلى مصر من المدينة المنورة سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٧م وظل بها حتى توفي ثالث ربيع الأول سنة ١١٩٧هـ / ١٧٨٢م[٥].

ومنهم أيضًا الشيخ العربي بن أحمد بن محمد التاودي بن سودة المتوفى سنة

---

(١) الزركلي: الأعلام، ج١ ص١٣٨.

(٢) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص ص ١٧٥ – ١٧٦.

(٣) الزركلي: الأعلام، ج٧ ص١٤٢.

(٤) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص ١٠٢.

(٥) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١ ص٥٧١ – ٥٧٢.

١٢٢٩هـ / ١٨١٤م، ومن مصنفاته: «تحقيق الأنباء فيما يتعلق بالطاعون والوباء»(١).

رابعًا: العلوم الاجتماعية:

وتتمثل في التاريخ والرحلة إلى الحجاز، فقد اجتهد المغاربة في وصف الأماكن المقدسة والكعبة وغيرها من الآثار الإسلامية في المدينة المنورة، والذي يراجع الرحلة العياشية والناصرية والدرعية والورثيلانية وغيرها؛ يجد جهود المغاربة في هذا الميدان واضحة جلية، يمكن القول فيها: أنها لم تسبق خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي لا كمًا ولا كيفًا إذ استطاع المغاربة تصوير الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، وغيرها بصورة أقرب إلى الواقع(٢)، وهو ما لم يستطع أن يقوم به غيرهم ولا حتى المصريون من الجغرافيين والرحالة، فقد تحدث المؤرخون المغاربة في السيرة النبوية والتراجم للعلماء المعاصرين وخاصة الصوفية منهم(٣)، كذلك فقد أضافوا الكثير من المؤلفات عن الأشراف(٤)، وأضافوا بعض المؤلفات المهمة عن تاريخ الحسين ﷺ وأولاده وزوجته وغير ذلك(٥).

واشتغل المؤرخون المغاربة كذلك في أثناء التراجم في بعض الموضوعات لآبائهم، كما اتجهوا إلى اختصار مؤلفات السابقين، وذلك كما فعل الشيخ علي

---

(١) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج١ ص١٢٣، ومحمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٧٧، والزركلي: الأعلام، ج٤ ص٢٢٣.

(٢) محمد أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية، ج٢ ص ص ٣٠ – ٣٥، ٣٩ – ٤٠ وما يليها، والورثيلاني: نزهة الأنظار، الرحلة المسماة بالورثيلانية، ٥٥٠ وما بعدها.

(٣) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢ ص٣٥٣، ومحمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص٢٠٢، ومخلوف: شجرة النور، ص٣٢٣.

(٤) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢ ص٣٥٣.

(٥) الزركلي: الأعلام، ج٦ ص١٣.

الحريشي الذي اختصر «نفح الطيب» للمقري، واختصر كذلك «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني، إلى غير الموضوعات التي صنف فيها المغاربة، ومن أهم الموضوعات التي صنف فيها المغاربة كانت الرحلة إلى الحجاز وهو ما ينبغي أن نفرد له السطور التالية قبل أن نتحدث عن أشهر المغاربة من المؤرخين الذين أدوا دورهم في المدينة(١).

أصحاب الرحلات:

واشتهر المغاربة بالرحلة إلى الحجاز بوجه عام للحج إلى بيت الله الحرام في مكة ولزيارة مسجد رسول الله ﷺ ، وقد قدم الرحالة المغاربة المعلومات الوافرة عن الطريق الذي سلكوه والعديد من الأحداث المهمة عن مصر والحجاز والمدينة المنورة على نحو خاص، ولعل أشهر الرحلات المغربية إلى المدينة المنورة - ومعها مكة - «رحلة المعارج المرقية في الرحلة المشرقية»(٢) و«الرحلة الدرعية»(٣) و«الرحلة الناصرية»(٤) و«الرحلات الهشتوكية» ومنها: «هدية الملك العلام إلى بيت الله الحرام»(٥) وغيرها مما سوف نذكره في أثناء الترجمة والتعريف بأصحاب مثل هذه الرحلات.

ومن أشهر المؤرخين المغاربة في المدينة المنورة الشيخ عبدالعزيز الفوراتي المتوفى سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م، ومن مصنفاته التاريخية "اختصار سيرة الحلبي بحذف الأسانيد" وغيرها(٦).

---

(١) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص ص ١٧٥ - ١٧٦.
(٢) الزركلي: الأعلام، ج٦ ص٢٩٥.
(٣) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٣٢.
(٤) حمد الجاسر: الرحلة الناصرية ص ص ٣ - ٥.
(٥) الزركلي: الأعلام، ج١ ص٢٤٠.
(٦) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٢٣، والزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٧.

ومن المغاربة الذين اشتهروا في التاريخ والرحلات الشيخ الرافعي، وهو محمد ابن علي بن محمد بن أحمد بن علي الرافعي اللخمي الأندلسي التطواني، أبو عبدالله فقيه متأدب له في هذا الميدان "المعارج المرقية في الرحلة المشرقية" وهي رحلته للحج، وكانت وفاته بعد سنة ١١٠٩هـ / ١٦٩٨م[١].

ومن أبرز المؤرخين وأصحاب الرحلات المغاربة الذين زاروا المدينة المنورة، الشيخ عبدالسلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني المغربي الفاسي أبو محمد، نسابة مغربي يعد نسابة المغرب في عهده، مولده سنة ١٠٥٨هـ / ١٦٤٨م[٢]، وكان من جلة العلماء وأشرافهم، أخذ عنهم الشيخ عبدالقادر الفاسي، وولديه محمد وعبدالرحمن، والشيخ اليوسي، والشيخ العربي الفشتالي، والشيخ أحمد ابن الحاج، والخصاصي وغير هؤلاء، وانتفع بهم وبغيرهم، وأخذ عنه الشيخ أبوالعباس أحمد الفلالي المتوفى سنة ١١٦٥هـ / ١٧٥١م وولده الطيب[٣]، وله مؤلفات في التاريخ تزيد على الثلاثين كتابًا منها: «الدر السني في من بفاس من أهل النسب الحسيني»، و«العرف العاطر في من بفاس من أبناء الشيخ عبدالقادر» ضمن مجموع في الأحمدية بفاس، و«إغاثة اللهفان بأسانيد أولي العرفان»، و«الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف»، و«مصابيح الاقتباس في مدائح أبي العباس»، و«شرح الصدر بأهل بدر»، و«المقصد الأحمد في التعريف بشيخه أحمد» بن عبدالله معن، وتوفي سنة ١١١٠هـ / ١٦٩٨م[٤]، ومن المؤرخين

---

(١) السابق: ج٦ ص٢٩٥.

(٢) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص٢٠٢، والكتاني: فهرس الفهارس، ج١ ص١٣٢.

(٣) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٢٨.

(٤) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، ص٢٠٢، والكتاني: فهرس الفهارس، ج١ ص١٣٢، ومخلوف: شجرة النور، ص٣٢٨.

الذين رحلوا إلى المدينة المنورة والتقوا بعلمائها المغاربة والمجاورين وأهلها أبوالعباس أحمد ابن شيخ الإسلام محمد بن ناصر الدرعي، ولد في تمغروت في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م، وفي سنة ١٠٨٠هـ / ١٦٧٤م، خلف والده شيخًا للزاوية، وفي رحلاته أعاد تنظيم الطريقة الشاذلية، وتوفي سنة ١١٢٩هـ / ١٧١٧م[١]، وله الرحلة الناصرية يتناول رحلته من سجلماسة إلى طرابلس مع زيارة قصيرة إلى سكرة، ورحلته عن طريق مصر إلى مكة وعودته في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١١٢١هـ / ١٧٠٩م حتى ٥ رمضان ١١٢٢هـ / ١٧١٠م، وله غير التاريخ منظومة في التوسل[٢].

ومن أصحاب التاريخ والجغرافيا والرحلات الشيخ أحمد بن محمد الهشتوكي المتوفى سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م، ومن مؤلفاته التاريخية والجغرافية «إنارة البصائر في مناقب ابن ناصر»، و «سند صغير» ورحلة أولى وثانية وثالثة، وهي «هدية الملك العلام إلى بيت الله الحرام» بخطه[٣].

ومن هؤلاء أيضًا الشيخ أحمد بن عبدالقادر بن علي بن أحمد القادري الحسني أبو العباس، ولد في فاس سنة ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م، وتلقى حياته العلمية الأولى في بلده، ثم رحل مرتين إلى المشرق فظل بمصر سبع سنين، ثم زار الحجاز في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن مصنفاته في التاريخ «نسب الشرفاء العلميين»، و«نسمة الآس» في خمسة كراريس، عرف فيه بأحوال شيخه أبي العباس أحمد بن محمد معن الأندلسي، وتوفي في فاس سنة ١١٣٣هـ /

(١) محمد ظافر: اليواقيت الثمينة، سبق ذكره، ص٤٢، والكتاني: فهرس الفهارس، ج٢ ص٨٨، ومخلوف: شجرة النور، ص٣٣٢، والزركلي: الأعلام، ج١ ص٢٤١.

(٢) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص ص ٥٣٨ – ٥٣٩.

(٣) الزركلي: الأعلام، ج١ ص٢٤٠.

١٧٢١م[1].

ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن المسناوي بن محمد بن أبي بكر أبو عبدالله الدلائي، فقيه مالكي من علماء المغرب، مولده بالزاوية الدلائية، وإقامته ووفاته بفاس، ولي بها الإفتاء مدة، له كتب منها: «نسب الأدارسة الجوطيين» رسالة، و«نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق» رسالة، و«فوائد في التصوف»، و«رسالة في الحسين السبط وزوجته وأولاده»، و«جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبدالقادر»، و«التعريف بالشيخ أحمد اليمني». وكانت وفاته سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٤م[2].

ومنهم ابن يبورك المتوفى سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٤م، ومن مصنفاته التاريخية «كتاب في ترجمة أبي العباس بن ناصر الدرعي»[3].

ومن المغاربة المؤرخين والرحالة الذين زاروا المدينة المنورة الشيخ أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي البوني، من مصنفاته في هذا الميدان «الخصائص النبوية»، و«نظم الشمائل والرحلة الحجازية»، و«الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة»، وغير ذلك مما عدّه في مؤلف سمّاه «التعريف بما للفقير من التأليف»[4].

ومن هؤلاء كذلك الشيخ محمد بن محمد الدلائي المتوفى سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٩م، وله في هذا الميدان مؤلفات منها: «درة التيجان ولقطة اللؤلؤ

---

(١) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢ ص٣٥٣، والزركلي: الأعلام، ج١ ص ص ١٥٣ – ١٥٤.

(٢) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣ ص٤٤، ومحمد مخلوف، ص٣٣٣، والزركلي: الأعلام، ج٦ ص١٣.

(٣) الزركلي: الأعلام، ج١ ص١٦٢.

(٤) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١ ص١٦٩، محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٢٩، والزركلي: الأعلام، ج١ ص١٩٩.

والمرجان» وهي أرجوزة في أنساب أشراف المغرب، و«شرح الشفا في حقوق المصطفى»، و «فخر الثرى بسيد الورى»[١].

ومن المؤرخين البارزين في المدينة المنورة من المغاربة الشيخ علي الحرشي المتوفى سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م، ومن المصنفات المهمة له: «اختصار نفح الطيب»[٢]، و«اختصار الإصابة في تمييز الصحابة»، وله غيرها في فنون وعلوم أخرى سبق الحديث في عنها[٣].

ومنهم الشيخ أحمد بن صالح الدرعي المتوفى سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م، وله «تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية في سيرة أبيه»، و«الرحلة الشافية» وهي رحلة حجازية، و«الدرر اللامعة في السيرة الجامعة»[٤].

ومن المغاربة المؤرخين الشيخ عبدالمجيد المنالي المتوفى سنة ١١٦٣هـ / ١٧٥٠م، ومن المصنفات المهمة له في هذا المجال «بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام» ضمنه فوائد كثيرة، و«إفادة المراد بالتعريف بالشيخ ابن عباد»[٥].

ومن أصحاب الرحلات من المغاربة الذين رحلوا إلى المدينة المنورة الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن خروب المجاجي كتب في سنة ١١٦٣هـ / ١٧٥٠م رحلة من مجاجة إلى مكة[٦].

وكذلك الشيخ محمد بن محمد التاتلتي المتوفى سنة ١١٦٧هـ / ١٧٥٤م، وله

---

(١) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢ ص٨.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٣) المرادي: سلك الدرر، ج٣ ص ٢٠٥، والكتاني: فهرس الفهارس، ج١ ص٢٥٣.

(٤) الزركلي: الأعلام، ج١ ص ص ١٣٨.

(٥) عبدالمجيد المنالي: بلوغ المرام، ص ص

(٦) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص٥٤٠.

فهرست صغير في (٢٦) صفحة، ذكر فيه شيوخه وبعض شيوخهم رآه المختار السوسي مع علي بن الطاهر المحجوبي من علماء سوس وقال: طرت به فرحًا[١].

ومنهم أيضًا الشيخ أحمد بن عبدالعزيز الهلالي المتوفى سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦١م، وله «فهرسة في أشياخه ومروياته ومنطوقه في وفيات جماعة من الأعلام»[٢].

ومن هؤلاء الشيخ علي السقاط وهو علي بن محمد بن علي العربي السقاط الفقيه المالكي من أهل فاس نزل مصر وجاور بمكة، وله «ثبت» في ٣٢ ورقة[٣].

ومن هؤلاء المؤرخين الشيخ حسين بن أحمد الورثيلاني المتوفى سنة ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م، وله «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» وصف فيه رحلته إلى الحج سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م[٤].

وأخيرًا كان ابن حمدش الشيخ عبدالرازق بن محمد المتوفى بعد سنة ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م، وله في التاريخ رحلة زار فيها الجزيرة العربية، وحج وزار المدينة المنورة ثم رحل إلى بلاد العجم والترك، وصنف كتبًا أخرى منها: «لسان المقال في النسب عن النسب والحسب والآل وغيرها»[٥].

ومن هؤلاء أحمد بن عمار بن عبدالرحمن بن عمار الجزائري عالم ومؤرخ له اشتغال بالحديث والتاريخ من أهل الجزائر، رحل إلى الحجاز سنة ١١٧٢هـ / ١٧٥٩م وجاور بمكة وعاش في المدينة بقية حياته وتوفي بعد سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م، ومن مصنفاته: «نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب»، و«لواء

---

(١) الزركلي: الأعلام، ج٧ ص٦٧.

(٢) محمد مخلوف: شجرة النور، ص٣٥٥.

(٣) المرادي: سلك الدرر، ج٣ ص٢٢٩ والزركلي: الأعلام ج٥ ص١٦.

(٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩ ص٥٤١.

(٥) الزركلي: الأعلام، ج٣ ص٣٥٢.

النصر في علماء العصر» على نهج قلائد العقيان[١].

ومن هؤلاء أيضًا محمد بن علي بن محمد الحسني المنالي أبو عبدالله المعروف بالزبادي في أهل الوعظ، مولده في منالة بفاس له: «سلوك الطريق الوارفة في الشيخ والمريد، و«الزاوية» ترجم فيه لكثير من العلماء والصلحاء، و«دوحة البستان في مناقب علي بن عبدالرحمن الدرعي القادلي»، و«فهرست» قال ابن سودة: وقفت عليها» وكانت وفاته سنة ١٢٠٩هـ / ١٧٩٤م[٢].

ومن هؤلاء المؤرخين والجغرافيين المغاربة الذين زاروا المدينة المنورة محمد ابن عبدالوهاب أبو عبدالله وزير رحالة من الكتاب من أهل مكناسة، كان سفيرًا إلى أسبانية، ومالطة، ونابولي، والدولة العثمانية، وامبراطور النمسا، ومن كتبه «الإكسير في الرحلة إلى أسبانيا» و«البدر السافر» رحلته إلى مالطة، و«إحراز المعلى»، و«الرقيب» سفارته إلى الحج خلالها، وكانت وفاته في مراكش سنة ١٢١٣هـ / ١٧٩٩م[٣].

وأخيرًا كان الشيخ أحمد الفاسي وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالقادر أبوالعباس الفهري الفاسي من فقهاء المغرب الأقصى، مولده ووفاته بفاس، له «رحلة حجازية» تحدث فيها عن سفره إلى المشرق وعودته إلى فاس آخر سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م، وتوفي في فاس سنة ١٢١٤هـ / ١٧٩٩[٤].

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١ ص٨٢، ومجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٢٢ والزركلي: الأعلام، ج١ ص١٨٥.

(٢) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢ ص١٨٨، والزركلي: الأعلام، ج٦ ص٢٩٧.

(٣) الزركلي: الأعلام، ج٦ ص ص ٢٥٧ – ٢٥٨.

(٤) السابق: ج١ ص ٢٤٤.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

وبعد...،

فبعد هذا العرض يتضح التواصل الكبير بين مختلف أبناء الأقاليم في المدينـــة المنورة الذين يمثل المغاربة أحدهم، حيث قام المغاربة بدور كبير فـــي الأحـــداث السياسية والنواحي الإدارية فلم يكونوا بمعزل عنها مكنهم من ذلك اعتبارهم من أبرز رجال المدينة المنورة خلال فترة البحث، وساعدهم أيضًا علـــى ذلـــك قـــدم وجودهم في المدينة المنورة واستقرارهم فيها واتخاذها موطنًا لهم من قبل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وذلك فضلاً عـــن أســـباب أخـــرى بسطناها في هذا البحث،

كذلك تتضح مشاركة المغاربة في المناصب الإدارية في المدينة المنورة حيـــث وصلوا إلى ووظائف كبيرة سواءً فيما يخص أمانة بندر ينبع أو القضاء أو غيرها من الوظائف الكبيرة في المدينة حينذاك، فضلاً عن مشاركتهم كأفراد في مختلـــف الفرق العسكرية فضلاً عن مواقفهم السياسية الكبيرة إزاء أحداثها العظام.

وقد شارك كافة أبناء المغاربة في مجمل الأحداث من الأعيـــان مثـــل عـــذيب القبيطي أو العلماء مثل محمد بن سليمان المغربي وغيرهم.

كذلك كان للمغاربة في مجمل الأحداث لاسيما فيما يحدث بين الأشـــراف مـــن صراعات، وكانت لهم كلمة مسموعة في هذا الصراع وتمكنوا من فـــض العديـــد منها بفضل علاقاتهم الكبيرة بكل الأطراف وهو ما جعلهم يقفون موقفًا كبيرًا بعد قضية الشيخ تاج الدين القلعي المغربي بعد موقف شيخ الحرم منه.

ولم يكن دور المغاربة قاصرًا على الأحداث السياسية في المدينة بل خرج عنها

حيث قاموا بدور رائد في صد الحملة الفرنسية عن مصر بفضل الشيخ الجيلاني، ويؤكد على عقلية المغاربة السياسية والدينية حينذاك وإيمانهم بالمجتمع المسلم في مواجهة غير المسلمين بلا تفكير في القوميات أو النزعات المتعصبة التي نراها اليوم وحبذا لو أفاد المسلمون اليوم من هذه الأفكار الراشدة.

وأبرز البحث دور المغاربة الاقتصادي ووضح إلى أي مدى شارك المغاربة في الزراعة والتجارة والصناعة والحرف ومشاركتهم في نظام الالتزام، على أن البحث قد أبرز أهم تلك الجهود الاقتصادية والتي تمثلت في الأنشطة التجارية وتمثلت في التبادل التجاري؛ حيث قام المغاربة بدور مهم ومؤثر في نقل مختلف أنواع التجارات بين بلاد العالم الإسلامي من الهند شرقًا حتى بلاد المغرب غربًا، وكان دورهم فعالاً ومشاركتهم وإفادتهم التجارية لصالح المسلمين وهو ما يؤكد جهودهم الإسلامية وفكرهم الإسلامي آنئذ.

وأوضح البحث وضعهم وتنظيمهم الاجتماعي ووظائفهم والمناصب الاجتماعية التي تقلدوها، وأهميتهم في التركيب الاجتماعي، ولا شك أن أبرز ما قدمه المغاربة من النواحي الاجتماعية كان العادات والتقاليد التي انفردوا بها - عن غيرهم من أبناء المدينة المنورة خلال هذا القرن - مثل الأزياء والطعام والشراب وإن شاركوا أهل المدينة المنورة في كثير من العادات والتقاليد.

وأظهر البحث أيضًا أهمية المغاربة في خصوصياتهم في مجال الأوقاف إذ أنفقوا على أهالي الحرم النبوي الشريف وخصائصه ومصالحه مما جعل لهم وجودًا قويًا في المدينة المنورة خلال ذلك القرن.

على أن أبرز ما أظهره البحث في النواحي الاجتماعية هي تلك العلاقات الاجتماعية القوية بين المغاربة والمجاورين وأهالي المدينة، وتمثلت في المصاهرات الكبيرة بين المغاربة ومن سواهم في المدينة من مصريين ومدنيين وأتراك وهنود ومن أهالي الجزيرة العربية ذاتها مما ساعد على توطيد دعائم

وجودهم في المدينة المنورة حينذاك مما يعطي تصورًا واضحًا لما يمكن أن يكون عليه وضع أبناء القوميات الإسلامية إذا ارتحلوا إلى أقاليم أخرى أو بمعنى أوضح تعطي تصورًا عن التكافل الإسلامي والاجتماعي والتواصل بين فيما بين المسلمين وبعضهم البعض بدلاً من التواصل مع سواهم.

ومن ناحية أخرى أبرز البحث أهم ما قدمه المغاربة في المدينة المنورة على الإطلاق ألا وهو ميدان الجهود العلمية فدرّسوا في الحرم النبوي، وأنشأوا الحلقات العلمية فيه، وفي بعض المدارس، وقدموا جهودًا بارزة في علوم القرآن وعلوم السنة، وغيرها من العلوم العربية، وما سواها.

وكانت بلا شك هي أبرز الجهود إذ ظهر منهم القراء، والمحدثون، والفقهاء المالكية، وعلماء العربية وغيرهم ممن برعوا في علوم أخرى، إذ كانوا من أبرز العلماء فيها، وشاركوا المصريين والشوام والسنود وكونوا مدرسة علمية كبيرة الشأن في المدينة المنورة، وألفوا كمًا كبيرًا مما ذكرناه تفصيلاً في هذا العمل.

وبعد فهذه صورة مهمة للمغاربة في المدينة المنورة كواحدة من أهم الطوائف داخل هذه المدينة المشرفة، آملين أن يتجه الباحثون إلى مزيد من الدراسات حول هذه الموضوعات مثل دور اليمنيين والهنود والسنود والأكراد وغيرهم من أهل المدينة في شتى المجالات من أجل خدمة الحضارة الإسلامية؛ لينتفع بها المسلمون في هذه الأيام لتتوحد كلمتهم ويتجهوا نحو الوحدة الإسلامية والتواصل مع إخوانهم المسلمين بدلاً من التواصل مع أعداء الإسلام الذين يفيدون من المسلمين ولا يقدمون شيئًا في مختلف المجالات إلا الوعود البراقة الخادعة.

ومن أهم ما أبرز البحث بالفعل أنه لم تكن سياسية انتقائية من الدولة العثمانية تفضل أفرادًا على آخرين أو طائفة إقليمية على أخرى على الأقل بين أقاليم التي يسكنها العرب أو ما يسمى الآن بالأمة العربية، وإنما كان التفضيل على أساس الجهود، ومن ناحية الأخرى فعلى الرغم من أن المغاربة كانوا طائفة منظمة

وأصحاب دور فعال في المدينة إلا أنهم لم يمارسوا الأنشطة بأسلوب طائفي لا سيما في الأحوال السياسية لذلك نجد اشتراكهم في الصراعات كان تبعًا لوظائفهم العسكرية وليس على أنهم مغاربة.

وأخيرًا نرجو أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه الله الكريم وأن يكون لبنة في بناء الحضارة الإسلامية والله من وراء القصد.

المؤلف

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

(١) وثائق غير منشورة:

(أ) أرشيف دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(١) سجلات الديوان العالي.

ستة عشر سجلاً رجع البحث إلى السجلات الثلاث الأول الذين يرجع إليهم الحقبة التاريخية للبحث ابتداءً من ١١٥٤هـ/١٨٠٥م. ومواد ومسلسلاته أوردناها في ثنايا البحث.

(٢) دفاتر الصرة الرومية.

رجع البحث لعدد من هذه الدفاتر المدونة بسجلات الروزنامة، أرقام الدفاتر في ثنايا البحث للفترة التاريخية من ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م حتى ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م.

(٣) دفاتر الإيرادات والمصروفات.

دفتر واردات ومصاريف خزينة محروسة مصر واجب ١١١١هـ / ١٦٩٩م حفظ نوعي ٦ عين ٢٩ عمومي ٢١١١ خارجي ٣/٢٣٤ مخزن تركي (١).

(٤) دفاتر مرتبات قلعة المدينة المنورة.

- دفتر سنة ١١١٩هـ / ٤٧٢ عمومي ٥٣٢٦ مخزن تركي (١).
- دفتر ١١٩٦هـ / ١٧٨١م رقم ٣/٢٢١ حفظ نوعي ٤٨٨ م ع ٥٧٣١، مخزن تركي (١).

(٥) دفتر أمناي منكورين مال قرض كسوة شريفة واجب ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م، م ١٨٠١ نوعي ٣/٨٩ عين ٥٥٥ م ع ٥٥٥ مخزن تركي (١).

(٦) دفاتر الفرمانات الشاهانية الصادرة عن سلاطين الدولة العثمانية ابتداءً من ١٠٠٦هـ / ١٥م.

دفتر رقم (١).

(ب) أرشيف وزارة الأوقاف.

- حجة تاريخها ٢٦ شوال سنة ١١٥٢هـ / ١٧٣٩م بتسليم أمير الحاج الشريف المصري الصرة المرسولة لأهالي المدينة، تحت رقم ١٣٣٦/١٤٥٥م/١ج.
- حجة سليمان كتخدا القازدغلي على سحابة على الحرمين الشريفين حجة شرعية رقم ١٩٧٢م.

(٢) وثائق منشورة.

توجد في مصدرين:

(١) لطف الله حجاف: نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر وردت في كتاب درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي ورجال دولته الميامين: ١١٨٩ - ١٢٤٣هـ / ١٧٧٥ - ١٨٢٨م نشر د/ سيد مصطفى سالم، القاهرة، د.ت.

(٢) الجبرتي: الرسائل المرسلة من سلطان المغرب إلى باشا مصر وقد أوردها الجبرتي في الجزء الأول من عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

ثانيًا: المخطوطات:

ابن الأكفاني:

١) إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٦ مكتبات.

البري: الشيخ إبراهيم المغربي.

٢) إجازات الشيخ إبراهيم البري المغربي، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٧ مصطلح حديث طلعت.

البصري: عبدالله بن سالم ١١٣٤هـ.

٣) إجازة من عبدالله بن سالم البصري إلى أبي الإرشاد عز الدين عبدالوهاب بن عبدالله.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤ مجاميع تيمور.

٤) إجازة منه أيضًا إلى الشيخ إسماعيل العجلوني.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٧ تيمور مصطلح.

٥) إجازة منه إلى الشيخ محمد بن حسن همات زاده ت ١١٧٥هـ.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٣٣ مجاميع طلعت.

٦) الإمداد بمعرفة علو الإسناد.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤ مصطلح حديث

- البليدي: لشيخ محمد المغربي.

٧) إجازة البليدي إلى أحد التلاميذ.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٤ مصطلح تيمور.

- التاجوري: الشيخ صالح المغربي.

٨) إجازات الشيخ صالح التاجوري.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٠١ مصطلح حديث

- التافلاتي: الشيخ محمد المغربي ١١٩٣هـ.

٩) إجازة الشيخ التافلاتي إلى الشيخ المنيني.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ مصطلح تيمور

- جعفر بن هاشم الحسيني.

١٠) الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة. مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ٢٧٥٥ تاريخ.

الدمنهوري: أحمد بن صيام شيخ الأزهر ١١٩٢هـ.

١١) المنح الوفية شرح الرياضي الخليفية، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٣٥ علم الكلام.

● الشيخ الجوهري: أحمد الخالدي ت ١١٨٢هـ.
١٢) إجازات الجوهري.
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٢ مصطلح حديث.
● السلجلماسي: الشيخ محمد بن عبدالله.
١٣) إجازة السجلماسي إلى الشيخ محمد الحفناوي المصري مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨ الزكية.
● ابن أبي السرور البكري: الشيخ محمد الصديقي ١٠٨٧هـ.
١٤) الروضة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية. مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥١٨ تاريخ.
● السقاط: الشيخ علي المغربي.
١٥) إجازة من الشيخ علي السقاط إلى الشيخ أبي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد الأمير، ضمن مجموع. مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٤٢ الزكية.
١٦) ثبت الشيخ علي السقاط. ضمن مجموع مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٤٢ الزكية.
● الطنجوي: علي الحسن بن الغسال الطنجي.
١٧) الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية.
مخطوط بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٢٢٧٥ تاريخ.
● ابن عبدالرحمن الفاسي: الشيخ محمد المالكي ق١٢.
١٨) إجازته إلى أبي عبدالله محمد التلمساني. مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨١ مصطلح حديث.
● العجلوني: الشيخ إسماعيل ١١٦٢هـ.

١٩) إجازات الشيخ العجلوني ضمن مجموع مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٧ مصطلح حديث.

العجيمي: الشيخ حسن ت ١١١٣هـ.

٢٠) خبايا الزوايا فيما للرجال من البقايا. مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤١٠ تاريخ

علي ابن موسى:

٢١) رسالة في وصف المدينة.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤٤ تاريخ

الفاسي: الشيخ محمد بن الطيب ت ١١٧٠هـ.

٢٢) إجازة منه إلى ولديّ الشيخ العجلوني.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٧ مصطلح تيمور.

- الفلاني: الشيخ صالح بن نوح ١٢١٨هـ.

٢٣) قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٥، مصطلح حديث.

- الملوي: الشيخ أحمد بن عبدالفتاح.

٢٤) إجازة الملوي إلى الجوهري الخالدي.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٦٧ مصطلح حديث المنالي: الشيخ

- عبدالمجيد المنالي ت ١١٦٢هـ.

٢٥) بلوغ المرام الرحلة إلى عبدالله الحرام.

مخطوط بمكتبة الرباط بالمغرب تحت رقم ٣٣٩٨ تاريخ

المناوي: الشيخ عبدالرؤوف تاج الدين ١٠٣١هـ.

٢٦) شرح القاموس المحيط.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١ لغة تيمور.

- الموستاري: الشيخ شهاب الدين أحمد.

٢٧) إجازاته إلى تلاميذه.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٢ مصطلح حديث.

- النخلي: الشيخ شهاب الدين أحمد ١١٣٠هـ.

٢٨) بغية الطالبين لبيان مشايخ المحققين.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٢ مصطلح حديث

- النواوي: الشيخ نور الدين علي.

٢٩) إجازته إلى الشيخ عبدالحفيظ من محمد الطيب مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٠ مجاميع

- الهشتوكي: أبوالعباس أحمد.

٣٠) سند الهشتوكي.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩م مصطلح حديث.

ثالثًا: المصادر المطبوعة:

الإدريسي:

٣١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٤م.

الأزهري: محمد ظافر.

٣٢) اليواقيت الثمينة في أعيان مذاهب عالم المدينة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٩م.

الاصطخري: الشيخ إبراهيم بن محمد ت ٣٤١هـ.

٣٣) المسالك والممالك القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

الأنصاري: الشيخ عبدالرحمن الأنصاري ت بعد ١١٩٧هـ.

٣٤) تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب تحقيق محمد العروس المطوي، الطبعة الأولى - المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠.

البتانوني: محمد لبيب.

٣٥) الرحلة الحجازية. القاهرة (د، ت).

البرزنجي: الشيخ زين العابدين.

٣٦) كشف الحجاب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور. مجلة العرب ج٩، ج١٠ عنى بشرة الشيخ أحمد الجاسر، الرياض ١٩٨٥م.

- البغدادي: إسماعيل باشا.

٣٧) هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين جزءان، دار الفكر، بيروت، لبنان ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

- البكري: عبدالله بن عبدالعزيز.

٣٨) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر ١٩١١م.

- ابن البيطار: الشيخ عبدالرازق الشطي ق١٣هـ.

٣٩) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.

- التلمساني: أحمد بن هطال ت ١٢١٨هـ / ١٨٠٤م.

٤٠) رحلة محمد الكبير (باي الغرب الجزائري) إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبدالكريم، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م.

- الجرجاني: الشيخ عبدالقادر.

٤١) كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق العلامة محمود شاكر، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- الجبرتي: الشيخ عبدالرحمن بن حسن ت ١٢٣٠هـ.

٤٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت (د. ت) حاجي

- خليفة: المولى حاجي الرومي ١٠٦٧هـ.

٤٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، لبنان ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

- الحضراوي: الشيخ محمد المكي ق١٣هـ.

٤٤) نزهة الفكر في علماء القرنين الثاني عشر والثالث عشر، قطعة منه بتحقيق د/ محمد المصري، وزارة الثقافة سوريا ١٩٩٦م.

- ابن خلدون: ولي الدين عبدالرحمن ٨٠٨هـ.

٤٥) المقدمة تحقق د/ علي عبدالواحد وافي، ٣ مجلدات مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

- ابن خلكان: شمس الدين أحمد عن أبي بكر ٦٨١هـ.

٤٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

- دحلان: أحمد زين مفتي مكة، ١٣٠٤هـ.

٤٧) خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

- الدرعي: الشيخ محمد بن عبدالسلام الناصري.

٤٨) الرحلة الناصرية، طبع على الحجر، فاس ١٣٢١هـ / ١٩٠٢م.

- الديار بكري: الشيخ حسين الكردي بعد ٩٦٦هـ.

٤٩) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، جزءان، القاهرة، ١٢٨٣هـ.

- ابن أبي دينار: أبو عبدالله محمد القيرواني.

٥٠) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، طبع تونس ١٩٦٧م.

- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ.

٥١) سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ.

- رفعت: اللواء إبراهيم أمير الحاج.

٥٢) مرآة الحرمين، القاهرة (د.ت).

- الرهوني: الشيخ أحمد المغربي.

٥٣) الرحلة المكية (١٣٥٥ – ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م) نشر معهد الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الأسبانية مطبعة الأحرار، تطوان، المغرب، ١٩٤١م.

● الروزنامجي: حسين أفندي.

٥٤) ترتيب الديار المصرية، تحقيق وتعليق د/ محمد شفيق غربال، تحت عنوان مصر في مفرق الطرق، مجلة كلية الآداب – الجزء الأول، مايو ١٩٣٦م.

● الزياني: الشيخ أبو القاسم.

٥٥) الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة شرقًا وغربًا، حققه وعلق عليه عبدالكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

● ابن السبكي: تاج الدين بن عبدالكفي ١٧٧١هـ.

٥٦) معيد النعم ومبيد النقم. تحقيق محمد أبو العيون، أبو زيد شلبي، وآخر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥م.

● سليمان القانوني: السلطان العثماني ٩٧٤هـ.

٥٧) قانون نامة مصر ترجمة أحمد فؤاد متولى، مطبعة ج عين شمس، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

● السمهودي: الشيخ نور الدين ٩١١هـ.

٥٨) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد – الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٥م.

● السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن ٩١١هـ.

٥٩) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م.

● الشوكاني: الشيخ محمد بن علي ١٢٥٠هـ.

٦٠) البدر الطالع بمن جاء بعد القرن السابع، جزءان القاهرة ١٣٤٨هـ.

● ابن صديق: أبو هشام عبدالله.

٦١) الأسر القرشية أعيان مكة المحمدية، تهامة، جدة، ١٤٠٤هـ.

- طاشكبري زاده: أحمد بن مصطفى أبو الخير ١٩٦٨هـ / ١٥٦١م.

٦٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في العلوم، جزءان دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت).

- العباس بن إبراهيم: الشيخ المغربي.

٦٣) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٧م.

- ابن عبدالغني شلبي.

٦٤) أوضح الإرشادات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشا، ت د/ عبدالرحيم عبدالرحمن، الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م.

- عبدالله زاحم: القاضي المدني.

٦٥) كتاب قضاة المدينة المنورة، (٩٦٣ – ١٤١٨م) مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

- ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح بن عبدالحي ١٠٨٩هـ.

٦٦) شذرات الذهب بأخبار من ذهب، ٨ أجزاء، القاهرة، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م.

- العيدروس: محيي الدين عبدالقادر ت ١٠٩٣هـ.

٦٧) النور السافر عن أخبار القرن العاشر. القاهرة، د. ت.

- العياشي: أبو سالم المغربي ١٠٩٠هـ.

٦٨) الرحلة العياشية، طبع على الحجر، فاس ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م.

- الكتاني: محمد بن جعفر.

٦٩) سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ٣ أجزاء، فاس، المغرب، ١٣١٦هـ.

- الكتاني: محمد بن عبدالحي.

٧٠) فهرس – الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، فاس، المملكة المغربية، ١٣٤٦هـ – ١٣٤٧م.

- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل الدمشقي ٧٨٤هـ.

٧١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، د. ت.

- مجهول.

٧٢) تراجم أعيان المدينة المنورة، تحقيق د. محمد التونجي، الطبعة الأولى مكتبة الشروق جدة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- المحبي: محمد بن فضل الله ١١١١هـ.

٧٣) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر بيروت، د.ت. مخلوف: محمد بن محمد.

٧٤) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٢٥هـ.

- مراد: الشيخ عبدالله.

٧٥) المختصر من نشر النور والزهر، في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، من مطبوعات نادي الطائف الأدبي (د. ت).

- المرادي: الشيخ محمد الشامي.

٧٦) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق محمد علي شاهين، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- مصطفى من الحاج إبراهيم.

٧٧) تاريخ وقايع مصر القاهرة، كنانة الله في أرضه حققه أ. د. صلاح هريدي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

- ابن مليح: الشيخ السراج ق١١هـ.

٧٨) أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفاسي، فاس، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

- ابن منظور: محمد بن مكرم ٧١١هـ.

٧٩) لسان العرب، تحقيق عبدالله بن علي الكبير وآخرين. دار المعارف. د. ت.

- النابلسي: الشيخ عبدالغني ١١٤٣هـ.

٨٠) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى مصر والشام والحجاز تعليق محمد أحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

- الناصري: أبو العباس أحمد السلاوي.

٨١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، طبع القاهرة، ١٣١٢هـ.

- الورثيلاني: الشيخ أبو الحسين.

٨٢) نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، ١٣١٦هـ.

- ابن الوكيل: يوسف الملواني.

٨٣) تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق د/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة. ١٩٩٨م.

- الولاتي: محمد المختار بن يحيي ت ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م.

٨٤) الرحلة الحجازية، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د. ت.

رابعًا: المراجع العربية:

٨٥) إبراهيم البيومي غانم: دكتور كشاف أدبيات الأوقاف في المملكة المغربية، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

- أحمد السباعي: الشيخ.

٨٦) تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الطبعة السادسة، من مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- إسماعيل أحمد: دكتور

٨٧) الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، الطبعة الأولى مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- جبران مسعود: معاصر.

٨٨) الرائد، قاموس عربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

- جلال يحيى: دكتور.

٨٩) المغرب العربي الحديث والمعاصر، الفجر واحتلال فرنسا للجزائر، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.

- حافظ وهبة: الأستاذ.

٩٠) جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م.

- حسام عبدالمعطي: دكتور.

٩١) العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

- الجاسر: الشيخ حمد علامة الجزيرة.

٩٢) في رحاب الحرمين الشريفين من خلال كتب الرحلات إلى الحج، الرحلة الناصرية، مجلة العرب التي تصدرها دار اليمامة، ذو الحجة ١٣٩٧هـ.

٩٣) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مقدمة تحوي أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية القسم الأولى، دار اليمامة، الرياض ١٣٩٣هـ / ١٩٧٧م.

- حمزة الدمرداش: دكتور.

٩٤) نشأة الفنون البلاغة، مطبعة لطفي، القاهرة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- خير الدين الزركلي.

٩٥) الأعلام ٨٠ أجزاء، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

- سليمان حسين: دكتور.

٩٦) تجار القاهرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.

- سليمان مالكي: دكتور.

٩٧) بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

- السيد محمد الدقن: دكتور.

٩٨) كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- سيد محمد السيد: دكتور.

٩٩) مصر في العصر العثماني، القرن السادس عشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م.

- صالح العلي: دكتور.

١٠٠) خطط المدينة المنورة، مجلة العرب العدد ١٢ السنة الأولى، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

- صلاح هريدي: دكتور.

١٠١) دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر (١٥١٧ - ١٨٨٢م) اسكندرية، ١٩٩٨م.

- عارف عبدالغني: دكتور.

١٠٢) تاريخ أمراء المدينة المنورة، دار كنان، سورية ١٩٩٧م.

١٠٣) تاريخ أمراء مكة المكرمة، الطبعة الأولى دار البشائر، سورية، ١٩٩٥م.

- عباس الجراري: دكتور.

١٠٤) مدخل لرحلة الحضيكي، من أبحاث مصادر تاريخ الجزيرة العربية، مؤتمر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ١٩٧٩م.

● عبدالباسط بن بدر: دكتور.

١٠٥) التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ٣ أجـزاء، الطبعـة الأولـى، المدينـة المنورة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

● عبدالحميد سليمان: دكتور.

١٠٦) تاريخ الموانى المصرية في العصر العثماني، الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

● عبدالرحمن الرافعي: المحامي. القاهرة.

١٠٧) تاريخ الحركة القومية، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠١هـ.

عبدالرحمن فهمي: دكتور.

١٠٨) النقود المتداولة في عهد الجبرتي، ندوة تاريخ

● الجبرتي، ضمن كتاب نشر بذات الغرض بإشراف د/ أحمد عزت عبدالكريم القاهرة، ١٩٧٦م.

● عبدالعزيز الشناوي: دكتور.

١٠٩) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلـو المصـرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

● عبدالعزيز بن عبدالله.

١١٠) سلا أولى حاضرتي أبي رقراق. من منشورات الخزانة العلمية الصبحية، سلا، المغرب، ١٩٨٩م.

● عبدالغني عبدالخالق: دكتور.

١١١) حجية السنة، من سلسلة قضايا الفكر الإسلامي بواشنطن، الطبعة الأولى، دار القرآن، شتو تجارب، ألمانيا الغربية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

● عبدالكريم كريم: دكتور.

١١٢) بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة، من أبحاث مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٩٧٩م.

- عبدالله درويش: دكتور.

١١٣) المعاجم العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٦م.

- عبدالله محمد جمال الدين: دكتور.

١١٤) المسلمون المصرون أو الموريسكون الأندلسيون، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩١م.

١١٥) مصير المسلمين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، بحوث الأندلس، دار المعرفة، ١٩٩٤م.

- عبدالمنعم ماجد: دكتور.

١١٦) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٦م.

- عراقي يوسف: دكتور.

١١٧) الوجود العثماني في مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م.

- علي مبارك: الباشا.

١١٨) الخطط التوفيقية، عشرون جزءًا، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، عن طبعة بولاق ١٣٠٥هـ.

- فائز بن موسى: دكتور.

١١٩) "سجلات المحكمة الشرعية" من مصادر تاريخ المدينة في العصر العثماني قضاة المدينة المنورة، من أبحاث مجلة الدارة، الرياض، ١٤٢٢هـ.

- أبو القاسم سعد الله: دكتور.

١٢٠) الرحلات الحجازية خلال العصر العثماني، من أبحاث المؤتمر الدولي لمصادر الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م.

- علي بن محمد الصلابي: دكتور.

١٢١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط دار الفجر للتراث القاهرة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

- ليلى عبداللطيف: دكتورة.

١٢٢) شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧م.

- محمد رمزي:

١٢٣) محمد محفوظ: معجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

١٢٤) القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد القدماء المصريين حتى سنة ١٩٤٥م، ٦ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بالقاهرة، ١٩٩٥م.

- محمد عبدالله عنان: الأستاذ.

١٢٥) نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٧م.

محمد فؤاد شكري: دكتور.

١٢٦) تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢م الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

- محمد المنوني.

١٢٧) ركب الحاج المغربي، تطوان، المغرب ١٩٥٣م.

- محمود إسماعيل: دكتور.

١٢٨) الأدارسة (١٧٢ - ٣٧٥هـ) الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- مسعود بن محمد آل زيد: الشريف.

١٢٩) تاريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد، ١٠٤١ - ١٢٩٩هـ / ١٦٣١ - ١٨٨١م، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

● د. مصطفى رمضان: دكتور.

١٣٠) العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

● نبيل رضوان: دكتور.

١٣١) جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده، مطبعة العصر الحديث.

خامساً: المراجع الأجنبية المترجمة:

● أستيف: من علماء الحملة الفرنسية:

١٣٢) النظام المالي والإداري في مصر، ضمن كتاب وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.

● أيوب صبري: تركي.

١٣٣) مرآة جزيرة العرب، ترجمة د/ أحمد فؤاد متولي، ود/ الصفصافي المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م.

● بوركهارت: جون لويس.

١٣٤) رحلات في شبه جزيرة العرب، ترجمة عبدالعزيز صالح الهلالي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

● بيرتون: المستشرق.

١٣٥) الرحلة الحجازية، تحقيق عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١م.

● جارشلي: إسماعيل حقي أوزون.

١٣٦) أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة خليل مراد، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٩م.

● جيرار: من علماء الحملة الفرنسية.

١٣٧) الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر بحث من كتاب وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٨م.

- خليل سامي أوغلو: دكتور.

١٣٨) النقود في البلاد العربية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧١م.

- الداردندلي: المؤرخ التركي.

١٣٩) الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني، ترجمة جمال سعيد عبدالغني، القاهرة، ١٩٩٩م.

- دولتشين: الجنرال الروسي.

١٤٠) الرحلة السرية أو الحج قبل مائة عام، ترجمة يفيم ريزفان، موسكو (د.ت).

- عزيز سامح: دكتور.

١٤١) الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

- كارل بروكلمان: المستشرق الألماني.

١٤٢) تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني، ترجمة محمود فهمي حجازي وآخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

سادسًا: الرسائل العلمية

- رضا الشوربجي: دكتور.

١٤٣) الرحلة المغربية إلى الأزهر الشريف في العصر المملوكي رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر، القاهرة ٢٠٠٢.

- عبدالمعز فضل: دكتور.

١٤٤) الحركة العلمية في محافظة قنا في عصر المماليك رسالة ماجستير غير منشورة أجيزت من قسم التاريخ بجامعة الأزهر بالقاهرة ١٩٩٧م.

● محمد الشحري: دكتور.

١٤٥) الحركة العلمية في واسط في العصر العباسي الأول، (١٣٢ – ٢٧٣هـ) رسالة ماجستير غير منشورة أجيزت من كلية اللغة العربية قسم التـاريخ، جامعة الأزهر بالقاهرة، ١٩٩٧م.

١٤٦) محمد علي فهيم: دكتور.

● دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصـر العثمـاني. رسـالة دكتوراه أجيزت من قسم التاريخ، جامعة الأزهر، القاهرة ٢٠٠٢م.

Pakalin: M - Z

147) Osmanli Tarih Deyinlerlue temlericiti2.

Joseph, lucio:

148) Les foundations pleuses habous ou Maroc. Maroc.

Morcel, JJ:

149) Contes chelkk Al – Monuy, Paris, 1833.

Sertòglu: Midhat.

150) Osmanli tarih lugâti, Baski, Enderu Kilàfqui, Istanbul, 1986.

الفهـــــرس



الفهرس

العنوان	الصفحة

الفصل الأول

دور المغاربة في الحياة السياسية في المدينة المنورة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

الفصل الثاني

دور المغاربة في الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة

الفصل الثالث

الوضع الاجتماعي للمغاربة في المدينة المنورة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة